أسماءُ حسنىٰ
غيرُ الأسماء الحسنىٰ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

أسماءُ حسنىٰ
غيرُ الأسماء الحسنىٰ

تأليف
أ . د . عقيل حسين عقيل

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ بيروت

المقدمة

إن ٱلله سبحانه وتعالىٰ لا يحدّه مكان ولا يحويه زمان ، وهو سبحانه وتعالىٰ قد أحاط بهما جميعاً أزلاً وأبداً ، لأنه تعالىٰ قبل البدء و بعد الانتهاء ، فالأزل والأبد بالنسبة لنا هو غير متناه . والذات الإلـٰهية أحاطت بهما وهيمنت عليهما ، فمن هنا تكون الإحاطة والهيمنة قد أعطت الذات الإلـٰهية شمولية الأسماء الحسنىٰ ، ولأن ٱلله تعالىٰ هيمن علىٰ الأزل والأبد وتصرف بهما وفق مشيئته ، فبالضرورة أن الأسماء الحسنىٰ تدخل ضمن هـٰذا الاسم بما لا ينفك شيء منها عن شيء آخر ، ولا تفارق صفةٌ صفةً ، ولا تؤثر صفة في صفة ولا صفة علىٰ صفة ؛ لأنها جميعاً مطلقة للذات الإلـٰهية . وبالتالي فكونه الأول بلا بداية أزلاً ، والآخر بلا نهاية أبداً وقد أحاط بهما وهيمن عليهما ، فما انحصر بينهما ضرورة خاضع له ، وعملية الحصر هـٰذه تؤدي بالنتيجة إلىٰ الإحصاء ، فطالما أنه حصرها فقد أحصاها ضرورة ، إنه المحصي جل جلاله .

وعليه يمكن القول أن صفات ٱلله تعالىٰ ، في ذاته وصفات أفعاله تدخل ضمن هيمنته وإحاطته وإحصائه ، وفي الوقت نفسه تخرج عن هيمنة المخلوقين وإحاطتهم وإحصائهم ، ولذا فإن قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل : ١٨] . يجمع بين القدرة الإلـٰهية علىٰ الإحصاء ، وبين العجز البشري عن ذٰلك الإحصاء ، ولما كانت النعم التي ينعم بها المنعم مرتبطة بالأسماء الحسنىٰ ، والعجز قائم أمام إحصاء تلك النعم ، فمن باب أولىٰ أنه أعجز عن إحصاء الأسماء التي تتفضل بتلك النعم .

وبين صفات المهيمن والمحيط والمحصي (خارج الزمان والمكان) نجد أسماء ٱلله الحسنىٰ تكافئ نعمه التي ينعم بها علىٰ خلقه بأسماء لم ترد في أحاديث الأسماء ، فهل هـٰذه الأسماء التي ينعم بها علىٰ خلقه عطاءً ومنعاً ودفعاً ونفعاً وضرّاً لم تكن من أسمائه تعالىٰ ؟

فإن قال قائل إنها ليست من أسمائه ، فقد نفىٰ حدوث الفعل مطلقاً أو نسبته .

وإن نفاه مطلقاً ـ والفعل حادث ـ فقد بطل دليله بحدوث الفعل .

وإن نفىٰ نسبته إلىٰ غير ٱلله تعالىٰ ؛ فقد نسب الفعل إلىٰ عاجز عن فعله .

فإذا كانت كل نعمة مرتبطة بفعل ، وكل فعل من الأفعال لا يصدر إلا عن فاعل ، فهـٰذا الفاعل وجب أن يكون له القدرة علىٰ إتمام الفعل وكماله .

فإذا كان التمام والكمال لا يصدران إلا عن تامٍّ كامل ، ولا كامل إلا ٱلله تعالىٰ ، إذاً وجب أن يكون فعل النعمة التامة الكاملة مصدرها تام كامل ، ثم وجب من ذٰلك أسماء حسنىٰ غير الأسماء الحسنىٰ . ومن هـٰذه الأسماء توالت النعم علىٰ الخلق ، هـٰذه النعم التي تفضَّل ٱلله تعالىٰ بها علىٰ عباده ، إنما هي ناتجة عن فعل أو صفة ، ومن هـٰذه النعم ما هو مادي ملموس كالأموال والأولاد والمتاع ، ومنها ما هو شعور إدراكي ينتاب النفس الإنسانية مثل الإيمان والأمن ، ومنها ما هو فضائل وقيم جمالية وأخلاقية ، وعلىٰ هـٰذا تدخل النعم في مجالين هما : صفة الذات وصفة الفعل ، وكل منهما لا نقول إنه مختص بالنعم فحسب ، وإنما توزع ذٰلك علىٰ النعم والنقم ، في عملية موازنة دقيقة تخضع لحكمة الحكيم من أجل استمرار الحياة .

إذاً فالنقمة هي أيضاً نعمة في رحمة العموم ، وإن كانت نقمة علىٰ وجه الخصوص .

ومن هنا تعاظمت النعم من حيث الكم والعدد فخرجت عن الحصر والإحصاء ، وطالما أننا لا نستطيع أن نحصي نعمه تعالىٰ التي هي أصلاً صادرة عن صفة ذات أو صفة فعل من الأسماء الحسنىٰ ، فبالضرورة أن أسماء ٱلله

الحسنىٰ لا يعلمها إلا هو من حيث الكثرة والعدد ، وبالتالي فإن المخلوق أعجز من أن يحصي أسماء الخالق .

ولذا فتح باب الاجتهاد في الأسماء الحسنىٰ المرتبطة في الأفعال والصفات ، بقدر ما فتحت نعم ٱلله تعالىٰ علىٰ خلقه في العجز أمام إحصاء تلك النعم ، فكان العجز مرافقاً لإحصاء الأسماء الحسنىٰ الصادرة عنها تلك النعم وذٰلك انطلاقاً من بديهية تقول :

كل نعمة أُحدثت كانت نتيجة فعل .

كل فعل أحدث نعمة لا بدّ له من فاعل .

الفاعل هو وجود اسم يسمىٰ به الفاعل .

فإذا كانت أفعال النعمة من ٱلله فقد اتصف ٱلله باسم ذٰلك الفعل .

وعليه لا يستقيم وجود نعمة دون وجود فعل صدر عن فاعل ، وكل فعل من أفعاله تعالىٰ يدل علىٰ اسم من أسمائه الحسنىٰ تصريحاً أو تضميناً ، علمنا ذٰلك أم جهلناه ، ونحن في نهجنا هـٰذا لم نخالف أسس العقيدة ، أو ما جاء من توضيح للأسماء الحسنىٰ من الكتاب والسنة ، في سبر أغوار البحث في الأسماء الحسنىٰ ، متمسكين بأصول التوحيد وقواعد الاستنباط ، ليس من قبيل إيجاد أسماء حسنىٰ جديدة ، فهـٰذا ننفيه ولا نقرّه ، وإنما الهدف والغاية هو الوصول إلىٰ الأسماء الحسنىٰ :

التي سمىٰ ٱلله تعالىٰ بها نفسه .

أو علّمها أحداً من خلقه دون أحد .

أو أنزلها في كتابه ولم يقف عليها أحد .

أو وقف عليها البعض ولم يولوها بالبحث والتحليل والتفسير .

ولا سبيل للوصول لما استأثر به ٱلله تعالىٰ من أسماء في علم الغيب ، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه . وعلىٰ هـٰذا فإن الأسماء الحسنىٰ هي أكثر من تسعة وتسعين اسماً ، لأننا نعتقد أن أسماء ٱلله تعالىٰ أعظم من أن تحصىٰ ،

وهي في زيادة دائمة ؛ ليست زيادة تجدد ، وإنما زيادة اكتشاف لمن يحاول أن يجدّ البحث عنها .

فأسماء ٱلله الحسنىٰ لا نقول إنها في زيادة ، كما لا يمكن أن تنقص أو تستبدل أو تحدّ أو تعدّ .

أمّا زيادتها فهو منتفٍ لعلم ٱلله تعالىٰ بما أراد حين أراد ، فكانت أسماؤه تامة كاملة لإرادته .

وأمّا ما نقف عليه من أسماء حسنىٰ غير الأسماء الحسنىٰ ، فإنه من باب عدم معرفة الخلق بإرادة الخالق ، إلا عندما أراد الخالق .

وأمّا مسألة النقص لانتهاء الفعل ، وانتفاء حاجته ، فيذهب الاسم لذهاب الفعل فهٰذا ما لا يقول به عاقل ، لأن انتفاء الحاجة إليه من قبل خلق ، فإن خلقاً آخر هم أحوج إليه منهم .

وأمّا أن يستبدل اسم باسم فهٰذا مذهب أهل البداءة ـ تعالىٰ ٱلله عن ذٰلك علواً كبيراً ـ لأن ٱلله تعالىٰ عندما أراد فقد علم ما يريد .

وأمّا مسألة أن تحدّ ـ أسماؤه جلّ وعلا ـ فهٰذا محال ، لأن الحد هو تعطيل للقدرة أو وقوفها عند حدود معينة ، وٱلله تعالىٰ قدير أزلاً وأبداً ، فإن حُدّت أسماؤه تحددت أفعاله ، وهو الفعَّال لما يُريد متىٰ ما يُريد كيفما يُريد سبحانه .

وأمّا أن تعدّ أسماؤه فمعنىٰ ذٰلك إحصاء نعمه المرتبطة بأسمائه ، وهو منافٍ لإرادة ٱلله تعالىٰ ولذٰلك كان محالاً ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل : ١٨] .

لذٰلك كان اجتهادنا منصباً علىٰ الوقوف علىٰ أسماء حسنىٰ هي موجودة لم يقف عليها أحد ، معتمدين الدليل النقلي الذي جاء به الشارع ، واستنبطنا منه دليلاً عقلياً يدعم رأينا فيما ذهبنا إليه من الأسماء الحسنىٰ التي لا تحصىٰ .

ونريد أن نوضح نقطة هامة للقارئ عندما يدخل في صلب هٰذا البحث وهي : أن ينحّي الزمن جانباً بالنسبة للذات الإلـٰهية ، لأن ٱلله تعالىٰ في أسمائه

الحسنىٰ هو مهيمن ومحيط ومحصٍ وخالق ورزاق وقابض وباسط ومحيٍ ومميت ونافع وضار ، في آنٍ معاً في كل زمان ومكان ، خارج الزمان والمكان .

وينبغي أن يكون واضحاً ، أننا بشر من خلق الله ، نفكِّر علىٰ قدر ما أوتينا من العقل الذي هو المنظم لسلسلة من الأفكار ، كما أن الإرادة البشرية عبارة عن سلسلة الأفعال الصادرة عنَّا ، وبين سلسلة الأفكار وسلسلة الأفعال ، تكون ملكات العقل محدودة ، إدراكاً واستنتاجاً وذاكرة وإرادة .

وبما أن الإدراك متفاوت بين الخلق من جانب ، وكذٰلك المدركات منها ما هو مدرك ومنها ما هو غير مدرك ، وبعضها محال من جانب آخر ، بسبب حدود الملكات المتناهية ، وبما أن الإدراك محدود ، فبالضرورة ستكون المدركات محدودة ، وهٰذا ينسحب علىٰ بقية ملكات العقل ؛ من الحفظ والاستنتاج والتذكر والإرادة . بمعنىٰ أننا لا نحصي من نعمه تعالىٰ إلا بقدر عقولنا ، فيترتب علىٰ ذٰلك أننا لا نحصي من أسمائه إلا بقدر هٰذه العقول ، ويكفينا من ذٰلك أدلة الخلق وأدلة العناية مما جاء في القرآن الكريم ، ونأخذ مثلاً واحداً يجمع الدليلين في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٦٤] هٰذه الآية وحدها دليل خلق وعناية ورعاية وتدبير ، وهو كثير في القرآن الكريم ، وكذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم : ١٩] وكذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [الروم : ٢١] هٰذه الأدلة تتضمن كل ما عداها من أدلة قديمة كانت أم حديثة ، رغم اختلاف أساليب التعبير والتسميات بحسب اختلاف البيئة والزمان :

ففي صورتها السهلة البسيطة أن الأثر يدل علىٰ المؤثر .

وفي صورتها الكلامية اللفظية أن كل حادث لابد له من مُحدِث .

وفي صورتها الفلسفية القديمة الممكن والواجب .

وفي صورتها الفلسفية الحديثة شعور الوجدان أو فكرة الكمال .

ومن خلال هـٰذه الأدلة نقول : إن كانت نعم ٱلله تعالىٰ وأفضاله التي يتكرم بها علىٰ خلقه أعظم من أن تحصىٰ ، فلا بدّ أن أسماءه التي ارتبطت بها تلك الأفضال والإنعام ـ هي من باب أولىٰ ـ أعظم من أن تعدّ أو أن تحصىٰ .

فلو تأملنا السلك الذي ينظم تلك النعم ، لوجدنا أن هـٰذا السلك انتظمته الأسماء الحسنىٰ ، وعند التأمل نقف علىٰ التداخل العجيب بين الأسماء والصفات والأفعال ، بحيث أن الصفة الواحدة الصادرة عن الفعل تتداخل مع غيرها بشكل لا يسمح انفكاك بعضها عن بعض ، ولا يطغىٰ بعضها علىٰ بعض ، لأنها تصدر عن ذات واحدة ، وهـٰذا دليل علىٰ وحدانية ٱلله ومصداق قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤] .

وهـٰذا هو المضمون الامتدادي الذي يشمل جميع صفات ٱلله تعالىٰ وأفعاله ، بدءاً من لفظ الجلالة الذي هو اسم علم للذات الإلـٰهية ، ومن ثَمّ ينتهي إليه كل شيء .

نريد أن نخلص من هـٰذا إلىٰ مصداق قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل : ١٨ / إبراهيم : ٣٤] . فبالضرورة إن كنتم لا تحصون نعمه ، فلا عجب أنكم لا تحصون صفاته وأفعاله المرتبطة بأسمائه التي صدرت عنها تلك النعم .

وأما أن صفات ٱلله تعالىٰ وأفعاله المرتبطة بأسمائه قد تضمنها القرآن

الكريم ، فهٰذا أمر فيه نظر وتدقيق ، حيث إن ٱلله تعالىٰ استأثر بقسم من هٰذه الأسماء في علم الغيب لا نعلمه ، كما جاء في حديث رسول ٱلله ﷺ : « ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن : اللهُمَّ إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب ٱلله ـ عز وجل ـ همه ، وأبدله مكان حزنه فرحاً » (١) .

ومن نص حديث رسول ٱلله ﷺ تكون أسماء ٱلله الحسنىٰ علىٰ النحو الآتي :

١ ـ الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ هو الذي سمىٰ بها نفسه .

٢ ـ قسم منها أنزله في كتابه .

٣ ـ قسم منها علّمه أحداً من خلقه دون أحد .

٤ ـ قسم منها استأثر به في علم الغيب عنده .

فإن كان ﷺ علم أن ٱلله تعالىٰ استأثر في علم الغيب بأسماء حجبها عن خلقه في الحياة الدنيا وأخبرنا بهٰذا الاستئثار ، فقد وجب البحث للوقوف علىٰ الأسماء التي لم يستأثر بها عمّا أنزله من أسمائه في الكتاب ، أو ما علّمه لأحد من خلقه دون أحد ، وعليه فإن البحث عن الأسماء الحسنىٰ غير التسعة والتسعين المنصوص عليها في الأحاديث ؛ مفتوح في مجالين علىٰ الأقل هما :

آ ـ نأخذه عن أحد علّمه ٱلله إياه عن طريق العلم الذي يمكن إثباته بما لا يتعارض مع الكتاب الحكيم .

---

(١) مسند أحمد ، ج٩ ، ص ٤٣٣ .

ب ـ الوقوف علىٰ بقية الأسماء غير التسعة والتسعين من كتاب ٱلله تعالىٰ لأنه تضمن قسماً من هـٰذه الأسماء التي أنزلها لعباده في كتابه الحكيم .

فنحن نأخذ ما آتانا رسول الله ﷺ لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر : ٧] .

وإذا كان ﷺ قد أخبر بتسعة وتسعين اسماً من الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ بما ورد في روايات الأحاديث المختلفة التي اتفقت بالعدد وافترقت بالمعدود ، فإن هـٰذا الاتفاق والافتراق يعطي مشروعية البحث عن الأسماء الحسنىٰ ، في غير أحاديث الأسماء الحسنىٰ ، ليس وصولاً إلىٰ النهاية وإنما زيادة في الأجر للوقوف علىٰ اختصاص الاسم .

إنَّ ما جاء في القرآن الكريم وما أخبر به الرسول ﷺ هو الحق الذي لا يختلف باختلاف عقائد البشر وأحوالهم ، ولا يتغير بتقادم الزمان ، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض ، ولهـٰذا كل ما عارضه فهو باطل .

إذ من المعلوم أن الأمة أجمعت علىٰ ما جاء به الشرع من دلائل الإيمان بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته ، وكل ما عارض الشرع فالعقل يعلم فساده وإن كان معقولاً .

فالكفر والإيمان من المعقولات ، والعقل يظهر فساد الكفر وصلاح الإيمان بأدلة عقلية علىٰ هـٰذه المعقولات ، ومن هـٰذا المنطلق العقلي الذي لا يخالف الشرع ولا يتعارض مع المنطق ، في الامتثال لأمر ٱلله تعالىٰ بالأخذ بما آتانا الرسول في نص الآية ، وانطلاقاً من حديث الأسماء في الإنزال والتعليم والاستئثار ، وجب التقصي عن الأسماء التي لا نعلمها من أجل أن نَعْلمها ونُعَلّمها ، وبهـٰذا لا يتقيد الباحث في العدد في حديث الأسماء الحسنىٰ الذي جاء عنه ﷺ بقوله : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة » [١] .

---

(١) صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٦٣ .

والبحث عن أكثر من تسعة وتسعين لا يخالف حديث رسول ٱلله ﷺ ، لأن هـٰذا الحديث مقيد مخصوص ، وحديث الإنزال والتعليم والاستئثار مطلق عام ، وذٰلك مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

فمن المعلوم أن كل أهل الجنة في الجنة ، ولـٰكن ليس كل أهل الجنة مع النبيين ، فهناك عدد مخصوص من أهل الجنة مع النبيين ، وهناك أهل الجنة كلهم في الجنة ، ولذا فكان تخصيص العدد لقضية خاصة ضمن حدوده ، وشمول العموم لمن لا يستطيع حصر التخصيص .

وبعد هـٰذا : إنَّ ما جاءنا من أحاديث أسماء ٱلله الحسنىٰ ـ سواء منها ما كان مخصوصاً مقيداً بعدد ، أم ما كان مطلقاً غير محدد ـ فإنه منقول بالتواتر كحروف القرآن ، وهو معلوم من الأقوال والأعمال عن رسول ٱلله ﷺ ، أي الألفاظ والأفعال ، فلكل لفظ معنىٰ ولكل فعل مقصد ، فجاءت ألفاظه وأفعاله ، ومعاني ألفاظه ومقاصد أفعاله متواترة عند الأمة ، منها ما هو مشهور عام بين الناس :

كالعبادات ونبي الأمة وصدِّيقها وخليل الرحمـٰن .

ومنها ما هو خاص بأهل الذكر :

كالعقائد والإلـٰهيات .

فإن كان مجهولاً للعامة فهو معلوم للخاصة بالتواتر .

إن أسماء ٱلله الحسنىٰ لا تحصىٰ ولا تعد ، فهو سبحانه الواحد الذي يعلم عددها ، أمَّا تخصيص بعضها بتسعة وتسعين اسماً وتأكيد النبي ﷺ بقوله : (مئة إلا واحداً) وهي التي لم يقصر الدعاء عليها بدليل قوله ﷺ : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » .

وعليه فإن تخصيص التسعة والتسعين ، لا يعارض إطلاق عدد الأسماء الحسنىٰ لعدم إحصائها ، لأن النعم التي لا نحصيها مرتبطة بتلك الأسماء الحسنىٰ التي لن نقف عليها .

وبالنسبة إلىٰ عرضنا لهٰذه الأسماء الحسنىٰ التي ارتأينا عدم منهجيتها بما يخضعها للترتيب الهجائي أو الأبجدي ، وإنما جعلنا ورود الأسماء بصورة تناسب بعضها للبعض الآخر في تواليها وتتابعها بما يُظهر الصفة السابقة واللاحقة كالعالم والعلَّام ، والآمر والناهي ، والمدخل والمخرج ، والناصر والنصير .

وعرضنا لهٰذه الأسماء الحسنىٰ بالتحليل لم يقتصر علىٰ الأسماء التي ورد ذكرها في بعض الأحاديث ، بل أخذنا منها ما أخذنا وأضفنا إليها ما له علاقة بانتظامها من حيث إظهار الصفة للصفة السابقة أو اللاحقة ، وهٰذا لا يعني أنَّ اعتراضاً قد ألمَّ بعقلنا بل جميعها أسماء صفات أو أسماء أفعال حسنىٰ لله تعالىٰ ، ولٰكن تركنا المجال لغيرنا من الباحثين ليستمر البحث فيما ذُكر وفيما لم يُذكر في الأحاديث ، لكي لا تتوقف الإضافات الموضوعية من الكتاب العزيز .

ومن خلال قراءتنا للقرآن الكريم نستطيع أن نقول :

كل فعل من أفعال ٱلله له صفة من صفاته الحسنىٰ ، ولهٰذا أفعاله لا تعد ولا تحصىٰ ، ولأنها كذٰلك فأسماء صفاته لا تعد ولا تحصىٰ سبحانه . إنَّه ٱلله جل جلاله .

وفي الختام نسأل ٱلله تعالىٰ العفو والعافية والتوفيق لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الـرَّبُّ

الرَّبُّ : هو الله عزّ وجل هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه ، وله الرُّبوبيَّة علىٰ جميع الخَلْق لا شريك له ، وهو رَبُّ الأَرْبابِ ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ ، ولا يقال الربُّ في غَير ٱلله إلاَّ بالإِضافةِ ، ويقال الرَّبُّ بالأَلِف واللام لغيرِ اللهِ ، وقد قالوه في الجاهلية للمَلِكِ . قال الحارث بن حِلِّزة :

وهــو الــرَّبُّ والشَّهِيــدُ عَلــىٰ يَــوْ م الحِيــارَيْــنِ والبَــلاءُ بَــلاءُ (١)

الرَّبُّ هو الذي يعود الأمر والملك إليه ويتولىٰ عباده ؛ رعاية وعناية ورزقاً وملكاً وحكماً وحفظاً وعزة وسلاماً وأمناً ، وهو الذي يُدعىٰ خوفاً وطمعاً وطاعة ، إنه المجيب علىٰ السؤال الحق بالحق .

الربُّ الذي يُحمد علىٰ نعمه ورحمته هو ربُّ العالمين ، قال تعالىٰ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

[الفاتحة : ٢ ـ ٧] .

إذاً الربُّ الذي يُحمد علىٰ رحمته وفضله ونعمه هو ربُّ العالمين أي ربُّ الكافة ربُّ الخلق كل الخلق ، من سماوات وأرضين وما فيهما وما بينهما وكل

---

(١) لسان العرب ، ج١ ، ص٣٩٩ .

ما خلق حيث لا استثناء في خلقه ، والربُّ الذي يُحمد هو الرب الذي يَرحم ويؤتي الملك لأنه يملك ، وهو الربُّ الذي يُعبد ولا يشرك به أحد وهو الربُّ الذي يهدي إلىٰ الصراط المستقيم .

ولأن الربَّ واحد فكيف يحق للبعض أن يشرك معه ما يشرك ، أو أن يتخذ أرباباً من دونه ؟ فذوي الألباب هم وحدهم الموقنون بأن ٱلله واحد ، ولذا فهم لا يبتغون رباً غيره وهو ربُّ كل شيء ، وإليه تُرجع الأمور كلها ، وهو المنبئ بما فيه الناس يختلفون ، لأجل أن يتبيَّن الجميع الحق من الباطل في الدارين ، فمن يتخذ سبيله هواه فقد ضل ، ومن يهتدي فإنما يهتدي لنفسه وسيجد ٱلله رباً غفوراً ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام : ١٦٤ ـ ١٦٥] .

وإنه لمن الاستغراب أن يتخذ البعض أرباباً مخلوقة علىٰ النواقص من دون ٱلله الربِّ الأعظم ، فالذين يتخذون البقرة معبوداً أو الناقة معبوداً أو القرد معبوداً أو الشيطان معبوداً أو النار معبوداً وغيرها كثير ، أستغرب أن يتخذوا المنقوص معبوداً ويتركون الكمال الذي ليس في حاجة كما هو حال الأرباب من دونه ، فالبقرة والناقة والقرد منقوصة وهي دائماً في حاجة ؛ فهي تبول في الشارع وروثها متعفنٌ ويعفن الأمكنة التي تمر فيها أو تستقر فيها ، وعندما تمرض يُستدعىٰ لها الطبيب ، وعندما تحين الساعة تموت فلا تستطيع أن تنفع نفسها ، وأقول كيف حال الذين يعبدون المخلوقات التي تُذبح وتؤكل وإذا انفردت بها السباع قضت عليها بكل يسرٍ فهل هـٰذه تستحق أن تُعبد ، أم أن يُعبد الخالق الذي خلق كل شيء خلقاً ، خلق السمـٰوات السبع وخلق الأرض ورفع السماء بغير عمدٍ تُرىٰ واستوىٰ علىٰ العرش ملكاً وسلطاناً وهيمنة وقوة وقدرة ، وسخَّر الشمس والقمر والنجوم بأمره ، فله الحمد والشكر علىٰ خلقه وأفضاله ونعمه وخيره ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

الربُّ جل جلاله واحدٌ أحدٌ بعث الأنبياء والرُّسُل الكرام صلوات ٱلله وسلامه عليهم مبشرين وداعين للخير والإصلاح وإلىٰ طاعة ٱلله واتقائه فهم رُسُلٌ يبلغون رسالات ربِّهم ربِّ السمٰوات والأرض ربِّ العالمين وربِّ كل ما خلق ، ولذا بَعث ٱلله الرُّسُل لينصحوا الضالين حتىٰ يهتدوا إلىٰ الصراط المستقيم ، فهم يعلمون من ٱلله ما لا يعلم غيرهم ولهٰذا الناس في حاجة للأنبياء والرُّسُل الكرام ، حتىٰ بعثهم ٱلله برسالات من عنده بينت الضلالة من الهداية والحق من الباطل ، إنهم المرسلون الذين لا سفاهة بهم بل هم رُسُل مبلغون ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٦١ ـ ٦٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ٦٧] .

إذاً الرُّسُل هم المرسلون من ربُّ العالمين ليُبَلِّغوا ما أمروا بتبليغه وهو الحق المبين والله تعالىٰ مُعصم رُسُله من الناس ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٧] .

الرَّبُّ لا يطلق بالمطلق إلا علىٰ الذي لا ربَّ من بعده فهو الذي يخلق ولا يُخلق يؤتي ولا يؤتىٰ يُطعِم ولا يُطعَم ، باق ولا يزول ، فمن يتخذ ربّاً من غيره سيجده مُتخلّياً عنه وقت الشدة والحاجة ويومها لا ينفع الندم ، ومن يتبيَّن ويفكر ويتذكر فيما حوله وما يحاط به من معجزات لابد له وأن يتيقَّن الحق فيتبعه ، فعندما تيقَّنَ السحرة الذين جاء بهم فرعون لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وألقوا ما ألقوا وألقىٰ موسىٰ المعجزة التي كانت أمامهم آية تبينوا الحق من الباطل فاهتدوا فآمنوا برب العالمين الذي يعبده موسىٰ وهارون ومن آمن من المؤمنين

الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، مصداقاً لقوله ربِّ موسىٰ وهارون هو الربُّ الأعلىٰ تعالىٰ : ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٠ ـ ١٢٢] .

الربُّ العظيم هو الذي له صراط الهداية الذي يحقق العدل بين الناس فيما هم فيه يختلفون وهو الصراط التي يهدي للتي هي أحسن ، وهو الصراط الذي له من الفضائل الكريمة ما يكفي لتنظيم العلاقات بين الأفراد والشعوب والأقوام والأمم ، ولـٰكن الذين يتخذون أرباباً بدون صراط فكيف لهم أن يتخذوهم أرباباً وهم لا يخلقون جناح بعوضة ولا ذبابة ولو اجتمعوا ؟ قال تعالىٰ : ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

الرَّبُّ اسم صفة من صفات ٱلله تعالىٰ جاء المرسلون داعين لربٍّ واحدٍ هو ٱلله ، ولهـٰذا فهم لا يأمرون إلا بطاعته واتباع سبيله ، وهم يسخرون من الذين يتخذون من دونه أرباباً .

قال تعالىٰ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ ـ ٨٠] .

ولأن الرُّسُل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ يدعون إلىٰ ربٍّ واحدٍ فإن تولىٰ البعض ممن يدعونهم عن عبادة ٱلله رباً واحداً فلا يقنطوا من فضل ٱلله ورحمته ، فٱلله كفيل بالذين تولوا وعلىٰ الأنبياء أن يشتدوا حرصاً علىٰ الهداية إلىٰ توحيد الله ربِّ العالمين ، وعليهم أن يتوكلوا علىٰ ربِّ العرش العظيم ، مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

ٱلله تعالىٰ الذي أنزل القرآن كتاباً مفصَّلاً بالآيات المعجزات كافٍ لأن يُدافع عن آياته العظام ، حيث لا أحدَ يستطيع أن يأتي مثلها ، ولهـٰذا القرآن لا يُفترىٰ ، فهو لا ريب فيه من ربِّ العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس : ٣٧] .

وعليه الربُّ بالمطلق هو ٱلله ولا ربَّ غيره ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد : ١٦] .

وعليه نقول :

الربُّ العظيم ، حتىٰ أبالسة الجن به يؤمنون ، ولهـٰذا يستغرب كيف يتخذ البعض من الذين خلقهم ٱلله في أحسن تقويم ، يتخذون أرباباً غير ٱلله أو يتخذونها لتقربهم إليه زلفىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر : ٣٢ ـ ٤٠] .

فقول إبليس للربِّ العظيم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٣٩] يُفهم من هـٰذا القول ضعف إبليس الذي أغوته المفسدات ، ويُفهم أن ما يُفسد هو عمل أبالسة ، أي كل ما يغوي يجب أن يجتنب ، فهو لا خير فيه ومن لم يجتنبه سيجد نفسه في دائرة الأبالسة ملعوناً مع الملعونين .

ولأن تجربة إغواء إبليس جعلته من المغضوب عليهم فلماذا لا يستفيد الناس من هـٰذه التجربة التي أثبتت نتائجهاالخسران المبين ، ولماذا لا يعلمون أن ما يغويهم إلىٰ المفاسد هو عمل أبالسة فليتقوه ويجتنبوه ، وإلا سيكون

حالهم كما كان حال إبليس عليه وعليهم اللعنة إلىٰ أبد الآبدين .

الرَّبُّ هو الذي بيده الأمر فإن أراد شيئاً شاءه بالأمر (كن) فيكون كما شاءه كائناً ، فإن شاء لشيء في الأرض كان ، وإن شاء لشيء في السماء كان ، وإن شاء لشيء بينهما كان ، وإن شاء لشيء من السماء إلىٰ الأرض كان منزَّلاً تنزيلاً ، فالأمر بيده وحده لا شريك له في الأمر والملك يفعل ما يريد وهو الفعَّال لما يريد سبحانه لا إلـٰه إلا هو الملك المتعال ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤ ـ ٦٥] .

الربُّ هو العليم الذي لم يؤتنا من علمه إلا قليلاً ، ولهـٰذا ندعوه دائماً ربنا زدنا علماً من علمك الواسع إنَّك علاَّم الغيوب ، قال تعالىٰ : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

ولأن الرَّبَّ واحد فكل في فلك يسبحون ، ولو كان معه أربابٌ أخرىٰ لفسدت السمـٰوات والأرض وفسد كل شيء ، فسبحان ٱلله ربِّ العرش العظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

ومع أن الذين يعبدون أرباباً من دون ٱلله يعلمون أن الخالق هو ربُّ السمـٰوات والأرض ، ومع ذٰلك يتخذونهم أرباباً فيا ليتهم يتَّقون ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٦ ـ ٨٧] .

ٱلله تعالىٰ هو الذي وصف نفسه بالربِّ ، ووصف نفسه بربِّ العرش العظيم وربِّ العرش الكريم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ

ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون : ١١٦ ـ ١١٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل : ٢٦] .

ولأن الرب هو الذي بيده الأمر (كن) فهو علىٰ كل شيء قدير ، لقد بعث الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام تترىٰ فأفرد رسولاً واحداً للكافة هو سيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً فكان الرسول الخاتم علىٰ الأرض للكافة ولا رسول غيره ولا رسول معه ولا نبيَّ معه في الزمان والمكان والرسالة فجاء ليتمم مكارم الأخلاق ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وثنَّىٰ في المكان الواحد للشعب الواحد أو القوم الواحد في الزمن الواحد مثل موسىٰ وهارون عليهما السلام وهما رسُولا شد الأزر والمشاركة في الأمر ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه : ٢٩ ـ ٣٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦] .

وجمع مجموعة من الأنبياء مع الرسول الواحد ، وجمع رسولين في وقتٍ واحدٍ ولٰكن ليس في مكانٍ واحدٍ (إبراهيم في العراق وإسماعيل في مكة) ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم : ٥٤ ـ ٥٥] .

وقد يتساءل البعض :

من هو ربك ؟

بالمطلق هو ٱلله .

وبالنسبي هو الرحمـٰن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الرازق ، وهو كل الصفات الحسنىٰ سبحانه لا إلـٰه

إلا هو ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩١ ـ ١٩٣] .

ولأن الربَّ هو ٱلله تعالىٰ ، فٱلله بالمطلق هو الربُّ ولا ربَّ غيره ، ولهٰذا عندما نادىٰ ٱلله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال له : ﴿ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص : ٣٠] ، ولهٰذا فٱلله هو الذي سمىٰ نفسه ربَّ العالمين .

ولأن ٱلله هو ربُّ العالمين نزَّل الكتاب بالحق تنزيلاً لا ريب فيه ، قال تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة : ١ ـ ٢] ، ولأنه ربُّ العالمين فلا سلام إلا منه ولا رحمة إلا منه ولا رزق إلا منه ولا ملك إلا منه ولا سلطان إلا منه ولا علم ولا حكمة إلا منه ولا شيء إلا منه ، قال تعالىٰ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يسٓ : ٥٨ ـ ٥٩] .

ٱلله ـ جل جلاله ـ واحد لا شريك له ولهٰذا فهو الربُّ الواحد الأحد ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما ، وربُّ المشارق والمغارب وربُّ العرش العظيم لا إلٰه إلا هو سبحانه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات : ٤ ـ ٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [صٓ : ٦٥ ـ ٦٦] .

وعليه ما أجمل وأعظم قول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] علىٰ كل حال من الأحوال التي تكون في مرضاة ٱلله عز وجل ، أي نريد أن نُبيِّنَ أنَّه كلما حُمِدَ ٱلله قيل ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وهٰذا يدل علىٰ تلازم الصفة (ربِّ) مع الاسم (ٱلله) في كل حمدٍ كريم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] .

ولأن الربَّ هو السميع العليم المجيب قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ

ﱡﭐٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَﱠ [غافر : ٦٠ ـ ٦١] .

ولأن الربَّ واحد لا شريك له فهو الذي يحيي ويميت ويبعث يوم البعث وهو الذي يحاسب فيعاقب أو يثيب ، وهو الذي يُدخل الجنة ويدخل النار وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعّال لما يريد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان : ٦ ـ ٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل : ٨ ـ ٩] .

ولأن البعض من الخلق قد اتخذ من دون ٱلله أرباباً ، قال تعالىٰ : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ولأن الإجابة جاءت مطلقة من ٱلله تعالىٰ أنه الربُّ الأعلىٰ علىٰ كل الأرباب التي اتُّخِذَتْ من دونه لتعبد ، فلماذا لا يُتخذ بالمطلق رباً واحداً أعلىٰ هو ٱلله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد ، ولماذا لا نُسبِّحه كثيراً ونذكره كثيراً ونعظِّمه كثيراً مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلىٰ : ١] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٩٦] .

ولأن ٱلله تعالىٰ هو الخالق الأعلىٰ ، فالخالق الأعلىٰ يَخْلُقُ ولا يُخلَق ، فتبارك ٱلله أحسن الخالقين ، ولهٰذا يسبِّحُهُ الخليفة كثيراً وتسبِّحه المخلوقات الأخرىٰ بما هُيِّئَتْ عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى : ١ ـ ١٩] . فسبح اسم ربك الأعلىٰ ، تتطلب مُسبِّحاً باسمه تعالىٰ ، ولهٰذا فعندما يقال للخليفة سبح اسم

ربك الأعلىٰ ، ليس له بدٌّ إلا أن يقول : (سبحان ٱلله) ، فٱلله هو الرب الأعلىٰ ، ولا ربَّ سواه ، ولذا فسبِّح اسم ربك الأعلىٰ واذكره يقيناً واحداً أحداً .

وعليه كان الأمر بتسبيحه تعالىٰ يستوجب علىٰ المُسبِّح له بأن يقول : (سبحان ٱلله) وذٰلك لأنه لا ربَّ أعلىٰ غيره ، وهٰكذا يكون التتابع واليقين في التسبيح باسمه تعالىٰ .

وعوداً علىٰ سورة الأعلىٰ ، نلاحظ أمر التوكيد علىٰ اسمه الأعلىٰ ، (ٱلله جل جلاله وهو الاسم الأعظم) فسبحان ٱلله ، سبحان ٱلله ، سبحان ٱلله كلما تكررت أكدت وعضَّدت الإيمان فسبحان ٱلله ربِّيَ الأعلىٰ .

إذن استجابة للأمر المطلق ، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] يتطلب التسبيح باسمه جل جلاله .

وهٰكذا قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ يستوجب التسبيح باسمه ، فالذي خلق فسوىٰ تستوجب اعتراف المؤمن بقدرته علىٰ الخلق وهو المعجزة الكبرىٰ ، وهٰذه المعجزة الكبرىٰ تستوقف الخليفة المؤمن مما يجعله في حالة تأمل ويقين بقوله سبحان ٱلله ، ولهٰذا قوله تعالىٰ : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يستوجب التسبيح باسمه (ٱلله) وهٰكذا قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ يستوجب التسبيح باسمه تعالىٰ (ٱلله) .

وكذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ فالذي قدَّر وهدىٰ هو ٱلله ، وهو الربُّ الأعلىٰ الذي يستوجب ذكره والتسبيح باسمه جل جلاله ، ولأن الذي قدَّر فهدىٰ هو (ٱلله) فسبحانه كيف قدَّر وكيف هدىٰ ، ولذا فمن يتأمل في خلقه وهدايته لِما خلق ليس له بدٌّ إلا أن يقول سبحان ٱلله علىٰ ما قدَّرَ وهدىٰ .

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ ، هو ٱلله لا إلـٰه غيره ، ولهٰذا سبحان ٱلله الذي أخرج المرعىٰ ، أي سبحانه الذي خلق النبات نعمة واسعة منه ليكون للحياة معنىً وللطبيعة كسوة من البهاء والجمال ، فسبحانه علىٰ ما خلق وسبحانه علىٰ

ما أخرج مما خلق ، ولذا فالذي أخرج المرعىٰ هو ٱلله الذي يستوجب التسبيح باسمه جل جلاله ، ولهـٰذا كيف أخرج المرعىٰ معجزة تستوقف المؤمن لأن يذكره بقوله : (سبحان ٱلله) .

ومع ذٰلك ليس الغاية من قوله ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] هو أن يذكر المسبح ٱلله تعالىٰ ويمجده فقط ، ولـٰكن الغاية هي التمكُّن من إدراك المعجزات العظام والصفات الحسنىٰ والوقوف عندها والتأمل فيها من أجل توصيل دلائل كل معجزة من المعجزات إلىٰ الآخر المستهدف بالتبشير والهداية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى : ٥] أي إنَّه هو الذي غير حال الاخضرار في المرعىٰ ، وجعله يبساً جافاً ، هـٰذه معجزة أخرىٰ تستوجب من المؤمن التوقف ليدرك أنه ٱلله ، مما يجعل حال لسانه وقلبه معاً علىٰ القول : (سبحان ٱلله) وهو التسبيح باسمه عز وجل وأحداً أحداً ، ولا ربَّ أعلىٰ منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ ، الآية موجَّهة لمحمد ﷺ ، الذي اقرأه ٱلله فلم ينس شيئاً مما أقرأه جل جلاله ، ونظراً للكثرة الكثيرة لما تم استقراء محمد ﷺ به ، فلم ينس شيئاً منه ، إلا الذي لا يريده ٱلله له ، فسبحان ٱلله علىٰ ما أراده ٱلله ، وسبحان ٱلله علىٰ مقدرة محمد علىٰ عدم النسيان ، ولذٰلك فالمتأمل والمستقرئ لما أقرأ ٱلله تعالىٰ به محمداً ﷺ ، يجد نفسه أمام معجزة تغالبه بالحق مما يجعله علىٰ ذكر ربه (ٱلله) اعترافاً بالقوة والقدرة والعلو والوحدانية مما يجعله يقول (سبحان ٱلله) .

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي إن ربَّك الأعلىٰ الذي تسبحه يا محمد باسمه الأعلىٰ هو (ٱلله) الذي تدركه يقيناً ، وهو الذي خلق فسوىٰ ، ولذا فكان التسبيح تكراراً لاسمه الأعلىٰ (ٱلله) ، وهـٰكذا الخليفة عندما يقرأ قوله تعالىٰ : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يقول : (سبحان ٱلله) وعندما يقرأ قوله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ يقول أيضا : (سبحان ٱلله) وهـٰكذا يستمر التسبيح باسمه كلما قرأ آية من آيات سورة (الأعلىٰ) ، ولهـٰذا يكون التسبيح وفقاً للآتي :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلىٰ : ١] .

سبحان ٱلله . أي سبحان ٱلله الذي لا إلـه إلا هو عز وجل .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٢] .

سبحان ٱلله . أي سبحان ٱلله علىٰ ما خلق وسوّىٰ .

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٣] .

سبحان ٱلله . أي سبحان ٱلله علىٰ ما قدَّر وهدىٰ .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٤] .

سبحان ٱلله . أي سبحان ٱلله علىٰ إخراجه للمرعىٰ .

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٥] .

سبحان ٱلله . الذي جعل الأخضر يابساً .

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعلىٰ : ٦ ـ ٧] .

سبحان ٱلله .

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٧] .

سبحان ٱلله .

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٨] .

سبحان ٱلله .

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ٩] .

سبحان ٱلله .

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٠] .

سبحان ٱلله .

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الأعلىٰ : ١١] .

سبحان ٱلله .

﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٢] .

سبحان ٱلله .

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٣] .

سبحان ٱلله .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٤] .

سبحان ٱلله .

﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٥] .

سبحان ٱلله .

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأعلىٰ : ١٦] .

سبحان ٱلله .

﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلىٰ : ١٧] .

سبحان ٱلله .

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٨] .

سبحان ٱلله .

﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١٩] .

سبحان ٱلله .

وعليه فسبحان ٱلله ، تسبيح باسمه الأعلىٰ ، واعتراف بمعجزاته الكبرىٰ التي عُدِّدت في سورة (الأعلىٰ) .

ومع ذٰلك فمن يسبِّحه كما يسبح أثناء السجود بالقول : (سبحان ربِّيَ

الأعلىٰ) فهٰذا لا يخرج عن كونه أن الربَّ الأعلىٰ هو ٱلله جل جلاله ، فسبحان ٱلله ربِّيَ الأعلىٰ .

وفي مقابل ذٰلك نزل قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الوقعة : ٩٦] ثلاث مرات ، مرتين في سورة الواقعة ، ومرة في سورة الحاقة ، ولذا فسبح اسم ربك الأعلىٰ ، تعني : اذكره كثيراً ، أي اذكر اسمه كما سمىٰ نفسه ، ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه : ١٤] ، أمَّا قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٩٦] تستوجب التسبيح بالقول : (سبحان ٱلله العظيم) . ولهٰذا سبَّح رسول ٱلله ﷺ به في كل ركوع ، ومتىٰ ما أدرك التسبيح به عز وجل ، وهٰكذا يُسبِّح به المستخلفون فيها في كل ركعة يركعونها ومتىٰ ما يشاؤون اتصالاً به دون وسطاء ، ولهٰذا فالتسبيح باسم الرب العظيم هو تسبيح بٱلله العظيم جل جلاله .

وعلىٰ الخليفة أن يتعظ بدعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٤٢] .

وعلىٰ الخليفة أن يدعو ٱلله مخلصاً له الدين في طاعة والديه في غير معصية لله ربِّ العالمين وأن يعمل علىٰ رعايتهما والأخذ بيديهما والإحسان إليهما طاعة لله فيما قال في كتابه العزيز : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا

تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء : ٢٣ ـ ٢٧] .

اللهُمَّ ربَّ العرش العظيم وربَّ السمٰوات والأرضين وربَّ ما خلقت وأنت أحسن الخالقين أن تهب لنا حكماً وتلحقنا بالصالحين وأن تجعل لنا لسان صدقٍ في الآخرين وأن تجعلنا من ورثة جنَّة النعيم وأن تغفر لآبائنا ولا تخزنا يوم يُبعثون يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ ٱلله بقلب سليم .

اللهُمَّ ربِّ أدعوك بدعاء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح : ٢٦ ـ ٢٨] .

اللهُمَّ ربنا ندعوك بدعاء سيدنا محمد ﷺ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

الآمـر

الآمر : هو من بيده امتلاك الأمر واستصداره ، والقدرة علىٰ تنفيذه ومعاقبة من لم يستمع أو ينتهي أو يجتنب أو يتوقف أو يمتنع أو يُقدِم دون تردد .

الآمر : هو الأكبر والأعلىٰ والأعظم الذي يأمر وأمره نافذ .

الآمر : هو ٱلله تعالىٰ الذي يأمر ولا يُؤمر ، وهو مصدر الأمر المطلق .

الآمر : من أسمائه الحسنىٰ وهو ممتلك صفة الأمر والفعل المطلق وهو الذي يُطاع ولا يطيع ويسيطر ولا يُسَيْطَر عليه .

ولأن أمر الآمر تعالىٰ نافذ إذ لا مرد لأمره ، فالمنافقون الذين ينقضون عهد ٱلله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الآمر به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض فأولـئك هم الخاسرون مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

ولأنه الآمر عز وجل فأمره لا بد وأن يكون مفعولاً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧] .

ولذا فإن تساءل أحد :

ما هو المفعول في الآية السابقة ؟

إنَّه الأمر .

وأمر من الذي كان مفعولاً ؟

أمر ٱلله تعالىٰ .

إذاً من هو الآمر ؟

هو ٱلله جل جلاله سبحانه إنه الآمر تعالىٰ .

أمَّا الأمر فهو كل ما يتعلق بالمخلوق فعلىٰ المستوىٰ البشري الأمر غير محدد ، يمكن أن يكون أمر زواج ويمكن أن يكون أمر طلاق ويمكن أن يكون أمر مشاركة وتعاون وإعمار وإصلاح في الأرض ، ويمكن أن يكون أمر إفساد وسفك دماء فيها بغير حق ، ويمكن أن يكون الأمر سياسة داخلية أو سياسة خارجية ويمكن أن يكون أمر سلم أو أمر حرب ، ويمكن أن يكون أمر قتال وجهاد وغيره كثير . ولذٰلك فأمر الآمر يتعدد ويتنوع فقد يكون الأمر هو الفتح الذي به يدخل المسلمون الأمصار بعد أن تتم دعوة أهلها للهداية أو أن يكون الأمر اتفاقاً تتم به المعاهدات والمواثيق التي تنص علىٰ تبادل المنافع والتعاون إلىٰ حين الهداية وهٰكذا ، قال تعالىٰ : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة : ٥٢] .

ولأنه الآمر الأعظم فقد أمر بالقسط الذي يسود به العدل بين الناس فيما هم فيه يختلفون وكي لا يظلم أحد أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف : ٢٩] .

ومع أنه الآمر بالمطلق وهو ربُّ العالمين إلا أن البعض من الناس يضلون السبيل ويجنحون إلىٰ الكفر والشرك والفساد في الأرض ، فالذين عقروا الناقة وعتوا في الأرض مفسدين فأولـٰئك الكفرة لم يفلتوا من أمر الآمر جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

ومع أنه الآمر تعالىٰ وأمره يقين إلا أن البعض من البشر تهيَّأ لهم أنهم

قادرون علىٰ قلب الأمور عن مواضعها ولهـٰذا كان المنافقون مقلِّبين للأمور ولـٰكن أمر الآمر نافذ ولو كره الكافرون والمنافقون والمجرمون ، وبعد أن جاء الحق مؤيداً ومناصراً للنبي ﷺ عرفوا أنهم مهما قلَّبوا له ولقومه من الأمور فهم علىٰ يقين بالحق الذي جاءهم به الحق ، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٤٨] .

وعندما يصدر الآمر أمره فلا راد له ، فقد أصدر أمره بالغرق لقوم نوح الذين سخروا منه وكفروا بما دعاهم إليه من دين وهداية ، ولـٰكن ضعاف القلوب والإيمان ظنوا أنهم إن التجؤوا إلىٰ الجبل سيعصمهم من الغرق كما فعل ابنه الذي ليس من أهله ، ولأن أمره تعالىٰ نافذ فلم يعصمه الجبل من الغرق ولهـٰذا كان من الغارقين ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾ [هود : ٤٣] .

ولأنه الآمر وأمره مؤسس علىٰ قوله (كن) لذا فإن أراد لشيء أن يكون لا بد أن يكون في المكان والزمان والعمر الذي يشاؤه جل جلاله ، فعندما أراد أن يكون لإبراهيم الولد ـ مع أنه شيخ كبير ـ كان له الولد بالأمر كن برغم أن زوجه عجوز ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود : ٧٢ ـ ٧٦] .

ولأنه الآمر جل جلاله فقد أمر بعبادته واحداً أحداً حيث لا شريك له في المُلك والأمر سبحانه إنَّه الله الواحد القهَّار ، وأولو الألباب هم الذين أدركوا أمره فآمنوا ، أمَّا أولـٰئك الضعفاء فهم في حاجة لمن يرشدهم إلىٰ الحق ، قال تعالىٰ : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٤٠] .

ولأنه الآمر فأمره علىٰ أوجه :

ـ أمرٌ يتعلق بحادثة معينة أو شخص معيّن فيكون الأمر مقتصراً عليه ويمكن أن يتم الاقتداء بالأمر الذي جاء بذٰلك الشأن ، كأمر يونس في بطن الحوت وأمر أهل الكهف وأمر الغراب الذي بحث في الأرض ليواري سوءة أخيه وأمر سليمان والهدهد وأمر القرىٰ التي آمن سكانها والقرىٰ التي سكانها كفروا وأشركوا وعصوا وأمر نوح والطوفان وأمر قارون وفرعون وأمر الأمم السابقة وغيرهم كثير .

ـ أمرٌ قد صدر والعمل به لا ينقطع كالتكاثر والصلاة والصوم والحج والزكاة ، الجهاد والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ـ أمرٌ دائما يتجدد ولا ينقطع بين السماء والأرض وإنِ انقطع مؤقتاً علىٰ جزءٍ منها كالسحاب والرياح والأمطار .

ـ أمرٌ لا يقتصر علىٰ أحدٍ بذاته ويلحق الذين آمنوا وأخلصوا دينهم لله واحداً أحداً كالابتلاءات التي تصيب البعض .

ـ أمرٌ يعم وحاله لا يستقر كالمرض والشفاء .

ـ أمرٌ للخصوص كالعقم والعقر وهو الأمر الدائم لمن يشاء .

ـ أمرٌ يعم ولا يخص كالحياة والموت والبعث .

ـ أمرٌ يمكن توقُّعه مثل درجات الحرارة وسقوط الأمطار وهبوب الرياح والعواصف وغيرها كثير .

ـ أمرٌ قد وقع وانتهىٰ وهو أمر اصطفاء الأنبياء والرُّسُل الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ـ أمرٌ لا يقتصر علىٰ المُنزَل عليه وملزم لمن آمن به وهو الدعوة والتبشير بما جاء به محمد ﷺ (الرسالة الخاتمة) .

ـ أمرٌ لا يقتصر علىٰ دين أو شعب أو أمة بل هو عام (كفار ومشركين ومؤمنين) وهو مواصلة الأرحام طاعة لأمر الآمر جل جلاله .

ـ أمرٌ نعلمه ولا نعلم كيفيته وحيثياته ولا حتىٰ صفاته كأمر الروح التي هي بيد الربِّ جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء : ٨٥] .

ـ أمرٌ سيقع وهو غير المعلوم (أمر الغيب) .

ولأنه الذي أمر بمواصلة الأرحام فهو الذي يرىٰ في مواصلتهم رحمة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد : ٢١] .

الآمر عز وجل قد صدر شيء من أمره وهو كل أمر بيِّن ، وشيء لم يصدره وهو علم الغيب فما صدر من أمر ليس لنا بدٌّ إلا الطاعة والذي سيصدره متىٰ ما يشاء فنحن له طائعون ولا تغيير لما يشاؤه ٱلله عز وجل ، ومع أنَّه المصدر لأوامره ونهيه ، فهو الذي أمر ويأمر وهو الذي يترك الالتزام بالأمر من عدمه بيد الذين صدر لهم الأمر ولهٰذا جعل الحساب مؤجلاً ثواباً أو عقاباً ، فلا استعجال في أمره والفرصة بين أيدي خلقه متاحة ، وهو الغفور لمن يستغفر ويكفِّر عنه سيئاته وهو الرحمٰن الرحيم ، قال تعالىٰ : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل : ١ ـ ٢] .

ولأنه الآمر فمن أطاع أمره اهتدىٰ إلىٰ السبيل الحق وهو من المسلِّمين وجوههم وأمرهم إليه كالملائكة الذين سجدوا لآدم طاعة لأمر الآمر عز وجل ، وإن عصىٰ كما عصىٰ إبليس فكانت عليه اللعنة وهو في أسفل السافلين ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف : ٥٠] .

وكثير من الذين عتوا عن أمر الآمر تعالىٰ قد أُخذوا بما أتوا به من كفر

وشرك وفسق ونفاق وظلم وضلال كالذين أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، قال تعالىٰ : ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٨ ـ ٩] .

ولأنه الآمر فهو المُنزِلُ للأمر علىٰ من يشاؤه متىٰ ما شاءه ومع ذٰلك جعل لليلة القدر خصوصية تتنزَّل الملائكة والروح فيها ويتنزَّل الأمر فيها بإذنه علىٰ مختلف أنواعه وأشكاله وثماره ونعمه وأحكامه ، قال تعالىٰ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر : ٤ ـ ٥] .

ولأنه الآمر فهو الذي أمر قوم موسىٰ بذبح البقرة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] .

ولأنه الآمر فهو الذي أمر عباده بأن يؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها وهو الذي أمر بالحكم العدل بين الناس وفقاً للمواعظ التي أمر بها جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٠ ـ ٩١] .

ولأنه الآمر بالمطلق فلا أمر مطلق إلا له تعالىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

ولأنه الآمر قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

إذاً طاعة الرسول طاعة للآمر .

طاعة أولي الأمر في غير معصية لله هي طاعة للآمر .

إعادة ما يتم الاختلاف عليه إلىٰ ٱلله والرسول هو طاعة للآمر الذي أمر بذٰلك .

ولأنه الآمر فهو مُدبر الأمر (أي أمر) قال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

وعليه فلمن الأمر ؟

للذي بيده الأمر (الآمر) .

ومن هو الآمر ؟

هو ٱلله الواحد القهَّار الذي بيده الأمر جميعاً ، قال تعالىٰ : ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد : ٣١] .

إذاً الذي بيده الأمر هو مُدبره بالمطلق ، ولا مدبر معه للأمر سبحانه إنَّه ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [الروم : ٤] . وقال تعالىٰ : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] .

وعلىٰ الخليفة أن يتبيَّن كل أمر يتعلق بأمره في الحياة سواء أكان مع نفسه أو مع محيطه من الأقارب والأباعد ، وسواء أكان مع الآخرين علىٰ المستوىٰ الإنساني وأن يرسم سياساته وفقاً لِما أمر ٱلله تعالىٰ ليكون خير خليفة في الأرض وخير وارث في الدارين .

اللهُمَّ الآمر ! بأمرك كان كل شيء كائنٍ ويكون ، فاجعلنا بأمرك مهتدين وله طائعين خاشعين تائبين ، اللهُمَّ ! إنك أمرت إتباع الحق فاجعلنا لأمرك متَّبعين ولا تجعلنا من الفاسقين والمنافقين والمبدلين والشاكين والظانين .

اللهُمَّ ! إنك منزل الملائكة والروح فيها بأمرك من كل أمر ، فاجعل لنا في كل أمر مُدخل صدقٍ ومُخرجَ صدق .

اللهُمَّ الآمر ! بأمرك (كن) كانت الحياة فاجعل حياتنا نعيماً ، وبأمرك (كن) كان الموت فامتنا مسلمين ، وبأمرك (كن) سيكون البعث فابعثنا مع الوارثين ، اللهُمَّ ! بأمرك (كن) أوجبتَ طاعة الوالدين ومواصلة الأرحام ، فاجعل والدينا راضين عنا واجعلنا من الذين لأرحامهم مواصلين .

✍ ✍ ✍

النـــاهي

الناهي : هو من له صفة النهي عن مسببات الانحراف الذي يؤدي بصاحبه إلىٰ المهالك .

الناهي : هو الذي يعلم ما يترتب علىٰ ارتكاب الأفعال التي تؤدي إلىٰ المهالك قبل أن تُفعل فينهىٰ عنها حيطة .

الناهي : هو المبيِّن لِما هو حرام ولما هو حلال وما يقع بينهما من معطيات تؤدي إليهما ، فينهىٰ عن المؤدي السالب ويحث ويحرض علىٰ المؤدي الموجب إنه ٱلله جل جلاله .

الناهي : هو ٱلله الذي جعل الحدود التي يمكن بلوغها في مرضاته ، والحدود التي يمكن بلوغها في غير مرضاته ، فمن أطاعه انتهىٰ ومن عصاه تعدىٰ .

الناهي : هو علاَّم الغيوب يعلم بكل أمر ويبيِّن كل أمر وما يترتب عليه من موجبات أو سلبيات ، ويترك حرية القرار والاختيار لمن خلقهم في أحسن تقويم ليقرروا بإرادة كي يتحمَّلوا ما يترتب علىٰ ما يرتكبون ليكونوا من المستخلفين في الأرض والوارثين أم لا يكونوا .

وفي اللغة « النَّهْيُ : خلاف الأَمر نَهاه يَنْهاه نَهْياً فانْتَهىٰ وتناهىٰ : كَفَّ ؛ والنِّهايةُ كالغاية حيث يَنْتَهِي إليه الشيء وهو النِّهاء » [(١)] .

---

(١) لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٣٤٣ .

ولأن الناهي هو ٱلله تعالىٰ ، فقد نهىٰ أول ما نهىٰ رسوله الكريم محمداً ﷺ عمَّا دعاه إليه الكفرة والمشركون الذين اتخذوا من دونه أرباباً بأن يشاركهم عبادة الأوثان ، فطلب منه أن يقول لهم : إنَّ ٱلله قد نهاني عن عبادتها وعليكم أن تنتهوا فإن تنتهوا فهو خير لكم ، ويقول لهم : أنا رسول ٱلله يوحىٰ إليَّ فما تدعون إليه هو من دونه تعالىٰ ، فهو الخالق الأعظم والواحد الأحد فإن اتبعت أهواءكم إذاً قد ضللت ، فكيف أكون وأنا من المهتدين الذين إلىٰ سبيله يدعون ولا يُشركون ، قال تعالىٰ : ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام : ٥٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر : ٦٦] .

وعليه من الآيتين السابقتين من الذي نهىٰ الرسول محمداً ﷺ ؟

ـ ٱلله تعالىٰ .

وبأي صفة من صفاته الحسنىٰ قد نهاه ؟

ـ بصفة الناهي جل جلاله .

إذاً لا ناهي بالمطلق إلا الناهي المطلق عز وجل .

ولأنه الناهي عز وجل فقد نهىٰ عن كل ما من شأنه أن يُذهب العقل ويُسيء للأخلاق ويسيء بحسن التصرف ، ويؤدي إلىٰ الشقاق وإيقاد نار الفتنة ويُدخل الشيطان في الأعمال التي تذكي العداوة والبغضاء بأسباب متعددة منها ، شرب الخمر ولعب الميسر الذي يصد العباد عن ذكر ٱلله ، وذٰلك بافتتانهم بلعبه وانشغالهم به عن ذكر ٱلله وعن أداء العبادات التي منها الصلاة التي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فمن ينتهي فقد فاز ومن لم ينته فقد ضل وما ربك بظلام للعبيد ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩١] .

الناهي جل جلاله غايته من النهي هو التكفير عن الكبائر ، فالذي دخل في

دائرة الكبائر ثم انتهىٰ طاعة لله الناهي عن الكبائر يكفِّر عنه سيئاته ويُدخله مدخلاً كريماً مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء : ٣١] .

الناهي جل جلاله ينهىٰ كي لا تكون الفتن والشقاق والعداوة والبغضاء والاقتتال بين العباد ، ولذا جاء نهيه للذين نقضوا مواثيق عهدهم من المشركين بالقتال لا بالنصيحة والرأي ، فهم مشركون وناقضو عهد وموثق ، فهـٰؤلاء هم أئمة الكفر الذين لا إيمان لهم ولهـٰذا قتالهم حق وهو الذي قد يكون المسبب في انتهائهم عما سبق نهيهم عنه مع الذين آمنوا ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١٢ ـ ١٣] .

ويقال إنَّ من بين أئمة الكفر : « أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين همُّوا بإخراج النبي والذين أمنوا » (١) .

الناهي تعالىٰ هو الذي قال في كتابه الحكيم : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر : ٧] .

إذاً طاعة الرسول ﷺ وأمره طاعة الله تعالىٰ ، ونهي الرسول هو نهي من عند ٱلله تعالىٰ ، فنهي الرسول من نهي الناهي الأعظم عز وجل ، ولذا فالتناهي بين المؤمنين من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل هو طاعة لأمر الناهي تعالىٰ ، فالذين آمنوا بالحق مع محمد رسول ٱلله ﷺ هم متناهون ولهـٰذا فهم

---

(١) تفسير الطبري ، ج١٤ ، ص ١٥٤ .

لا يتماثلون مع اليهود الذين لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة : ٧٩] .

الناهي جل جلاله هو الذي ينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] .

ولأنه الناهي الأعظم جعل العبادات يومية وأسبوعية وسنوية وليلية ونهارية وفجرية ومغربية أي لم يقصرها علىٰ وقت من أوقات اليوم بل جعلها مبثوثة فيه لتعم اليوم بكامله ، فالصلاة خمس مرات فرضاً وتتبعها نوافل من ورائها حِكم هو يعلمها ونحن نعظِّمها ، ولذا فممارسة العبادات طاعة لله تعالىٰ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر بذكر ٱلله ولذكر ٱلله أكبر ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

ولأنه الناهي فهو الناهي لذوي العقول الذين يتذكرون ويتدبرون ويتَّقون ربَّهم فيما هم عليه قائمون وله فاعلون ، فهم الذين يحمدون ٱلله علىٰ ما آتاهم من نعم ورحمة ، والذين يتدبرون ويتفكرون ويتذكرون وهـٰؤلاء هم أولو النهىٰ الذين قال عنهم تعالىٰ في كتابه الحكيم : ﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه : ٥٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه : ١٢٨] .

والخليفة في الأرض هو الذي يقف عند كل حدٍّ حدَّه له الناهي وأن لا يتجاوزه فإن تجاوزه خرج من دائرة المستخلفين في الأرض ، وإن وقف عند حدِّهِ الذي حُدِّدَ له وانتهىٰ عنده كان من المستخلفين فيها ، وعليه أن ينتهيَ عما نهىٰ عنه الرسول الكريم محمد ﷺ فنهيه من نهي الناهي جل جلاله ، وإن يقبل التناهي من الذين هم لربهم طائعون وأن ينهىٰ غيره من الذين يمرون علىٰ ما نهىٰ ٱلله عنه مر الغافلين وعليه أن يُذكِّرَ وينهىٰ من أجل الحق وإحقاقه

والباطل وزهقه ويتقي ٱلله تعالىٰ ربَّه في كل تذكيرٍ وأمر ونهي .

اللهُمَّ الناهي ! اجعلنا منتهين عمَّا نهيت وطائعين لِما أمرت ، اللهُمَّ ! إنك نهيت عن الكفر والشرك بك فبك آمنَّا ، اللهُمَّ الناهي ! قلت وقولك الحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ـ ٩١] اللهُمَّ ! فاشهد أنَّا منتهون وللشيطان وأعماله لاعنون طاعة لك ولرسولك الكريم ولما أمرت ونهيت ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

✍ ✍ ✍

الـواعِظُ

الواعِظُ : هو الذي يعلم بما لا يعلم الموعَظُ ، فهو الذي يعلم العاقبة المترتبة علىٰ الفعل المستهدف بالأداء قبل أن يتحقق .

الواعظ : هو المرشد للحق عن تبيُّنٍ وخبرة وعلمٍ .

وفي اللغة : « الوَعْظ والعِظَةُ والعَظَةُ والمَوْعِظَةُ : النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب » (١) .

والواعظ بالمطلق هو ٱلله الذي يعلم بالشيء وحاله ، والمخلوق وحاله وما يجب حياله ، فيعظ بما يجب قبل الإقدام علىٰ أي خيار من الخيارات في دائرة الممكن علىٰ المستوىٰ البشري .

الواعظ جل جلاله هو الذي أنزل لنا كل ما يجب أن يُتَّبع ، وكل ما ينبغي اجتنابه وكل مُحرَّم وكل منهي عنه ، لنتعظ بقصصه وحكمه في التنزيل الحكيم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

ولأنه الواعظ لقد بيَّن كل شيء تبييناً وتفصيلاً ، ففي ما يتعلق بالأمانات والحكم قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

إذاً من مواعظه كما جاء في الآية الكريمة السابقة :

ـ أن تؤدىٰ الأمانات إلىٰ أهلها وإلا ستكون المشاكل والمفاسد في الأرض .

---

(١) لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٤٦٦ .

ـ وإذا حكم أحد بين الناس أن يحكم بالعدل وإلا ستنتشر المشاكل والفتن في الأرض .

ولأنه الواعظ فهو الذي أنزل الحِكم والفضائل الحسنة التي ترشد لأفعال الخير ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

يُفهم من هٰذه الآية الكريمة مجموعة من المواعظ التي إنْ سادت بين العباد سادت بينهم الرحمة . ومن هٰذه المواعظ :

ـ **العدل :** فضيلة مُرضية لجميع الأطراف حيث لا ظلم من بعد سيادة العدل .

ـ **الإحسان :** فضيلة وقيمة تربط الناس بأحاسيس المودة والمحبة والألفة فإن سادت ساد التلاحم والوحدة وانتهت الفتن بين العباد .

ـ إيتاء ذي القربىٰ حقوقهم التي أوجبها ٱلله في شرعه .

ـ النهي عن الفحشاء التي تُفسد مكارم الأخلاق .

ـ النهي عن المنكر الذي نهىٰ ٱلله عنه وجرَّم فاعليه .

ـ النهي عن البغضاء التي تملأ الأنفس بالحقد والكراهية وتؤدي إلىٰ المكائد والدسائس بين الناس .

الواعظ جل جلاله ربُّ الخلق جميعاً يَودُّ لخلقه أن تسودهم المودة ، ولهٰذا يعظ الناس عن ارتكاب المحرمات وينهىٰ عنها ولذٰلك فقد نهىٰ عن البهتان والكذب علىٰ الناس حتىٰ لا تكون الفتنة ونهىٰ عن العودة إليه فالعودة إليه ذات إثم عظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ١٥ ـ ١٧] .

ولأنه الواعظ عز وجل فقد وعظ عباده أن لا يعودوا لِما حُرِّم بعد أن كان

محللاً ، كما هو حال الذي يعود لزوجته بعد أن طلقها طلاقاً يُحرِّمها أن تعود ثانية له إلا بعد تحليل قبل أن يتماسا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة : ٣] .

ولأنه الواعظ جعل الألواح والزبور والكتب السماوية هي مجمع الحكم والمواعظ الحسنىٰ فمن أخذ بها أخذ بالحق ، ومن غفل عنها غفل عن الحق ، ومن غفل عن الحق ضل السبيل ، ومن أراد أن يهتدي إلىٰ الحق فعليه بالحق الذي أُنزِلَ في الكتاب الحكيم ، ولهـٰذا ـ في زمن نزول الألواح ـ كانت هي مجمع المواعظ والحكم ، ومن بعدها جاءت الكتب السماوية خير جامع للحكم والمواعظ التي تهدي للطريق المستقيم ، قال تعالىٰ : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

الموعظة هي فضيلة حسنة فمن أخذ بها أخذ بما هو أحسن تفضيلاً ، ولذا فالموعظة تُذكِّرُ العباد بما ينبغي أن يفعلوا حتىٰ لا يضلوا السبيل الحق فيصبحوا علىٰ ما يفعلون نادمين ، والموعظة إن أخذ بها أصبحت هي الشفاء للصدور أي شفاء للأنفس والعقول من الجهل الذي يقود للتهلكة ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٥٧] .

الواعظ هو من يعلم الغيب والشهادة ، وما تكنه وما تبديه الصدور ، فهو الذي لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا في الأنفس ولا القلوب ، ولذا فمن يعظه ٱلله بموعظة عليه الأخذ بها وإلا سيكون من النادمين وحينها لا ينفع الندم ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟

أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء : ٦٦] .

وعلىٰ الخليفة أن يتعظ بمكارم الأخلاق وبالأخذ بالفضائل التي وعظ بها الواعظ عز وجل ليكون الإنسان خير خليفة علىٰ الأرض ، ولا يمكن أن يكون الإنسان خليفة إن لم يأخذ بما وعظ الواعظ جل جلاله في كل ما يجب أن يقال وكل ما ينبغي أن يُفعل ويُعمل ، ولهٰذا فاتباع الموعظة يؤدي إلىٰ سلامة القول ، والفعل ، والسلوك ، وسلامة النفس ، والقلب ، والبدن من الذنوب ، وارتكاب الأخطاء .

ولأنه خليفة فهو الذي يأخذ بما أمر الواعظ ، وينتهي عما نهىٰ عنه ، وبعلمه ، وإيمانه بالنعم التي تُجنىٰ من وراء الأخذ بالمواعظ عليه أن يُسهم في وعظ الآخرين الذين في حاجة لأن يوعظوا ، حتىٰ تسود القيم الحسنة النظم الاجتماعية ، والإنسانية ، ويؤخذ بها في المقررات ، والمناهج التربوية ، والتعليمية من أجل جيل حميد السلوك والسيرة .

اللهُمَّ الواعظ ! عضد إيماننا بما وعظتنا به ، واجعلنا من المنتهين عمَّا نهيت ، والمحرِّمين لما حرمت ، والمجتنبين لما وعظت الاجتناب عنه ، والآخذين بما وعظت ، وأمرت ، اللهُمَّ! إنك الواعظ ووعظك الحق فاجعلنا متعظين طائعين حامدين شاكرين وغير مبدِّلينَ .

اللهُمَّ الواعِظُ ! إنَّ اتباع مواعظك يوفي الكيل والميزان ويضاعف الحسنات ويزيد النعم فأنعم علينا باتباع مواعظك التي أنزلتها في الكتاب الحكيم وأرسلت بها محمداً كما أرسلت من قبله رُسُلك الكرام عليهم السلام .

اللهُمَّ الواعظ ! في مواعظك الحكمة فاجعلنا علىٰ الحكمة ولا تجعلنا من الذين يتبعون هواهم واجعلنا من الذين اهتدوا بمواعظك ولا تجعلنا من الضالين .

المُـنْـزِلُ

المُنزِلُ : هو الأعلىٰ الذي منه تتنزَّل الخيرات والجنود المسخرة لمناصرة الحق ، وهو الذي يملك كل ما من شأنه أن يُنزَّل تنزيلاً .

المُنزِلُ : صاحب المنزلة الرفيعة (العرش العظيم) وهو المحيط الذي بإحاطته يعلم بالحال والحاجة ويُنزِّلُ ما يشبع كل حالٍ من الحاجة .

والمُنزِلُ جل جلاله : هو مُنزلُ الملائكة والروح ومُنزِلُ المطر ومُنزِلُ الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن والزبور والصحف والألواح ، والوحي الذي به تطمئن القلوب والأنفس ، وهو الذي يُنزِّلُ جنوداً من عنده سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير .

المنزِلُ : هو الذي لا ينقطع تنزيله أبداً ولا شيء ينزل بدون أمره ولا مُنزِلَ غيره ، وهو الذي يُنزل ما لا يحصىٰ وما لا يتحكم فيه غيره فإن شاءها رحمة كانت وإن شاءها نقمة كانت .

وعليه لا ينزل شيء من السمٰوات إلا من المنزِلِ الذي بأمره كن يكون المتوقع وغير المتوقع ويكون المستحيل .

المنزل هو الذي أنزل المعجزات والآيات العظام علىٰ رُسُله الكرام صلوات ٱلله وسلامه عليهم قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٤ ـ ٥] .

الخطاب موجه إلىٰ رسول ٱلله سيدنا محمد ﷺ الذي آمن به وبما أنزل

عليه بعض من أهل الكتاب الذين سبق لهم الإيمان بما أنزل المُنزِلُ جل جلاله من رسالات ، وأولـٰئك هم علىٰ هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون بما آمنوا وعملوا من صالحات .

الذين يكفرون بما أنزل المنزل تعالىٰ من فضله علىٰ من يشاء من عباده الصالحين أولـٰئك عليهم الغضب الشديد الذي باؤوا به من ٱلله ، وإنه لمن الغرابة أن يؤمن بعض من بني إسرائيل بما أنزل المنزل عليهم ، ولا يؤمنون بما أنزل علىٰ محمد ﷺ ، هـٰؤلاء هم الحاسدون الذين يحبون أنفسهم ولا يحبون الآخرين ، وهم الذين سبق لهم الكفر بالأنبياء من قبل موسىٰ حتىٰ إنهم قد فعلوا فاعلة القتل ببعضهم ولذا لا استغراب منهم أن لا يؤمنوا برسالة الكافة والخاتمة للرسالات المنزلة من المنزل عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٠ ـ ٩١] .

المسلمون الحق هم الذين آمنوا بكتبه ورُسُله ولا يفرقون بين أحدٍ من رُسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فالذين آمنوا بمحمد رسولاً طاعة لأمر المُنزِلُ الذي أنزل عليه الكتاب رسالة خاتمة للرسالات السماوية ، هم مأمورون أن يؤمنوا بكل الرُّسُل الذين أرسلهم المُرسِلُ تنزيلاً مفصلاً ، وهـٰؤلاء منهم من هو معلوم ومنهم من هو غير معلوم ، ومع ذٰلك المسلم يصلي ويسلم علىٰ جميع رسله الكرام من قصَّهم فيما أنزل من رسالات ومن لم يقصصهم ، فالمؤمنون هم الذين يؤمنون به تعالىٰ ربًّا واحداً لا شريك له وبرُسُلِهِ طاعة لأمره وإتباعاً له والتزاماً به ، قال تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، وقال تعالىٰ : ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

المُنْزِلُ هو ذو صفة الإنزال قوة وأمراً ، فبفعله يَنزل كل شيء يشاؤه ، فكما يُنزِلُ الرسالات علىٰ رُسُله ينزل الماء من السماء مطراً به تسيل الأودية وتخضرُّ الأرض وتعمر وتنعم المخلوقات التي تعيش عليها ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وعليه بصفة الإنزال يُنزل المنزل الغيث بعد أن يرفع الماء بخاراً إلىٰ السماء بصفة الرافع فسبحانه الواحد الأحد الرافع المنزل جل جلاله الذي رفع الماء من البحار والمحيطات والأنهار بخاراً إلىٰ السماء لينقله إلىٰ الأرض الجرز بعد أن ينزل مطراً رحمة علىٰ الأرض والعباد الذين هم في حاجة .

إن الذي رفع السماء هو الذي يُنزِلُ منها الماء المرفوع إليها رفعاً ، ولذا فكل مُنزل علىٰ الخلق هو رحمة سواء أكان عذاباً شديداً أم كان نعمة شديدة ، فإنزال العذاب الشديد علىٰ المجرمين والمفسدين في الأرض رحمة علىٰ الذين آمنوا وهم مصلحون من حيث كسر قيد المفسدين في الأرض وسافكي الدماء فيها بغير حق ، فالانتقام من القتلة والمجرمين المفسدين الذين يعتدون علىٰ العباد بهتك أعراضهم أو أخذ أموالهم أو تعذيبهم وقتلهم ، فهٰؤلاء إنزال العذاب بهم رحمة علىٰ المظلومين والمصلحين في الأرض ، وإلىٰ جانب ذٰلك إنزال المنزل للنعم علىٰ عباده رحمة مباشرة بها ينعم الذين هم في حاجة وتطمئن أنفسهم وتروق أحوالهم .

المُنزِلُ عز وجل هو الذي يُنزل ما يشاء ليظهره علىٰ من لهم علاقة بما أنزل فلا ينبغي أن يُكتم ما أنزله المنزل بل ينبغي التسليم به والأخذ بالعبر التي تكمن من وراء إنزاله وإظهاره للعيان ، فما أنزله المنزل من الكتاب لا يكتم

ولا يُشترىٰ به ثمناً قليلاً فالذين يفعلون ذٰلك هم الذين يأكلون في بطونهم ناراً مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٤ ـ ١٧٦] .

المُنزِلُ : هو الذي يُنزل القول والفعل أمراً نافذاً (كن) ولذا فقوله حق يُحق ، لقد أنزل القرآن آيات بيِّنات هدىً للناس ورحمة ليتبيَّن كل خلق أمرهم حتىٰ لا يظلم ربُّك أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ولأن المنزل هو المنزل لكل شيء يشاؤه فهو كما يُنزل الطمأنينة يُنزل الخوف والاضطراب ، وكما يُنزل العذاب يُنزل الثواب ، فالذين أنزل عليهم الغم بأسباب فعلوها ، هو الذي أنزل عليهم ما يُفرج كربهم ، وبما تطمئن قلوبهم وأنفسهم بعد أن يفعلوا ما يرضي المنزل جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

المُنزِلُ جل جلاله هو الذي لا يُنزل إلا يقيناً ، فالذين يظنون بزعمهم أنهم من المؤمنين وهم في حقيقة أمرهم ليسوا بمؤمنين كما يجب أن يؤمنوا سواء أكانوا من أهل الكتاب الذين سبقوا رسالة محمد أم كانوا من الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ فهٰؤلاء ومن علىٰ مثلهم إن رضوا أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت فأولـٰئك هم الضالون ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء : ٦٠ ـ ٦١] .

المُنزلُ هو الأعلم بما أنزل علىٰ رسوله محمد ﷺ من آيات الذكر الحكيم ، ولذا فالمكذبون بما أنزل لا تستوجب شهادة منهم ، فٱلله خير المنزلين وخير الشاهدين ، وكذٰلك ملائكته خير شاهدٍ ، ومع ذٰلك عندما يكون الشاهد هو المُنزل فلا داعي لشاهدٍ غيره ، قال تعالىٰ : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٦٦] .

ولأنه المُنزِلُ فهو الذي أنزل التوراة ليحكم بنورها النبيون الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة : ٤٤ ـ ٤٩] .

وعليه فمن لم يحكم بما أنزل ٱلله فأولـئك هم الفاسقون ، والذي يحكم بما أنزل ٱلله بين الناس لا يظلم أحداً ، فهو الذي لا يتبع هواه ولا يتبع أهواء

المتخاصمين في الأمر ، بل يتبع أمر المنزل للحق ليحكم به بين المتخاصمين والمختلفين ، وعلىٰ الحَكَم بين الناس أن يراعي خصوصية كل قوم أو أناس فالله أنزل لكلٍ شِرعةً ومنهاجاً ، وعلىٰ من يرتضي أن يكون حكما بين الناس أن يحذر الفتنة التي قد تحيد به عمَّا أنزل المنزل من حق ، فلا مرجع له إلا الكتاب الذي أنزلت فيه الآيات الكريمة لتفصل بالحق بين الناس .

ولأنه المنزل الحق فلا مُنزل غيره للحق ، وما يُنزله من حق يُبلَّغُ دون تأخير ، ومن لم يُبلِّغ بذٰلك ما بلَّغ رسالة ربِّه ، ولهٰذا عصم الله عز وجل سيدنا محمداً ﷺ من الناس لأجل أن يبلِّغَ ما أُنزِلَ إليه من ربِّه ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٧ ـ ٦٨] .

ولأنه المنزل لكل شيء يشاؤه فقد أنزل المائدة العظيمة آية للشاهدين والسائلين ، فهو كما أنزل المطر وأنزل التوراة والإنجيل وأنزل القرآن الكريم أنزل المائدة من قبل استجابة لسؤال عيسىٰ عليه السلام فكانت عيداً لقومه أولهم وآخرهم ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة : ١١٤ ـ ١١٥] .

وعليه فالمُنزَلُ هو الذي أنزل بالأمر (كن) الكتاب الذي جاء به موسىٰ والكتاب الذي جاء به عيسىٰ والكتاب الذي جاء به محمد ، ولهٰذا لا شك في أن المنزل واحد لا إلـٰه إلا هو ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ

حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام : ٩١ ـ ٩٣] .

إذاً لو سأل سائل :

من الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ ؟

كل الذين آمنوا بالتوراة في زمن موسىٰ ومن بعده في زمن عيسىٰ وزمن محمد والذين آمنوا بما انزل ٱلله تعالىٰ جميعهم يقولون المنزل هو ٱلله .

وهٰكذا تكون الإجابة لمن يسأل عن الذي أنزل الكتاب علىٰ عيسىٰ والذي أنزل الكتاب علىٰ محمد عليهما السلام تكون الإجابة :

لا منزل للكتاب إلا ٱلله تعالىٰ .

وعليه ما يُنزل من ٱلله يُتَّبع هداية ، ونوراً ، وذكرىٰ للمؤمنين الذين اتبعوا ما أُنزِلَ لهم من ربِّهم ، قال تعالىٰ : ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٢ ـ ٣] .

وإذا سأل سائل :

من الذي يُنزل من السماء مطراً ؟

المنزل هو ٱلله مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ﴾ [النحل : ١٠] .

ولأنه المنزل جل جلاله ، فهو الذي أنزل سكينته علىٰ رسوله الكريم محمد ﷺ وعلىٰ الذين آمنوا به ، وبما أنزل عليه من ربِّه كتاباً منزَّلاً ، وهو الذي أنزل عليهم جنوداً تناصرهم حتىٰ كتبت لهم الغلبة ، وفازوا فوزا عزيزا ، قال تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة : ٢٦] .

ولأنه المُنزِلُ فهو مُنزِلُ الرزق حلالاً طيباً ، ولهـٰذا لا يحق لأحدٍ أن يحلل بعضه ويحرِّمَ بعضه كما فعل المشركون الذين أحلوا وحرَّموا الرزق بغير علم وبغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] .

ولأنه المنزل فهو الذي أنزل ويُنزِل الملائكة بالروح من أمره وذٰلك لاختصاصه بأمر الإنزال للروح ، قال تعالىٰ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] .

ولأنه المُنزِلُ فهو الذي يعلمُ مالا نعلم وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٦] .

لقد نزل القرآن بلغة العرب وعلىٰ رسولٍ منهم هو محمد ﷺ ولهـٰذا فقد أنزل بلغة واضحة المفاهيم والمعاني والدلائل لترشد للتي هي أحسن وأقوم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] .

والقرآن الذي أنزله تعالىٰ بلغة عربية وبرسولٍ من العرب أنزله في شهر رمضان في ليلة مباركة هي ليلة القدر ؛ أي ليلة الفوز بالمكارم والخيرات الحسان ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر : ١ ـ ٥] .

وعلىٰ الخليفة في الأرض أن يعلم الحق الذي أنزله المُنزِلُ في كتابه الحكيم لكي يتَّبعَ السبيل الحق وإنْ حَكم بين الناس أن يحكم بينهم بالعدل ولا يظلم أحداً ويتقي ٱلله الذي أنزل شرائعه هداية للعالمين وأنْ لا يغفل عن الخصوصية التي تخص كل شعب أو أمة أو جماعة ليحكم بينهم مع فائق التقدير لأعرافهم والقيم التي يُقدرونها أحسن تقدير فالدين الذي أُنزِلَ علىٰ محمد ﷺ هو دين الكافة ولأن الكافة ليست علىٰ دين واحدٍ فينبغي اعتبار الخصوصيات

وعدم الإكراه حيث لا إكراه في الدين ، مع اعتبار لكم دينكم ولي دين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون : ١ ـ ٦] .

اللهُمَّ المُنْزِلَ للآيات والذكر الحكيم أنزل في قلوبنا المودة والإيمان لنذكرك كثيراً ونحتكم بما أنزلت عدلاً آمنين ، اللهُمَّ إنَّك المُنزِلُ للمطر من السماء بعد ما رفعته بخاراً من الأرض أنزل الغيث علينا وعلىٰ أنعامنا رحمة ونعمة ، اللهُمَّ إنك المُنزِلُ لكل شيء تشاؤه من السماء فاجعل السماء مدرار خيرٍ علينا لا مدرار نقمة .

اللهُمَّ إنك أنزلتَ القرآن في ليلة القدر التي تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذنك فأنزل الملائكة علينا سلاماً وملوكاً حافظين لنكون في الأرض من عبادك المستخلفين وفي الجنة من عبادك الوارثين .

✍ ✍ ✍

الـراضي

الراضي : هو من لا تلحقه النواقص ، والندم ، وهو الذي يقبل الأعمال من المرضي عليه في رضائه تعالىٰ .

الراضي : من يرضىٰ بالأعمال ؛ سالبها بالعقاب ، وموجبها بالثواب ، وهو من لا يكون علىٰ الحاجة ليكون غير راضٍ .

وعليه فالراضي : هو ٱلله تعالىٰ بأفعاله ، وصفاته الحسنىٰ ، ونعمه التي لا تُحصىٰ ، فهو علىٰ كل شيء قدير ، فإن أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

ولذا فالراضي : هو الذي في ذاته الرضاء حيث لا رضا إلا ومستمد منه ، فهو الذي يمد بالرضاء ، ولا يستمده من شيء .

الرضا : قبول بالقول أو الفعل أو الاثنين معاً ، عن إرادة مع تقدير لكل قول ولكل فعل .

الرضا : مكون فضائلي بين ٱلله وخلقه ، ومكون قيمي بين الناس بعضهم البعض ، وفي كلا الحالتين الرضا ممتد غير متوقف ، بل متصل من الدار الدنيا إلىٰ الدار الآخرة ، ولهٰذا فمن أراد نيل رضا الراضي جل جلاله ، فعليه بأن يقول الحق في الدار الدنيا ، ليكون من المرضي عنهم في الدار الآخرة ، ومن أراد أن ينال رضا الراضي العظيم في الآخرة ، فعليه أن يعمل خيراً في الدار الدنيا ، ومن أراد أن يحصد الخير الوفير في الآخرة ، عليه بزراعة بذوره في الدار الدنيا التي فيها التربة الصالحة لزراعة الخير ، ولٰكن الذين لا يزرعون إلا الشرور ، فلن يجنوا إلا العذاب الشديد .

وخير مخرجٍ من هٰذه الدار إلىٰ الدار الآخرة ، هو الصدق بالقول الحق ، والفعل الحق ، وخير مجازٍ علىٰ الصدق هو الراضي الذي برضاه يدخل الصادقين الجنة ، أمَّا أولـٰئك المنافقون والفاعلون للشرور ، والمفاسد في الأرض لن ينالوا إلا العذاب الشديد ، وجزاؤهم جهنَّم خالدين فيها أبداً .

فالحمد لله جاعل يوماً ينفع فيه الصادقين صدقهم ، بأن لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، والحمد لله الذي جعل الخلود في النار للكفار مساوياً للخلود في الجنة للصالحين ، والذين قد أصلحوا في الدار الدنيا ، والحمد لله الذي جعل الرضا متبادلاً بينه وبين عباده الذين أصلحوا ولم يُفسدوا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة : ١١٩] .

ولأنه الراضي فهو الذي رضي علىٰ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فكتب لهم الجنة ، والسابقون هم الذين بايعوا الرسول الكريم محمداً ﷺ بيعة الرضوان ، وهم الذين كانت لهم الأسبقية في دخول الإسلام فهاجروا وناصروا فكان أن رضي ٱلله عليهم بالتآخي والمشاركة والتآزر والوحدة التي بها تحقق لهم النصر تحت راية رسول ٱلله ﷺ ، ورضوا عنه جل جلاله ، السابقون بوعده لهم الجنة ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

ولأنه الراضي فهو الذي رضيَ عن المؤمنين الذين بايعوا رسول ٱلله محمداً ﷺ تحت الشجرة المباركة بايعوه عن صدقٍ وصفاء نية لا تخاذل ولا نفاق فهم الذين جازاهم ٱلله مرتين :

الأولىٰ في الحياة الدنيا بنيل رضا ٱلله تعالىٰ عليهم بأن أنزل السكينة عليهم

وأثابهم فتحاً عزيزاً كان متحققاً في حياتهم برضا الراضي جل جلاله ، ثم مدهم بمغانم كثيرة قد أخذوها أخذاً كريماً ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ١٨ ـ ١٩] .

ولأنه الراضي بالمطلق فقد جعل رضاه صفة يمكن لمن أراد أن يستمد صفة الرضاء منه ، فليستمدها بالإيمان والإسلام والعمل الصالح والفلاح في الأرض وإعمارها والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ، ومن يستمد صفة الرضا من الراضي تعالىٰ يصبح من الراضين برضا الراضي وبما يرضيه عنهم وعن غيرهم ، ولذا فالذين ينالون رضا الراضي لا يمكن أن يناصروا ظالماً أو كافراً أو مشركاً أو ضالاً ولو كان من بين هٰؤلاء آباؤهم أو إخوانهم أو أي قريب من أقربائهم فهٰؤلاء الذين كتب الراضي في قلوبهم الإيمان بالحق وجعلهم محقين له وزاهقين للباطل وهم راضون ، مما يجعل جزاءهم الجنة خالدين فيها أبدا ، رضي ٱلله عنهم في الحياة الدنيا بما عملوا ورضي عنهم في الآخرة فأدخلهم الجنة ، وكذٰلك هم راضون بما جازاهم الراضي به من جنة نعمها لا تُحصىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وعليه فمن يخشىٰ ربَّه ويتَّقيه بالقول الحق والفعل الحق ، ويطيعه في كل أمرٍ أمرَ به وفي كل نهي نهىٰ عنه وفي كل محرَّمٍ حرَّمه ، يجازيه جنة عرضها السمٰوات والأرض رضاً من الراضي علىٰ عباده الذين آمنوا واتقوا وعملوا صالحاً ورضاً من العباد علىٰ الراضي الذي جازاهم بجنَّة النعيم التي تجري الأنهار من تحتها ، ولذا فمن يتقي ٱلله ويخشاه يجد له مخرجاً ويجازيه الجنة مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ

أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة : ٨] .

ولأنه الراضي بالحق علىٰ الحق فهو ليس بالراضي علىٰ العباد الذين يُظهرون ما لا يبطنون من القول ، وهـٰؤلاء الذين يختانون أنفسهم يعلم بما تَكنُّه صدورهم ولذا لا يحق لمؤمنٍ أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم وٱلله يعلم حقيقة أمرهم وهو لا يحب من كان خواناً أثيماً ، فالذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من ٱلله لن ينالوا من ٱلله رضاً وهو بما يعملون محيط ، مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء : ١٠٧ ـ ١٠٨] .

الراضي عز وجل يرضىٰ عن العباد المصلحين في الأرض ولا يرضىٰ عن القوم الفاسقين والمنافقين فيها الذين يظهرون ما لا يبطنون ، وهـٰؤلاء وإن حلفوا بٱلله أنهم معكم فلا تصدقوهم إن لم يصدقوا القول والفعل حقاً بيِّنًا فإن صدَّقهم أحدٌ من الناس فٱلله علَّام الغيوب لا يصدِّقهم وذٰلك لعلمه بحالهم وما هم عليه من نفاق ولذٰلك لن يرضىٰ عنهم وإن رضي البعض عليهم ، قال تعالىٰ : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة : ٩٥ ـ ٩٦] .

وعليه فالراضي ليس في حاجة ، ولـٰكن الناس هم الذين في الحاجة ، ولهـٰذا لن تُشبعَ لهم حاجة والأجر فيها حلال طيب إلا بما يُمكِّن من نيل رضاه تعالىٰ ، فمن يكفر عليه كفره ، ٱلله غني عن الكافرين ولا يرضىٰ لعباده الكفر ، ومن يشكر من عباده ينال رضاه ويجازيه بما هو أعظم ، قال تعالىٰ : ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر : ٧] .

وعلىٰ الخليفة أن يكون صادقاً في القول وناصحاً وصادقاً في العمل لكي

ينال رضا الراضي جل جلاله ، ولكي يجد نفسه في الآخرة من الراضين بما آتاهم ٱلله الراضي من خيرات ونعم هي علىٰ الكثرة المطلقة التي لا تُعد ولا تُحصىٰ ، ولكي لا يأخذ برأي المنافقين عليه بالتبيُّن والتقصي حتىٰ يتبيَّن الحق من الباطل ، وأن لا يتسرَّع في إصدار الأحكام علىٰ الأقوال التي يسمعها من الذين لم يكن له حكم عليهم بالمخالطة والمشاركة والرفقة والمعرفة الوافية فالحياة مدرسة وعليه بالتعلم فيها والتعلم منها ، ولا يقل إنني قد تعلمت فإن قالها فقد جهل .

اللهُمَّ الراضي أرضَ عنا كما رضيت عن الأنبياء والرُّسُل الكرام وكما رضيت عن الصدِّيقين والصالحين وعن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، اللهُمَّ إنك الراضي فجنبنا ما يغضبك ويُنزل سخطك واهدنا إلىٰ ما به ننال رضاك ، اللهُمَّ إن سخطك غضب ورضاك رحمة فلا تجعلنا علىٰ ما يغضبك واجعلنا علىٰ ما يرضيك .

اللهُمَّ الراضي لا مفر منك إلا إليك نحمدك ونشكرك ونستغفرك ونتقيك ، اللهُمَّ الراضي اجعلنا نعمل ما يرضيك حتىٰ ترضىٰ عنا ، جئناك طائعين فزدنا طاعة .

✍ ✍ ✍

الشـافي

الشافي : هو من بيده الشفاء لكل مرض وداء وألم .

الشافي : هو القادر علىٰ تغيير الأحوال من سيئة إلىٰ حسنة .

الشافي : هو الذي يعيد الأحوال من حالة الخوف إلىٰ حالة الطمأنينة .

الشافي : هو ٱلله جل جلاله الذي إذا أراد لشيء أن يكون يقول له (كن) فيكون .

الشافي بالمطلق : هو الذي يشفي ما لا يُحصىٰ من الحالات التي منها :

ـ **يشفي من المرض** : المرض يلحق المخلوقات جميعها في الأرض ، ولهٰذا فالبحث عن الدواء واجب ، لأن لكل داء دواء يستطب به ، فلمَ لا يبحث الناس عن الدواء الذي بأسبابه يكون الشفاء للمرض ، المرض بالإمكان علاجه ولٰكن الموت لا علاج له ، ولذا فالناس دائماً يبحثون عن علاج المرض ولا يفكرون في علاج الموت ، الذي أمره بيد ٱلله عز وجل ، وهو النهاية لكل حياة علىٰ الأرض ، ثم من بعد ذٰلك ستكون النهاية للموت ، والبقاء السرمدي للحياة ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء : ٨٠ ـ ٨١] ، وقوله تعالىٰ : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧] .

ـ **يشفي من الضلالة** : الضلال خروج عن الصائبة التي ينبغي البقاء عليها ولٰكن بعض الناس ضلوا ثم اهتدوا ، ولذا فالشفاء من الضلالة في دائرة الممكن ، فلا يقنط المؤمن من رحمة الشافي الذي بيده الأمر والنهي وهو علىٰ

كل شيء قدير ، فالذين يتخذون العمل الشيطاني سبيلهم سبيلهم يضلون والذين يتخذون الحق سبيلهم يرشدون ، قال تعالىٰ : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠] .

ـ **يشفي من الجهل** : الجهل عدم علم ولذا فمن يبحث يعلم من علمه الواسع ومهما بحث الباحثون لن يبلغوا من علمه إلا قليلاً ، ولهٰذا فعليهم بالحث العلمي الذي يمكنهم من معرفة المعجزات والآيات العظام ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح : ٢٦] .

ـ **يشفي من الكفر** : الناس كانوا أمة واحدة علىٰ الكفر إلىٰ أن بعث الرُّسُل الكرام صلوات ٱلله وسلامه عليهم مبشرين ومحرضين ومنذرين وفاعلين للخيرات الحسنىٰ ومناصرين الحق بالحق ، فأصبح الناس بين كفَّار ومسلمين يؤمنون بٱلله واحداً أحداً لا شريك له في الملك والأمر سبحانه إنه ٱلله تعالىٰ ، ولذا فالكافر هو المستهدف بالإيمان والإسلام لله ربِّ العالمين ، ولهٰذا الخروج من الكفر هو شفاء لا يتحقق إلا بأمر الشافي عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

ـ **يشفي من الشرك** : الشرك غير الكفر ، فالكفر أن لا يؤمن الإنسان بٱلله تعالىٰ ، والشرك أن يؤمن الإنسان بٱلله تعالىٰ ولٰكنه في ذات الوقت يتخذ معه شركاء ، فهٰؤلاء كمن يؤمن بالتثليث (ٱلله والابن وروح القدس) ولأنه ٱلله واحداً أحداً له الملك وله الأمر وله المشيئة المطلقة إذ لا شريك له في ملكه وخلقه وأمره ، ولذا فمن يتقي ٱلله ربه يوحده ولا يشرك به شيئاً ، فإن وحَّده

شُفي من شركه الذي يُعد نقيصة تلاحق عقل الإنسان الذي يعلم أنه الخالق وأنه الرزاق وأنه مالك الملك ومع ذٰلك يشرك به مخلوقاً ملكاً أو بشراً ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٥] .

ـ **يشفي من الحسد** : الحسد عمل من لا عمل له ، فالذين يشغلهم البحث في آيات ٱلله علماً ليس لهم فراغ لحسد الناس ، والذين يبحثون ويتعلمون ليس لهم وقتا لحسد الناس ، وكذٰلك الذين يؤمنون بالحق ويتبعونه لا يحبون حسد الناس بل يحبون لهم الخير كل خير ويعملون علىٰ ذٰلك لأنفسهم وللآخرين ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق : ١ ـ ٥] .

ـ **يشفي من السحر** : السحر عمل بغرض إلحاق الضرر بالآخرين سواء يدرون أو لا يدرون ، وفي كثير من الأحيان يتداخل فيه العمل الشيطاني بين شياطين الإنس والجن ، فالذين جاؤوا بسحرهم لموسىٰ وسحروا أعين الناس هم الذين استعانوا بغير ٱلله ، ولذا فمن يولِّي أمره لله يجد له من كل شيء مخرجاً ، قال تعالىٰ : ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه : ٦٥ ـ ٧٠] .

ـ **يشفي من الكيد** : وذٰلك بإبطاله لكيد الكائدين بغير حق ، قال تعالىٰ :

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق : ١٥ ـ ١٧] .

ـ **يشفي من المكر** : الذين يمكرون بالعباد لأجل أن تدور عليهم دوائر السوء هٰؤلاء هم الذين يمكر ٱلله بمكرهم فيبطله مما يجعل مكره خيراً علىٰ الذين تمت محاولة المكر بهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٢١] .

ـ **يشفي من الألم والأذىٰ** : البعض يؤذون الناس بما يقولون أو يعملون أو يسلكون ولٰكن ٱلله الشافي قادر علىٰ أن يُصلح الأحوال أن صفيت الأنفس لله تعالىٰ ، ومن لم يكن مع ٱلله سالكاً فلن يجد له نصيراً ، ولذا فقول الحق واتباع الحق يُمكِّن الناس من أفعال الخيرات ويجعل لهم من كل ألم أو أذىً مخرجاً ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

ـ **يشفي من الإسراف** : التبذير بالنعم التي أنعم ٱلله تعالىٰ بها علىٰ عباده يعد من أعمال الإفساد في الأرض ، حيث البعض في حاجة والبعض يُفسد الناس بماله أو علمه أو رأيه الانحرافي ويسرف بغير حق ويبذر بغير حق ، ومع ذٰلك فإن اتقىٰ ربَّه تعالىٰ لأصبح من المصلحين في الأرض ، فعليه باتقاء ٱلله في ماله ورأيه وعمله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ـ ٢٧] .

ـ **يشفي من الغضب** : والشفاء من غضب ٱلله أن لا يتولىٰ المؤمن قوماً غضب ٱلله عليهم ، ولذٰلك فالغضب لا يرشد إلىٰ الصواب فمن صبر وتملك نفسه عند الغضب أحسن تصرفاً واهتدىٰ إلىٰ ما ينبغي في مرضاة ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] .

ـ **يشفي من العقم** : العقم لا دواء له ولـٰكن للحمل دواء فالذي يخلقه ٱلله عقيماً لا يمكن أن يكون منجباً إلا إذا شاء ٱلله تعالىٰ ، ولهـٰذا فالأطباء لن يجعلوا العقيم بقادرٍ علىٰ الحمل ولـٰكن الشافي تعالىٰ قادر ، ولهـٰذا يسعى الأطباء بالبحث في معرفة الأسباب التي جعلت المرأة لا تحمل فهل هي ضعف في البويضة ؟ أم هي ضعف في الحيوان المذكر للرجل ؟ هنا يمكن لهم المعالجة ، لـٰكن إن بحثوا وعرفوا أنهما لا ينجبان بأسباب العقم والعقر هنا يعرفون أنه لا شافي إلا ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٣٨ ـ ٤٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٣٠] .

ـ **يشفي من البغضاء** : البعض من الناس يتباغض بأسباب إيقاد نار الفتنة ، ولـٰكن بالزمن قد يعودون إلىٰ رُشدهم فإن عادوا عادت الأمور إلىٰ طبيعتها ، ولهـٰذا فضل ٱلله كبير علىٰ خلقه فلا يقنطوا من رحمته سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ

بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١١٨ ـ ١٢٠] .

ـ **يشفي من الحقد** : الحقد دس من الدسائس التي تحاك بين الناس وهو من أمراض النفس الأمَّارة بالسوء ، وذٰلك بأسباب ضعف الإيمان أو بأسباب مرض يستوجب التشخيص والعلاج ، وفي كل الحالات لن يبقي الحاقد علىٰ حقده إن تذكر نعمة ٱلله عليه وفضله ورحمته علىٰ العباد ، فهو ربُّ الجميع دون استثناء والحمد لله ربِّ العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ولأنه الشافي ـ عز وجل ـ فجعل الشفاء في نعمه التي لا تُحصىٰ ، فقد جعل من بين ما جعل في العسل الدواء الشافي لكثير من الأمراض ، وفي زيت الزيتون شفاء لكثير من الأمراض ، وفي التين شفاء لكثير من الأمراض وفي أعشابه الكثير من الأدوية والسموم التي تستوجب البحث العلمي والفصل بين هٰذا الشافي وبين ذٰلك الضار ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨ ـ ٦٩] .

ولأنه الشافي فهو الشافي لكل داء وألم ومرض ولكل شيء ، هو الشافي بالمطلق فهو الشافي بدواء يؤخذ أو بأمر يصدره أنه الشافي الأعظم جل جلاله ما من داء إلا وهو الشافي له (اللهُمَّ الشافي اشفنا من كل داء) ، فمن يتدبر القرآن يجد فيه الشفاء من ألفه إلىٰ يائه به تؤمن القلوب وبه تطمئن ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ [الإسراء : ٨٢ ـ ٨٣] .

وعلىٰ الخليفة أن يُطهِّرَ نفسه من كل كيد ومكر بالناس ومن كل حسد ومن كل سوء ، وأن يدعو إلىٰ المحبة والمودة والتسامح والتعاون علىٰ أفعال الخير الحسان وأن لا يظلم أحدٌ أحداً ، بل عليه أن يعمل بكل ما يستطيع علىٰ إبطال كيد الكائدين ومكر الماكرين وسحر المشعوذين وفك قبضة اليد التي بها تُسفك الدماء بغير حق ، وأن يعمل صالحاً ويكثر ، وأن يبحث ليعلم أنه لازال في حاجة لأن يعلم فعلمه واسع ولم يؤت الإنسان منه إلا قليلاً .

اللهُمَّ إنك الشافي لكل ألم وداء فاشفنا من كل ألم وداء ، اللهُمَّ إنك الشافي من الغضب والضيق والحسد والحاجة فاشفنا منها جميعاً ولا تجعلنا في حاجة إلا إليك ، اللهُمَّ إنك جعلت الشفاء بأمرك فاجعلنا مشافين معافين بأمرك ، اللهُمَّ إن نعمك شفاء فاجعلها بالشفاء تعمنا رحمة .

اللهُمَّ إنك الشافي من الجهل فأنر عقولنا وقلوبنا بالآيات والعلوم الشافية ، اللهُمَّ إنك الشافي من كل عيب ونقص فاشفنا من كل عيب ونقص واجعلنا من المصلحين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر سبحانك إنك الشافي عليك توكلنا فلا مخرج إلا منك .

المُـدْرِكُ

المُدْرِكُ : هو بالغ أمره ولو كره المجرمون والكافرون والمشركون ، وهو الذي يعلم بالأمر قبل وقوعه ، إنَّهُ عالم الغيب والشهادة .

المُدرِكُ : هو الذي لا يفلت من أمره أحدٌ ولا شيء وهو علىٰ كل شيء قدير .

المُدرِكُ : يَرىٰ ولا يُرىٰ مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

ولذا فالقاعدة تنص علىٰ أنَّ (الخالق يرىٰ ما خلق والمخلوق لا يرىٰ خالقه) .

وبناء علىٰ هـٰذه القاعدة :

المُطلق لا يُرىٰ والنسبي في دائرته يُرىٰ .

وعليه فالمطلق يُدرك الأبصار وهو لا تُدركه الأبصار مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٢ ـ ١٠٤] .

ولأنه المُدرِكُ جل جلاله فهو المُدرِكُ لِما خلق بما خلق ، فهو يدركنا بما لا يُحصىٰ ولا والذي منه :

ـ يُدركنا بالحاجة إليه .

ـ يُدركنا بقوته .

ـ يدركنا بقدرته .

ـ يُدركنا بملكه .

ـ يُدركنا بسلطانه .

ـ يدركنا بعرشه .

ـ يُدركنا بسمعه .

ـ يدركنا ببصره .

ـ يُدركنا بإطعامه .

ـ يدركنا بخلقه .

ـ يدركنا بنعمه .

ـ يدركنا بعلمه .

ـ يدركنا بحكمته .

ـ يدركنا بصفاته .

ـ يدركنا بأفعاله .

ـ يدركنا بالموت .

ـ يُدركنا بالبعث .

ـ يدركنا بالثواب .

ـ يُدركنا بالعقاب .

ـ يُدركنا بما نعلم وبما لا نعلم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٧٨] .

وعلىٰ الخليفة أن يُدرك أمره وأمر من يتعلق أمرهم به عن بيِّنة ومعرفة

لأجل أن يُحسن التصرف مع كل حالة وموقف وأن لا يعمم الأحكام علىٰ المواضيع والأفراد والجماعات فلكل خصوصية تستوجب التقدير والاعتبار والفهم والتفهُّمَ مع فائق الاحترام .

وعليه أن لا يصدر أحكامه سماعاً ، فالأخبار التي تُنقل في كثير من الأحيان يشوبها التضليل والتشويش وترافقها النوايا غير الصافية ، ولذٰلك ينبغي التبيُّنُ قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ٦ ـ ١١] .

اللهُمَّ ! إنك المدرك تُدرك الأبصار ، ولا تدركك الأبصار ، فأدرك أبصارنا وبصيرتنا بنور من نورك ، واكشف عنا الغطاء واجعل بصرنا حديداً ، إنك علىٰ كل شيء قدير ، وإنك الفعَّال لما تُريد .

اللهُمَّ المُدرِكُ ! أدركنا علماً وعملاً نافعين في الدنيا ، وأدركنا بهما في الآخرة الجنة ، وأدركنا زوجة وذرية صالحين ، وأدركنا مالاً حلالاً ، وهب لنا الحُجَّة ، والحكمة ، والصدق في الأقوال والأفعال ، وأدركنا الصحة عن كل علَّة واحفظنا من كل زلَّة .

المُطْـعِمُ

المُطْعِمُ : مصدر الإطعام لكل حي ، فهو الذي يُطعم الجنين في بطن أمه ، وهو الذي يُطعم المولود الذي لم تتلقفه أيدٍ ، دون أن يَمُرَّ بمرحلة من مراحل التعليم ولا حتىٰ المساعدة ، مع أنه في حاجة للمساعدة .

المُطعِمُ : هو المقيت لمن هم في حاجة للإطعام ، فيقيتهم بعطائه ، ويوجههم إلىٰ مصادر الغذاء التي أعدَّها المُطعِمُ خلقاً ، فتبارك ٱلله أحسن الخالقين ، فهو الذي يوجِّهُ مواليد الحيوانات إلىٰ ضروع أمهاتهم ، دون أن يُقدِّم لهم أحدٌ يد المساعدة أو العون ، وهـٰكذا فهو المُطعِمُ لكل كائن بالفطرة التي فطره المطعم عليها .

المُطعِمُ : هو ٱلله مالك الملك ، والرزق ، والنعم ، وهو المصدر للإطعام الذي هو علىٰ أوجه ؛ منها :

١ ـ إطعام مباشر من المصدر المغذي ، وهو متنوع المصادر التي منها :

أ ـ الأشجار المثمرة ، والأرض المعطاء من طبيعتها غذاء تاماً كما هو حال أبينا آدم ، وزوجه بعد ما قيل له (كن) فكان بشراً سوياً علىٰ التمام في أحسن تقويم ، مع أنه في حاجة للشراب ، والأكل . فوجد أمام مد بصره الماء والثمار المتعددة والمتنوعة ، فشرب وأكل من رزق المُطعِمِ جل جلاله .

ب ـ الكائنات التي تلد وتُرضع ، كما هو حال الأم ووليدها الذي يرضع من ضرع أمه ؛ غذاء جاهزا (لبناً مغذياً علىٰ التمام) .

ج ـ الكائنات الأخرىٰ بمختلف أشكالها ، وطبائعها التي تطعم أفراخها ، إن كانت طيوراً بفمها ماءً وشراباً ، وإن كانت داجنة لا ترضع ، ولا تسقي ، ولا تُطعم فالمُطعِمُ كفيل بها ، وبحالها ، فيجعلها تضرب الأرض بمناقيرها ، وكأنها علىٰ معرفة سابقة ، سبحانه ! إنه المُطعِمُ عز وجل ، وإن كانت غير ذٰلك من الأنواع ، فلكل جعل المُطعِمُ سبيلاً لإطعامه ، سواء أكانت في البر ، أو في البحر ، أو في السماء .

وعليه ؛ كل شيء هو في حاجة لمُطعمٍ يُطعمه ، وييسِّرُ له الأمر ، إلا المُطعِمُ ـ عز وجل ـ ليس في حاجة ، إنَّه الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ . مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام : ١٤] .

وعليه ؛ فمن هو الذي يُطعِمُ ولا يُطعَمُ ؟

إنه المُطْعِمُ .

ومن هو المطعم وفقاً لما جاء في الآية الكريمة السابقة ؟

هو ٱلله فاطر السمـٰوات والأرض .

إذاً هل يمكن للإنسان أن يتخذ ولياً له غير ٱلله ، فاطر السمـٰوات والأرض المُطعم جل جلاله ؟

إنه من الاستغراب أن يتخذ البعض من دونه أولياء ، هم في حاجة لمن يحفظهم من الهلاك ، ويُطعمهم من الجوع ، حتىٰ يكونوا علىٰ قيد الحياة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٨٠] .

وعليه ؛ فمن يُريد أن يتخذ ولياً له ، فليتخذ ٱلله الخالق ولياً ، الذي يحيي ويميت ، ويهدي إلىٰ الحق ، ويُطعِمُ ولا يُطعَمُ ، ويشفي من المرض ، ويرحم بالدواء لكل داء ، ويحفظ مخلوقاته ، ويجعل لها أرزاقاً متعددة ، ومتنوعة ، وميسَّرة ، ويجعل لها حياة سرمدية ، إن اهتدت وأصلحت في الأرض ، قال تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ٥ ـ ١٠] .

ولأنه المُطْعِمُ بالمطلق ، فهو الذي يُطعمُ من الجوع ، ويؤمن من الخوف ، ولذا فهو المستحق للعبادة ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش : ٣ ـ ٤] .

ولأنه المُطعِمُ ؛ فهو الذي يملك أمر الإطعام ، ورزقه فأكثرُ من نعمه حتىٰ إنها لا تُحصىٰ ، فخلق الأنعام ، والأشجار ، وجميع الأنواع والأجناس ، وشاع لها الطعام والغذاء في الأرض ، وقد حرَّم ما يؤذي الإنسان من ثمار ، ولحوم وشراب ، ثم جعل المشاعية له في الاختيار ، وفقاً للشهوة والرغبة ، وما يشبع له الحاجة في غير محرم أو منهي عنه ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ

فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

ولأنه المُطْعِمُ ؛ خلق الخلق وخلق لهم الطعام ، ولأنه المطعم ؛ فالكل في حاجة له ، وهو ليس في حاجة لأي مخلوق ؛ إنساً كان أم جنّاً ، فما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، ولا يعصوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، ولا يتخذوا من دونه أرباباً ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٧] .

وعلىٰ الخليفة في الأرض ؛ أن يعمل ، وينتج ، ويطوِّر ما يمكن أن يُسهم في توفير الغذاء للناس ، وعليه أن يعلم أنَّ ما أُتي له من رزقٍ ، وطعامٍ ، ونعمٍ فهي جميعها من المطعم ، الذي يُطْعِمُ ولا يُطعَمُ ـ سبحانه جل جلاله ـ .

وعليه أن يولي اهتماماً عالياً بالذين لهم الحق عليه بالرزق من رزق ٱلله الرزاق عز وجل ، وأن لا يبخل ، ولا يتأخر عن تقديم الخدمة لمن لهم الحق عليه ؛ رعاية ، وتربية ، وعناية ، وعليه أن لا يَمُنَّ بما يعطي ، أو ما يُطعِمُ ، حيث لا مُعطي ، ولا مُطعِمَ إلا هو الرازق جل جلاله .

اللهُمَّ ! إنك المُطعِمُ للحمل في حمله ، والمولود من ضرع أمه ، والمطعم للطير في حلقه ، فأطعمنا حتىٰ لا نكون متخبطين فقراً وجوعاً .

اللهُمَّ ! إنك المُطْعِمُ الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ، نطيعك ، ونخافك ، ونتقيك ، فأطعمنا من كل جوع ، وآمنا من كل خوف ، وأكرمنا رزقًا حلالاً ، واحفظنا من كل شر ، وأبعدنا عما نهيت ، واسترنا في كل بر ، واشفنا من كل داء ، وارحمنا نعمة ومطراً ، أنت المطعم في السماء ، وأنت المطعم في البر والبحر ، أنت في كل مكان راعٍ حتىٰ الحجر .

✍ ✍ ✍

الفـالِقُ

الفالق : هو الشاق بالقوة الميسِّرة للخروج ، والنجاة بسلامة من الغم ، والهم . مما يجعل الفالق هو القادر علىٰ الحفظ المُيَسَّر .

الفالق المطلق : هو ٱلله فالق كل شيء ؛ البحار والإصباح والحب ، والنوىٰ وفالق المكان والزمان ، والخوف ، والألم ، ولأنه الفالق بالمطلق ؛ فبأمره يَفْلق كل شيء شاءه أنْ يفلق .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٥] .

من هو الفالق في هـٰذه الآية الكريمة ؟

إنه ٱلله تعالىٰ .

ولأن الفالق هو ٱلله القادر علىٰ كل شيء ، فإن أراد لشيء أن يُفلق لابد له أو يُفلق ، وإن أراد له أن يلتئم من بعد فلقه يلتئم .

ولأن الحب نعمة غير منتهية ، فهي لا بد وأن تكون خلقاً متهيئة للفلق ؛ أي : أن سِرَّ الفلق فيها خلقا ، ولهـٰذا عندما تُبذر في الأرض ، وتسقىٰ بالماء ، تنفلق إرادة بالقوة الميسرة لخروجها من الأرض في اتجاه الشمس ، حتىٰ تُخرج سنابلها التي منها ما يؤكل ، ومنها ما يبقىٰ ليزرع من جديد ، ولهـٰذا فهي نعمة غير منتهية مادام الخلق علىٰ ظهر الأرض ، فمنها ما يؤكل ، ومنها ما يزرع ، وهـٰكذا تستمر الحياة إلىٰ النهاية التي يُريدها فالق الحب والنوىٰ .

ولأنه الفالق الذي فلق الحب نعمة ، فهو كذٰلك الفالق للنوىٰ نعمة ، ليخرج منها أشجاراً مثمرة ، وأشجاراً من جماله ، وليستظل بظلها ، ولذا يُفلق

النوىٰ فلقاً نافعاً ، كما فُلق الحب فلقاً نافعاً ، فإن لم يكن نافعاً يكون تكسيراً أو طحناً ، ولذا فالتكسير والطحن يتم بالقوة لا بالسلامة التي تجعل النبات في نموه ميسِّراً ، وفي جماله أكثر تيسيراً .

ولأنه الفالق ؛ فهو الذي بفلقه للشيء يُخرج منه شيئاً آخر ، فقوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يدل علىٰ أن الفالق الذي فلق الحب ، والنوىٰ هو لأن يخرج نباتاً حياً ، من بذرة أصبحت في تعداد الموتىٰ ، أي أن السنبلة لا تكون سُنبلة خضراء ممتدة في نموها ، إلا وهي علىٰ قيد الحياة ، ولهـٰذا أصبحت الحبة (المبذرة) مدفونة في الأرض ، كما يُدفن الموتىٰ ، والنبات الذي خرج بأسباب الفلق ، والمناخ المهيأ للنمو ، أصبح أمام المشاهدة ممتداً في نموه وهو في تعداد الأحياء .

أمَّا بعد نضج السنابل ، والثمار التي كانت بأسباب الحب والنوىٰ ، بعدها يُخرج الميت من الحي ، (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) أي بعد أن نضجت وجفت أصبحت يبسة ، فيتم إخراجها من نبتتها الحية قبل موتها ، فتحفظ في الأماكن التي لا تسمح بفلقها ، إلىٰ أن يحين وقت زرعها من جديد ، لتبعث حية . وهـٰكذا النعم لا تنتهي ، مادام علىٰ الأرض أحياء ، وهـٰكذا الموت ، والحياة لا يتوقف إلىٰ يوم قيام الساعة ، التي لا يعلمها إلا هو فالق الحب والنوىٰ .

ولأن الفالق هو الفالق لأي شيء شاءه ، إذاً لا يقتصر فلقه علىٰ الحب والنوىٰ بل يتعداه إلىٰ ما يشاء ، قال تعالىٰ : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

جاء الإصباح جمعاً لتكرار الإصباح كل يوم ، وكذٰلك لعدم وحدة التزامن الصباحية علىٰ الكرة الأرضية ، بأسباب فروق التوقيت ، وحركة الأرض حول نفسها وحول الشمس ، لذٰلك جاء الإصباح جمعاً ، ولذا ففالق الإصباح ؛ هو الفالق جل جلاله ، فهو الذي يُظهر بضيائه النهار من الليل ، لينير دروب الذين يبحثون عن معاش لهم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ : ١١] ، وعليه ؛ فالأصباح هي التي يُبث من خلالها الضياء ، الذي به يتم التمييز بالعين المجردة ، مع

الوضوح التام مع اتجاه الحركة الصباحية ، في اتجاه الشروق الذي يُمكِّن من بلوغ النهار ، وهو الذي تكون بدايته مع الفجر ، حيث يتبين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ولأنه فالق الإصباح أي مخرج النهار من الليل بفلقه للإصباح ، لذا لو لم يكن الليل ، ما كان له الفلق حتىٰ يخرج من بعده النهار ، ومع أن اليوم وحدة واحدة ؛ إلا أنه بفلقه أصبح ثنائي التكوين ؛ ليلاً ونهاراً ، ومن بينهما الفلق (الإصباح) .

وعليه نقول :

الفالق : هو ٱلله .

المفلوق : هو اليوم .

المفلوق به : هو الإصباح .

الفلق : هو إظهار الشيء من الشيء ؛ قوة وإرادة ، مع التيسير في الحركة والامتداد والنمو .

ولأنه الفالق ـ جل جلاله ـ فقد فلق البحر بموسىٰ ، ومن تبعه من قومه ، لينجيهم من فرعون وملاحقته لهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] .

أي بعد أن فلق الفالق البحر ، لينجي موسىٰ ، ومن معه من قومه الذين آمنوا ، من ملاحقة فرعون ، ففتح البحر لهم سبيلاً ، فدخلوا فيه ، ومن ورائهم جنود فرعون يلاحقونهم ، وبمجرد دخولهم البحر من ورائهم ، أطبق عليهم ٱلله تعالىٰ البحر فأغرقهم جميعاً ، وهم علىٰ أنظار الذين آمنوا ؛ الذين أنجاهم ٱلله الفالق العظيم جل جلاله .

ولأن الفالق هو ٱلله تعالىٰ الذي اصطفىٰ رُسُله ، وأيدهم بالقوة ، والسلطان والآيات العظام ، قال تعالىٰ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

تُبيِّن هٰذه الآية أن أمراً قد أعطي لموسىٰ ، به يتمكن من فلق البحر بعصاه ، فلمَّا حان ذٰلك الوقت ، ضرب موسىٰ البحر بعصاه فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم .

ولأنه الفالق العظيم للحب والنوىٰ والبحر والأصباح ؛ فهو الفالق العظيم للخوف ، فالذي يتوكَّل علىٰ ربِّ الفلق ، يكون في حفظه ، ورعايته ، وسلامته ، وأمنه ، فلا تخيفه شياطين وأبالسة الأنس والجن ، ولا تخيفه المخلوقات الأخرىٰ مهما عظمت ، وتجاسرت ، ولا يخيفه سحر الساحرين ، وشعوذتهم ، ولا حسد الحاسدين وحسدهم ، ولا تخيفه الظلمة ، ولا شيء يخيفه إذا كان واثقاً بإيمانه، إنه بحق متوكل علىٰ الفالق الأعظم ـ جل جلاله ـ مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق : ١ ـ ٥] .

ولذا ؛ فعلىٰ الخليفة أن يتوكل علىٰ ربِّ الفلق ، الذي يفلق الحب والنوىٰ ، ويفلق الأصباح ، ويفلق الخوف ، ويحفظ من الشرور والمكائد ، ويُمكِّن من بلوغ السلامة ، وأن يعتبر بما فعل الظالمون ، والكفار ، والمشركون ، وكيف كانت نهاياتهم ، لكي لا ينسىٰ ويتقي الفالق ، ويتخذه له ربًّا ليكون من الفائزين في الدارين .

اللهُمَّ ! الفالق الحب والنوىٰ ، أفلق الحاجة فينا ، حتىٰ نكون مشبعين ، وأفلق الخوف فينا ، حتىٰ نكون آمنين ، وأفلق الجهل فينا ، حتىٰ نكون من العالمين ، وأفلق الداء فينا ، حتىٰ نكون مشافين ومتعافين .

اللهُمَّ ! إنك الفالق للإصباح فأجعل أصباحنا خيراً ، وليلنا خيراً ، ونهارنا خيراً ، ونحن في خير من خيرك ، اللهُمَّ إنَّك الفالق الذي يُخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، فأخرجنا من كل أزمة ، وفساد .

المُـتِمُّ

المُتِمُّ : هو مستوفي القوة والقدرة والرحمة والمُلك والمشيئة والخلق ، وهو المُظهِر للشيء في الصورة التي شاءها له .

المُتمُّ : هو متم النعمة علىٰ من خلق ، ومتم الرحمة علىٰ من اهتدىٰ ، ومتم القوة علىٰ من أسلم وجهه إليه .

المتم : هو ٱلله الذي لا يكون إلا علىٰ الكمال ، والجمال ، والتمام ، والجلال ، والإكرام ، والجود ، والسعة ، والعظمة .

ولأن ٱلله هو المُتمُّ ؛ فأتم الدين الإسلامي الذي بعث به محمداً رسولاً ﷺ ، بالرغم من الجهود التي واجهته من الكفار ، والمشركين ، والمنافقين ، ولٰكن إرادة ٱلله ليكون الدين هو الإسلام ، آمن به الكثيرون أفواجاً أفواجاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر : ١ ـ ٣] ، ولذٰلك أتم المتم نوره ، ولو كره الكافرون ، قال تعالىٰ : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف : ٨] .

ولأنه المتم ؛ فإن نور الإسلام سيضيء المعمورة علىٰ التمام ، فقد بدأ الدين برسول واحدٍ محمد ﷺ ، ثم باثنين (معه أبوبكر) ثم بثلاثة (معهما خديجة) ثم أصبح الدين السائد في معظم المعمورة ، وكل يوم هو في ازدياد حتىٰ يتم المتم نوره للناس كافة ، ولو كره المشركون ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ

ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٣ / الصف : ٩] .

ولأن ٱلله تعالىٰ إذا أراد شيئاً يقول له (كن) فيكون ؛ لابد أن يكون بالقوة ، والقدرة ، والحُجَّة ، والإرادة ، ولأن إرادة الخالق المتم أعظم من إرادة المخلوق الضعيف ، الذي يحاول أن يطفئ نور ٱلله ، فكيف له أن يطفئه وهو علىٰ القوة والتمام ، لذا كان الأمر (كن) سارياً لاستمرار انتشار الدين من غير إكراه ، حيث لا إكراه في الدين ، الذي نوره يكفي لأن يسود به الأرض ومن عليها إرادة ، قال تعالىٰ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ٣٢] .

ولأنه المتمُّ ـ جل جلاله ـ بعث رُسُله ورسالاته ، وأنبياءه عبر الزمن ، فكان البعض للخاصة من أقوام ، وشعوب ، وقرىٰ ، ومدن حتىٰ بلغ الأمم التي بعث لهم رسولاً خاتماً ، ليتمم مكارم الأخلاق ، وينشر الإسلام ؛ ديناً للناس كافة ، ولهٰذا لم يكن الإسلام خاصاً بشعب ، أو قوم ، أو قرية ، أو مدينة . بل هو للكافة ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٣] ، ولأنه المتمُّ ـ عز وجل ـ فلم يُرسل رسالته مرة واحدة ، بل أرسلها علىٰ فترات طويلة ، وذٰلك وفقاً للمستوىٰ العقلي ، والحالة التي عليها الناس ، فجاءت الديانات السابقة لتُمهِّد الطريق للرسالة التامة من عند المتمِّ ـ جل جلاله ـ والخاتمة للرسالات السابقة ، التي بها يؤمن المؤمنون الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، ولهٰذا ؛ الرسالة التامة لا تفرِّق بين أحدٍ من رُسُله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

المتمُّ : هو الذي لم يخلق شيئاً علىٰ الكمال ، حيث لا كمال إلا له ـ جل جلاله ـ ، ولهٰذا لقد خَلق الإنسان في أحسن تقويم ، وهو في حاجة للطعام

والماء والهواء ، والرعاية والملبس والمركوب ، وهٰكذا هو دائماً ، سيظل في حاجة ، وذٰلك بأسباب تطور الحاجات ، وتنوعها ، وتعددها ، في مقابل تنوع وتعدد وتطوُّر أساليب وطرق مشبعاتها ، ولأن ٱلله تعالىٰ هو المتمُّ ، فجعل إلىٰ جانب خلق الإنسان ، خلق الأشجار المتنوعة بثمارها المتعددة والمتنوعة ، وخَلق الدواب ليركبها ، ويستثمرها بما يفيد حياته ، وخَلق البحار ، والأنهار ، واليابسة ؛ بجبالها ووديانها ، والسمٰوات وما بينها وبين الأرض ، لأجل أن تتمم المخلوقات بعضها البعض ، بما يحقق لكل مخلوق ؛ من إشباعات ورعاية وعناية ومعيشة ، فتعددت نعم المنعم المتمِّ لنعمه علىٰ كل ما خلق ، وبما خلق سبحانه لا إلٰه إلا هو المتمُّ الرحمة بين خلقه دون أن تنقص عن أحد من خلقه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨١ ـ ٨٣] .

ولأن الحق ـ تبارك وتعالىٰ ـ هو الذي يُريد للحق أن يُحق ، فكان عليه إحقاقه إتماماً لوعده ، وإرادته لمشيئة خلقه ، ولأنه الحق ، وهو يريد للحق أن يحق ، إذاً من لا يؤمن بالحق ، ليس له مكان ، فليؤمن أو يكفر ، وفي كلا الحالتين ؛ الأمر لابد وأن يتم ، بإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٧ ـ ٨] .

ولأنه المتمُّ ـ جل جلاله ـ فلا شيء يشاؤه إلا وأن يتم ، في المكان والزمان اللذين يشاؤهما المتم ـ عز وجل ـ فما أراده فرعون لم يتم ، وما أراده المتمُّ قد تمَّ .

لقد جمع فرعون السحرة ، ليعيق سبيل موسىٰ في إحقاق الحق ،

فأبطل ٱلله سحرهم ، وجعل عصا موسىٰ آية ؛ حية تلقف ما يأفكون ، فأسلم السحرة لله ربِّ العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس : ٧٩ ـ ٨٢] .

المتمُّ : هو مُتمُّ النعم علىٰ خلقه ، بما أحل لهم من الطيبات ، وكذٰلك هو المتمُّ نعمه بما حرَّم عليهم من محرمات ، وما نهىٰ عنه من منهيات ، والتي تستوجب الاجتناب ، وذٰلك تبياناً للحق حتىٰ لا يكون للناس حجة ، قال تعالىٰ : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة : ٣] .

إذاً المتمُّ : هو المتمُّ للنعم من حيث :

١ ـ **التحليل** : أحل ٱلله النعم التي تؤكل ، وتشرب ، وتذبح ، وتنحر ، وتُركب وتربىٰ ، وتباع ، وتشترىٰ ، وتهدىٰ ، وتسكن ، ويستظل بها ، وهٰذه في دائرة الممكن وفقاً للحاجة ومشبعاتها ، وما هو ضروري وما هو غير ضروري ، وما هو مفيد ونافع ، وإلىٰ جانب النعم التي تُشرب ، وتؤكل ، وتلبس ، ويستظل بظلها ، أحل الزواج بين الذكور ، والإناث في دائرة النسبية المحللة فقط ، قال تعالىٰ : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة : ٤ ـ ٥] .

٢ ـ **التحريم** : بيَّن المتمُّ ـ عز وجل ـ المشروب المحرَّم ، والمنهي عنه ، والمأكل المحرم ، والزواج المحرم ، والعلاقات المشبوهة ، والمحرمة ، تبياناً وتفصيلاً ، قال تعالىٰ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٢ ـ ٢٣] .

ولأن ٱلله متمُّ نعمه ، فقد أتم دينه ديناً واحداً ، من ربٍّ واحدٍ ، إلىٰ أمة واحدة ، (الإسلام) ، ولذٰلك آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن ، ولذٰلك ؛ فمن يبتغ غير الإسلام ديناً ، فلن يقبل منه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٤ ـ ٨٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٠] .

وعلىٰ الخليفة أن يتم عمله علىٰ أفضل الوجوه ؛ التي تُرضي ٱلله ، والعاملين معه ، والمسؤولين معه ، أو مرؤوسيه ، وعليه أن لا ينقص من حق العباد ، أو يقلل من شأنهم ، فإن حُيي بتحية ؛ فعليه بردها أو بأحسن منها ، وعلىٰ الخليفة أن يتم عهده إن عاهد علىٰ الحق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧٥ ـ ٧٩] .

اللهُمَّ ! إنك المتمُّ لمكارم الأخلاق ، فاجعلنا علىٰ أتمها ، وإنك المتمُّ للنعم فأتمها لنا تيسيراً لا تعسيراً ، اللهُمَّ ! إنك المتمُّ لنورك ولو كره الكارهون ، فاجعلنا من الذين يسترشدون بنورك في القول والعمل ، واجعلنا من المبشرين به في مشارق الأرض ومغاربها .

اللهُمَّ ! إنك المتمُّ للحق ، فاجعل الحق حُجَّة لنا لا حُجَّة علينا ، اللهُمَّ ! إنك المتمُّ للرحمة فارحمنا ، والمتمُّ للقوة فقوِّنا ، والمتمُّ للكرم فأكرمنا ، والمتمُّ للعلم فزدنا علماً ، والمتمُّ للحكمة ، فاجعلنا بالحكمة نتقي شرور الحاسدين ، ونكون بها علىٰ الرفعة !

✍ ✍ ✍

الشَّـديدُ

الشديد : هو المتين القوي ، الذي لا تغالبه قوة ، فهو إن أراد شيئاً يقول له : (كن) فيكون ، ولذا رحمته شديدة ، وعذابه شديد ، فلا يفلت أحد من رحمته ، أو عذابه ، الكل سيكون تحت رحمته .

الشديد : هو العظيم في كل شيء ، فهو العظيم في رحمته ، وكرمه ، والعظيم في عذابه ، وهو العظيم بجنته ، والعظيم بناره .

الشديد : هو الذي لا يحتاج لمن يُعرِّفُ به ، فهو الشديد بإيلامه ، والشديد بعقابه ، والشديد بعذابه ، والشديد بقوته ، والشديد بمقدرته .

وعليه الشديد : هو المشتد علىٰ الشدة حتىٰ يقهرها ، لتكون من بعدها رحمة ، فهو يشتد علىٰ الكفر ، والشرك ، لأجل الإيمان بالحق ، واحداً أحداً لا شريك له ، فكلما اشتدت علىٰ الكفار ، والمشركين ، والضالين ، والمشعوذين والمفسدين في الأرض ، وسافكي الدماء فيها بغير حق ، فُرِجت علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأصلحوا في الأرض ، ولذا في شدته الرحمة .

الشديد بالمطلق : هو ٱلله الشديد علىٰ الكافرين ، والمشركين ، والمنافقين وعلىٰ المبدلين لنعمه ، وهو الشديد بكل شيء ؛ في مُلكه ، وبخلقه ، وبقوته ، وعذابه ، قال تعالىٰ : ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

إذاً لمن القوة ؟

لله تعالىٰ .

لمن الشدة ؟

لله تعالىٰ .

وعليه في الآية الكريمة السابقة بماذا وُصِفَ ٱلله عز وجل ؟

وصف بصفتين :

١ ـ القوة ؛ فهوالقوي .

٢ ـ الشدة ؛ فهو الشديد .

قال تعالىٰ : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

بماذا جاء العلم في الآية الكريمة السابقة ؟

جاء بأن ٱلله تعالىٰ هو شديد العقاب ، أي لا شديد بالمطلق عقاباً ، إلا ٱلله . ولهـٰذا فالشديد ؛ اسم صفة من صفاته الحسنىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [غافر : ٣] .

إذاً الغافر للذنب هو ٱلله ، وشديد العقاب هو ٱلله ، ولهـٰذا جاءت صفة الغافر ، وصفة الشديد ، متلازمتين في آية واحدة في سورة غافر .

قال تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٥] . الضمير عائد علىٰ من تم تعليمه أمَّا المعلم فهو شديد القوىٰ التي جاءت علىٰ احتمالات منها :

ـ أن يكون المعلم جبريل ، أو الملك المكلف بذٰلك .

ـ أنَّ شديد القوىٰ ، هو ٱلله الشديد جل جلاله .

ولـٰكن إن أخذنا الآية مستقلة بذاتها عما سبق ، وما لحق ، فلا تكون إجابة إلا أن الشديد هو ٱلله ، مالك القوة ، ولهـٰذا فشديد القوىٰ هو ٱلله تعالىٰ .

ولأن الشديد هو القوي بالمطلق ، فقد جعل قوته في خلقه ، لتكون علىٰ الحق وإحقاقه ، وهـٰكذا جعل في نعمه الشدة التي بها تقوىٰ النعم ، لتكون

علىٰ الفوائد والمنافع ، فكانت شدته قوة في المعادن ، التي منها الحديد ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

ولذٰلك فالشدة تكون علىٰ ما يفيد وينفع ، وكذٰلك تكون علىٰ ما يضر ويهلك .

ولأنه الشديد ؛ فهو لن يهمل القرىٰ التي أهلها كفروا ، وأفسدوا ، وعتوا عن أمر ربهم ، إلا وجاعلها في التهلكة ، كما هو حال عاد وثمود ، أو أن يُعذِّب أهلها عذاباً شديداً ، كما هو حال قوم نوح ؛ الذين كفروا ، وسخروا منه ، وبما جاءهم به من نبأ وخبر ، فأغرقوا يوم لا عاصم من أمره إلا هو ،(حكم لا مفر منه) ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٨] .

إذاً لا شك في أنه المذيق العذاب الشديد ، للذين كفروا ، والغوا ، وسخروا كثيراً من القرآن الكريم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦ ـ ٢٧] .

وعليه أتساءل :

لمن تكون الشدة ؟

لله ربِّ العالمين .

وعلىٰ من تكون الشدة ؟

تكون رحمة علىٰ الذين آمنوا ، وصدّقوا ، وعملوا صالحاً في مرضات ٱلله ، وتكون قسوة شديدة علىٰ الكثيرين ؛ الذين تنوعت أعمالهم المفسدة ومنهم :

١ ـ الذين يتخذون من دون ٱلله أنداداً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ

ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

٢ ـ المبدِّل لنعم ٱلله من بعد ما جاءته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ٢١١] .

٣ ـ الذي لا يتقي ٱلله فيما أمر ونهىٰ وحرَّمَ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

٤ ـ الذين كفروا بآيات ٱلله كفراً وشركاً ، قال تعالىٰ : ﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ٤] .

٥ ـ المكذبون بآيات ٱلله تكذيباً ، قال تعالىٰ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آل عمران : ١١] .

٦ ـ المتعاونون علىٰ الإثم والعدوان ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] .

٧ ـ المجرمون ، والماكرون ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

٨ ـ الذين شاقوا ٱلله ورسوله ، قال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٤] .

٩ ـ واقدو نار الفتنة وظالمو الناس ظلماً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

١٠ ـ الذين يزين لهم الشيطان أعمالهم ، قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ

ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٤٨] .

١١ ـ المجادلون في الله من بعد ما تبيَّن لهم الحق ، قال تعالىٰ : ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد : ١٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج : ٣ ـ ٤] .

١٢ ـ الذين لا يثقون في أن زلزلة الساعة آتية لا محالة ، وأن أمرها بيد خالقها الشديد العظيم ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : ١ ـ ٢] .

١٣ ـ الذين يضلون عن سبيل الله ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص : ٢٦] .

١٤ ـ الذين يكفرون بالرُّسُل ، وما آتوهم من البينات ، قال تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر : ٢٢] .

١٥ ـ المتفاخرون بالحياة الدنيا ، قال تعالىٰ : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد : ٢٠] .

١٦ ـ القرية التي تعتىٰ عن أمر ربها ، قال تعالىٰ : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق : ٨ ـ ١٠] .

وعليه فمن هو الشديد ؟

بدون شك لا شديد بالمطلق إلا ٱلله تعالىٰ .

ولهٰذا فالشدة علىٰ الكفار ، والمشركين ، والمفسدين ، والمجرمين ، والظالمين ، والماكرين ، والكائدين . وهي علىٰ الذين آمنوا رحمة ، فاليوم الذي نادىٰ فيه أصحاب الجنة أصحاب النار ، ألا يكون هو يوم الطمأنينة التي جعلت المؤذن يؤذن فرحة ، بما ناله الكفار ، والمشركون في نار جهنم ، وفوق ذٰلك لقد زادهم لعنة لتشتد النار عليهم رحمة علىٰ أصحاب الجنة ، قال تعالىٰ : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

وعلىٰ الخليفة أن يكون شديداً غليظاً علىٰ أعدائه ، من الذين كفروا في حالة المواجهة من أجل الحق ، وأن لا يظلم أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩] .

إذاً علىٰ الخليفة أن يُظهر الشدة في محلها المناسب ، ليكون للشدة معنىً ودلالة ، وتكون عليه رحمة ، ولا تكون له نقمة ، لذا فالشدة من أجل التخلص من الشدة الظالمة رحمة ، والشدة ضبط للأمور التي بين اليدين ، أو يؤتمن عليها شدة يقين ، وإيمان ، والتزام بما يجب ، ولذٰلك ينبغي الشدة علىٰ الأعداء طاعة لأمر ٱلله عز وجل ، واتباعاً لسنة النبي محمد رسول ٱلله ﷺ ، قال تعالىٰ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ولهٰذا دائماً يجب الشدة علىٰ الأعداء (أعداء ٱلله) والتراحم بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وعلىٰ الخليفة أن يتخذ من شدة سليمان ، شدة في كيفية التعامل مع المخلوقات التي للإنسان سلطان عليها ، فقد كان شديداً بمعنىٰ الشدة التي تدل علىٰ التمسك ، مع إمكانية استخدام القوة ، والقدرة ، كلما تطلب الأمر ، أو استدعت الظروف ، ولذٰلك من يمتلك مقاليد القوة ، والقدرة يستخدمها متىٰ شاء ، وكيفما يشاء ، ولـكن إن كان من المؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله رب العالمين ، فلن يستخدم قوته وقدرته في غير ما يجب ، لأجل نيل مرضاة ٱلله تعالىٰ ، وإن كان من غيرهم من الضالين ، والظالمين ، والفاسقين ، والحاسدين ، والماكرين ، والكائدين، فقد يستخدمها فيما لا يجب . ولأننا نتكلم عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فإننا نتكلم عن المؤمن الذي أخصه ٱلله تعالىٰ بمعجزات ، وآيات كريمة ، ميَّزته عن غيره من العباد المؤمنين ، والمسلمين ، وجعلته في عليين : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل : ٢٠ ـ ٢٢] .

وعليه قوله تعالىٰ : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ دليل إثبات إمكانية استخدام القوة في محلِّها ، وهو بأسباب الغياب التي قد يكون من بينها عدم طاعة الهدهد من الطير المسخَّر لسليمان ، ليتصرَّف فيه وبه متىٰ ما يشاء ، في مرضاة ٱلله تعالىٰ ، أي بما أن أمر الحشر قد صدر من سليمان ، ليكون الحضور من الجميع دون استثناء ، فكيف لا يكون الهدهد من الحاضرين ؟

هل هو عاصٍ ؟

هل هو متمرد ؟

أم أنه غير معترف بالأمر ؟

أم أنه غير مقدِّر للقوة ، والقدرة الموهوبة لسليمان ، من ٱلله تعالىٰ ؟

وتزداد الشدة وفقاً للصلاحيات الممنوحة لسليمان ، حتىٰ بلوغ تنفيذ أمر

القتل في الهدهد ، إذا لم يكن له عذرٌ في غيابه ، أو تأخره ، عن الحضور ؛ المحشور فيه من الإنس ، والجن ، والطير ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ .

وكذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ فيه شدة ، وتهديد باستخدام القوة ، والقدرة المتاحة من ٱلله تعالىٰ ، أي إذا لم يكن هناك مبررات مقنعة من الهدهد تُرضي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن القوة المستخدمة ، ستكون شديدة جداً ؛ من العذاب ، إلىٰ الذبح ، أو البديل الثالث ؛ وهو المبرر المنطقي الذي به يُحق الحق ، ويزهق الباطل .

قال تعالىٰ : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي أنه قد تأخر قليلاً ، إلا أنه حضر بوجه السرعة ، وهو يجيب علىٰ تساؤل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بما جاء به من أمر ، لم يحط به سليمان من قبل ، فنجىٰ من التعذيب ، والقتل ، وتحولت الشدة وانقلبت إلىٰ لين .

اللهُمَّ ! إنك الشديد . وشدتك حق ، فاجعلنا بشدتك مُحقِّين للحق ، ودامغين للباطل ، وزاهقين له ، اللهُمَّ ! إنك أمرت بالشدة ، والغلظة علىٰ الأعداء ، فاجعلنا علىٰ الشدة ، والغلظة التي بها أمرت ، ولا تجعلنا علىٰ الوهن ، والضعف الذي به نُهزم ، اللهُمَّ ! إنك شديد العقاب ، فاشدد عقابك علىٰ شياطين الإنس ، والجن الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون .

اللهُمَّ ! بشدتك العظيمة نسألك أن تُفرِّجَ عنَّا كل شدة ، وكرب ، وتجعلنا من أصحاب الجنة ، خالدين فيها ، وفيها نادي أصحاب النار : ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ واجعل أسماعنا مصغية ، لنؤذن بعد الاستماع مع ذٰلك المؤذن العظيم ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

✍ ✍ ✍

المُسـيطِرُ

المُسيطرُ : هو المتحكم في أمر المُلك ، وأمر الخلق ، وأمر الكون ، ولا يفلت من أمره أحد فهو المتحكم في الحركة ، والسكون ، والمتحكم في أمر الحياة ، والممات ، والبعث ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

المسيطر : هو المستوي علىٰ العرش ؛ حكماً ، وملكاً ، وأمراً مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

ـ بدون شك ؛ لو لم يكن هو المسيطر ، ما خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام .

ـ ولو لم يكن المسيطر ، ما استوىٰ علىٰ العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً .

ـ ولو لم يكن المسيطر ، ما كان القمر ، والنجوم مسخرات بأمره .

ـ ولو لم يكن المسيطر ـ جل جلاله ـ ما كان له الخلق والأمر .

ولذا فقد عرَّفَ البعض اسمه المُسَيْطِرَ بأنه : « الغالب القاهر من سَيْطَرَ عليه إذا راقبه وَحَفظَهُ أو قَهَرَهُ » (١) .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ج ١٤ ، ص ٤٢٩ .

المسيطر : « هو الرقيب الحافظ المتعهد للشيء » (١) .

والمصيطر : « المُسلط علىٰ غيره ليُشرف عليه ، ويتعهد أحواله ، ويكتب عمله » (٢) .

ولأن المسيطر بالمطلق ؛ هو ٱلله تعالىٰ ، فكانت السمٰوات ، والأرض مخلوقات خلقاً ، في ستة أيام ، وكان استواؤه علىٰ العرش خلقاً ، ولأنه المسيطر علىٰ ما خلق خلقاً ، فهو الذي يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، ولأنه المسيطر ؛ فهو السميع ، العليم ، القدير ، المقتدر المجيب ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد : ٤ ـ ٦] .

المسيطر : هو المُعجِزُ بقوله الآياتي ، وفعله الخَلقي ، ولذا فالذين يُكذّبون بما جاء من آيات في الكتاب الحكيم ، فليأتوا بقولٍ مثله ، أو حديث مثله ، أو آية واحدة فقط إن استطاعوا ، وليخلقوا شيئاً من لا شيء ، إن كانوا قادرين ، ولينظروا إلىٰ السمٰوات والأرض ، إن كانوا موقنين ، قال تعالىٰ : ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور : ٣٤ ـ ٣٧] .

يفهم من الآيات الكريمة السابقة ، مجموعة من الاستفسارات المستعرضة للإعجاز الخلقي ، للمسيطر ـ جل جلاله ـ في الآيات الآتية :

(١) لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٦٣ .

(٢) مختار الصحاح ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

ـ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ ! هـٰذه الآية تسند الباحث عن الإجابة بأنه لا أحد يقدر علىٰ الخلق ، وتجعله يقول : الخالق ٱلله الذي يسيطر علىٰ كل شيء .

ـ ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ هل هم الذين خلقوا السمـٰوات والأرض ، أم أنهم لا يوقنون ؟ بدون شك ، لا إجابة إلا أن الخالق لها هو ٱلله عز وجل .

ـ ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴾ أي عند مَن خزائن ٱلله ؟ هل هي خزائن مهملة ، أم أنها تحت أمر المسيطر عليها ؟

والسؤال الكبير :

من هو المسيطر علىٰ خزائن الربِّ العظيم ؟

ألا يكون المسيطر هو الذي يسيطر علىٰ خزائن الرحمة الواسعة ، وخزائن الحكمة الواسعة ، وخزائن الرزق الواسع ، وخزائن العلم الواسع ، وخزائن كل شيء شاءه ، ليكون في خزائنه الكريمة الواسعة .

السيطرة المطلقة خصَّ بها ٱلله تعالىٰ نفسه الجليلة ، وذٰلك لأنه لا أمر بالمطلق إلا أمره ، أمَّا ما دونه فكل شيء نسبي ، قال تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية : ٢١ ـ ٢٦] .

فقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ الحديث موجه إلىٰ الرسول الكريم محمد ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ أي ذكرهم بأمر الغاشية ، وما يترتب عليه مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ

كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية : ١ ـ ٢٦] .

أمَّا قوله تعالىٰ : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ فالأمر علىٰ الاختصاص يتعلق بٱلله ـ عز وجل ـ أي إن أمرك يا محمد ! يتعلق بتذكير الناس بآيات ٱلله تعالىٰ أمَّا أمر السيطرة ، فبيد المسيطر وهو ٱلله ـ جل جلاله ـ ، ولأنه المسيطر ، فأمر العذاب الأكبر بيده وحده ، فيوم الحساب سيجازي ٱلله تعالىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، بجنات النعيم ، ويجازي الكفار ، والمشركين الذين ضلوا عن الهداية بنار جهنم ،هم فيها خالدون .

ولأن المسيطر هو ٱلله ـ جل جلاله ـ فهو الذي يرزق من يشاء بغير حساب ، ويؤتي المُلك لمن يشاء ، وينزع المُلك ممن يشاء ، ويولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧] .

ولأنه المسيطر ـ عز وجل ـ فهو الواحد الأحد ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، بديع السمٰوات والأرض ، وخالق ما بينهما ، وخالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن الأنفس ومما لا نعلم ، ولأنه المسيطر ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، سبحانه إنه المسيطر بالقوة والقدرة ، والإرادة والخلق ، والملك ، والأمر ، قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ

ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يٰسٓ : ٣٦ ـ ٤٠] .

وعليه فالمسيطر ؛ هو المتحكِّم في الأمر بالمطلق ، ولا شريك له ، فإن أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، ولذا فإن نظرنا إلىٰ الطير في السماء ، لا ممسك له غير قدرته تعالىٰ ، المسيطر علىٰ الحركة والسكون ؛ طيراناً ، وامتداداً ، ودوراناً ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل : ٧٩] .

ولأنه المسيطر ، جعل حركة الطائر في السماء حرة في دائرة الممكن ، يبسط جناحيه ، ويقبضهما مع تحكم دقيق ، ويَسيرِ في الحركة والانقباض ، ولذا فالمسيطر يحيط بكل شيء ، ولا يحاط بشيء ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك : ١٩ ـ ٢١] .

وعلىٰ الخليفة في الأرض ، أن يسيطر علىٰ أمره ، فلا يجعل الانفلات في لسانه ، ولا في عمله ، ولا سلوكه ، وأن يتقي ٱلله في كل قول ، وكل فعل ، وكل عمل ، وكل سلوك ، ولا يظلم أحداً .

وسيطرة الخليفة دائماً في دائرة الممكن المتوقع ، وغير المتوقع ، تؤسس علىٰ الاعتراف بالآخر ، وتقديره ، واحترامه ، واعتباره ، دون اعتداء علىٰ حقوقه ، أو منعه من أداء واجباته ، أو حرمانه من حمْل مسؤولياته ، فالخليفة هو الذي لا يُفرِّقُ بين الناس ، بل يحثهم ويُحفِّزُهم علىٰ التعاون ، والوحدة التي بها ينالون المراتب العليا في البناء والإعمار ، وفي كل ما يحقق لهم التقدم ، ويصون القيم والفضائل التي تُرضي الخالق والمخلوق .

اللهُمَّ المسيطر علىٰ السمٰوات والأرض وما بينهما اجعلنا بسيطرتك آمنين

مطمئنين عاملين علىٰ إحقاق الحق وإزهاق الباطل ولا تجعلنا من المسرفين الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون .

اللهُمَّ ! إنك المسيطر علىٰ الحركة والسكون ، فاجعلنا علىٰ حركتنا مسيطرين ، وعلىٰ سكوننا مسيطرين ، ولا تجعلنا من الذين يستفزهم الغضب فلا يسيطرون ، اللهُمَّ ! إنك المسيطر ، فاجعلنا بعلمك مسيطرين علىٰ الجهل ، وبما أنعمت ورزقت ، مسيطرين علىٰ الفقر والحاجة ، وبعقولنا اجعلنا متوازنين ، مدركين ، ومتذكرين ، ومعتبرين ، حتىٰ لا نظلم أحداً . اللهُمَّ ! إنك المسيطر علىٰ الداء والدواء ، والألم ؛ فاجعل لنا من كل داء شفاء ، ومخرجاً من كل ألم .

✍ ✍ ✍

الفـعَّال

الفعَّالُ : الذي قوله حق ، وفعله حق ، فإن أراد للشيء أن يكون ، يكن بقوله (كن) .

الفعَّال : « هو الذي لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه ، وخالف أمره ، من الانتقام منه ، ولٰكنه يفعل ما يشاء فعلَه ، فيمضي فيهم وفيمن شاء من خلقه فعلُه وقضاؤهُ » (١) .

الفعَّال : « الذي لا يسأل عما يفعل ، فلا اعتراض عليه » (٢) .

إذاً الفعَّالُ : هو المقتدر علىٰ تحقيق الفعل الذي يُريده كما هو يريده ، فلا مستحيل أمام فعله ، فإن أراد أحدا بعسرٍ ، كان عسره ، وإن أراده بيسرٍ ، كان يُسره .

إذاً الفعَّال : هو ٱلله ـ جل جلاله ـ يفعل ما يريد ، لمن يريد ، متىٰ ما يريد ، وكيفما يريد ، ولذا لا رادَّ لِما يُريده ، إنه علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٦ ـ ١٠٧] .

فقوله : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أقواله تتحقق أفعالاً ، فهو الذي يُريد اليُسر بمن يعمل صالحاً يرضاه ، فيحقق له ذٰلك التيسير تحقيقاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ :

(١) تفسير الطبري ، ج ١٥ ، ص ٤٨٥ .

(٢) نظم الدرر للبقاعي ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ولأن الفعَّال لما يريد ، يريدُ ألا يجعل حظاً للذين يسارعون في الكفر فيفعله يقيناً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، ولأنه يريد أن يُبيِّنَ للمسلمين الحق ، فبينه لهم كتابا مفصلا ، قال تعالىٰ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦] . ولأنه يريد أن يتوب علىٰ المسلمين بالحق فيتوب عليهم ويريد الفعَّال أن يخفف عنَّا فيخفف ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٧ ـ ٢٨] ، ولأنه الفعَّال ؛ فهو يريد أن يُطهِّرَ الذين آمنوا ، ويريد أن يتم نعمته عليهم لعلهم يشكرون ، قال تعالىٰ : ﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] ، ولأنه يريد أن يعذب الكفار ، فلا مفر لهم من عذابه ، ولهٰذا هو الفعَّال لما يريد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥] .

ولأنه الفعَّال لما يريد ، ففعل كل ما أراده ، ويفعل كل ما يريده ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، فقد أراد أن يُذهب الرجس عن أهل البيت ، فأذهبه عنهم وطهرهم تطهيراً ، قال تعالىٰ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ولأنه ـ جل جلاله ـ هو ذو العرش المجيد ، فهو الفعَّال لما يُريد ، قال تعالىٰ : ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٥ ـ ١٦] .

ولأنه الفعَّال ؛ لما يُريد ، فهو الفعَّال ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، ولأنه الفعَّال ؛ فقد فعل ما أراده ، وسيفعل ما يريده متىٰ ما يشاء ، فلو أراد أن لا تكون الفتنة والاقتتال من بعد ما جاءت الرُّسُل لفعل ، ولـٰكن وحده يعلم ما في الغيب ، فتحقق فعل الاقتتال حيث فريق من الناس آمن ، وفريق منهم كفر .

ولأنه الفعَّال ؛ جعل العاقر تلد ـ وزوجها شيخ كبير ـ بالأمر (كن) ، فكان الحمل ، وكان الإنجاب . سبحانه إنه الفعَّال لما يريد ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران : ٤٠] .

ولأنه الفعَّال ؛ يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج : ١٤] .

ولأنه الفعَّال ؛ ففعله لا يتحدد ولا يُحد ، ولا ينتهي ، فهو الفعَّال لما يشاء متىٰ شاءه ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج : ١٨] .

ولأنه الفعَّال ؛ إذا قضىٰ أمرا أي أمر بالمطلق يفعله ، أو يجعله مفعولا بالأمر (كن) ، قال تعالىٰ : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة : ١١٧] .

ولأنه الفعَّال لما يُريد ، خلق آدم من ترابٍ ، من غير أم ومن غير أب ، وكذٰلك خلق عيسىٰ علىٰ مثل آدم ، من أم ومن غير أب سبحانه إنه الفعَّال ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

وعليه فإن يمسسك ٱلله بضر ، فلا كاشف له إلا هو الفعَّال ، وكذٰلك إن أرادك بخير ، فلا أحد يستطيع رد خيره وفضله ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ

ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] .

ولأنه الفعَّال ؛ وهو علىٰ كل شيء قدير ، إذاً لا اعتراض علىٰ أن يفعل الشيء الذي يُريده ، فيدخل من يشاء النار ، ويدخل من يشاء الجنة ، وسيجزي الشاكرين ، قال تعالىٰ : ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ولذا ، فالذين ليس لهم حظٌّ في الحياة الدنيا، فلن يكون لهم الحظ إذا لم يشأ الفعَّال أن يكون لهم حظٌّ فيها ، وإن أراد لهم في الآخرة العذاب الشديد ، فلا راد لقضائه ، فهو الفعَّال لما يُريد ، قال تعالىٰ : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٧٦] .

ولأن الفعَّال لم يُرد للمسيح أن يُصلب ، فلم يُصلب ، ولـٰكن شُبِّه لهم ، ولو أراد أن يهلك المسيح وأمه ، ومن في الأرض جميعاً ، لفعل ، قال تعالىٰ : ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٤١] .

ولأنه الفعَّال ـ جل جلاله ـ فهو الذي بأمره كان النصر محققاً للمسلمين في مواقع كثيرة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٦] .

ولأنه الفعَّال العظيم ؛ فقد فعل ما يشاؤه بعاد وثمود ، الذين أكثروا في البلدان الفساد ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ

يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر : ٦ ـ ١٤] .

ولأنه الفعَّال بالمطلق ، فلا راد لما يشاء أن يفعله ، إذا أراد فعله ، فعلينا أن نتذكر ما فعله بأصحاب الفيل :

- ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟
- ألم يرسل عليهم طيراً أبابيل ؟
- ألم ترمهم تلك الطيور المباركة بحجارة من سجيل ؟
- ألم يجعلهم كعصف مأكول ؟

قال تعالىٰ : ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

سبحانه الفعَّال ! إذا أراد شيئاً يقول له كن ، فيكون ، وإذا لم يرد شيئاً فلن يكون شيء ، ولذا فعلىٰ الخليفة أن لا يقول لشيء إني فاعل ذٰلك غداً ، إلا في مشيئة ٱلله تعالىٰ ، ولأنه فعَّال لما يُريد ، جعل أصحاب الكهف في كهفهم أمواتاً ثلاثمائة وازدادوا تسعا ، مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف : ٢٣ ـ ٢٥] .

وعلىٰ الخليفة إذا أراد شيئاً ، في طاعة ٱلله ، وبه تعود الفوائد والمنافع والمحاسن علىٰ العباد : أن يفعل ما يُمكِّنه من تحقيقه ، دون أن يُكره أو يُرغِمَ أحداً علىٰ ما لا يحب ، أو يرغب ، حيث لا إكراه في الدين ، وعلىٰ الخليفة أن يتخذ رسول ٱلله محمداً ﷺ أسوة حسنة له ، فهو لم يكره أحداً ، ولم يجبر أحداً علىٰ ما لم يرغب ، ولٰكنه يبين للناس الفضائل ، والقيم الكريمة التي من

وراء ندائه ، أو تحريضه ، ولهـٰذا كان ٱلله مرشداً لمحمد بالنبأ العظيم ، والرسالة الخالدة للناس كافة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ ـ ٤٠] .

اللهُمَّ ! الفعَّال لِما تُريد ، مكنَّا بقوتك أن نفعل ما نريد ، تحت ظل مشيئتك ، ليكون ما نريده علىٰ الحق ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال ، فاجعلنا فعَّالين لِما تأمر ، ولا نكون من الفعَّالين لما نهيت عنه ، وحرَّمته ، وأن لا نفعل الباطل ، فمن يفعل الباطل يلق آثاماً ، ويُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال ، فاصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال ، فاجعلنا مع الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا .

✍ ✍ ✍

الجَـاعِلُ

الجَاعِلُ : هو المؤسس للأشياء علىٰ ما ينبغي أن تكون عليه ، والجعل مترتب علىٰ الخلق ، فالذي خلق السمـٰوات والأرض ، وخلق الإنس والجن والملائكة ، هو الذي جعل منهم في الأرض خليفة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

والجعل ؛ لا يكون إلا علىٰ الهيئة التي بها تتميز الأنواع ، والأجناس ، والمخلوقات المجعولة ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] .

إذاً الجاعل : هو القادر علىٰ جعل الأشياء علىٰ ما هي عليه ؛ خلقاً ، وطبعاً ، ونوعاً ، وجنساً ، وخاصية ، وصفة ، وفعلاً ، فالذي خلق الأرض هو الذي جعلها علىٰ ما هي عليه ؛ شكلاً ، وحركة ، وامتداداً ، وبسطة ، وهو الذي جعل لها مجراها مداريّاً ، وجعلها مع غيرها من الكواكب ، في فلك يسبحون قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٤] .

مجموعة من الأسئلة قد تترتب علىٰ هـٰذه الآية ، لأجل توضيح الجعل ، وإظهار المعنىٰ الدلالي للآيات الكريمة له ، ومن هـٰذه الأسئلة :

١ ـ كيف كانت السمـٰوات والأرض ، وكيف أصبحتا ؟

ـ كانتا علىٰ الخلق والجعل .

ـ كانتا علىٰ الخلق رتقاً ، أي كانتا المجعولتين علىٰ الوحدة والاتصال ، ثم أصبحتا المجعولتين علىٰ الانفصال ، وليس المخلوقتين عليه ، ولذا فصفة الخالق هي الخلق ، وصفة الجاعل هي الجعل ، وكلا الصفتين هما لله تعالىٰ ، فسبحان الخالق المبدع ، وسبحان الجاعل القدير .

ولأنه الجاعل الذي خلق الأرض رتقاً مع السمـٰوات ، فهو الجاعل الذي فتقهما فتقاً ، وهو الجاعل الذي جعل الأرض فراشاً ، والسماء بناء ، فأنزل منها ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١ ـ ٢٢] .

٢ ـ بصفة من كانت السمـٰوات والأرض رتقاً ؟

ـ بصفة الخالق عز وجل .

٣ ـ بصفة من أصبحت السمـٰوات والأرض مفتوقتين ؟

ـ بصفة الجاعل جل جلاله .

٤ ـ وبأي صفة يصبح من الماء كل شيء حيّاً ؟

ـ بصفة الجاعل تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

٥ ـ علىٰ من يعود ضمير الجعل ؟

ـ يعود علىٰ الجاعل (ٱلله تعالىٰ) .

ولأنه الجاعل ـ جل جلاله ـ فهو الذي جعل ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء : ٣١ ـ ٣٢] .

ولأنه الجاعل ؛ فهو يُطاع ، ولا يُعصىٰ فيما أمر ، ونهىٰ ، وحذَّر ، وحرَّم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥] .

ولأن الجاعل بالمطلق يُطاع ، فينبغي علىٰ ربِّ الأسرة ، والمسؤول عن أي رعية ، أن لا يؤتي السفهاء من القُصَّر ، والذين هم ليسوا بأسوياء ، حق التصرف في الأموال ، وإن كان لهم نصيب فيها ، وذٰلك طاعة لأمر ٱلله الذي أعطىٰ لرب الأسرة ، أو المسؤول ، صلاحية التصرف فيما جعل لهم حقاً عليه .

ولأنه الجاعل ـ عز وجل ـ فهو الذي جعل الأنبياء في أقوامهم ، وأممهم أنبياء وملوكاً ، كما هو حال بني إسرائيل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠] .

ولأنه الجاعل ـ جل جلاله ـ فهو الذي جعل الكعبة ، البيت الحرام ، للناس مثابة وأمناً . قال تعالىٰ : ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

ولأنه الجاعِلُ ؛ خلق ما خلق مجعولاً علىٰ وظيفة ، ومنافع ، فالنجوم خُلقت خلقاً ، وجُعلت في علاقة وظيفية مع غيرها من الكواكب ، لتُظهِرَ تلألؤاً يهتدي به الناس إلى مقاصدهم ليلاً في ظلمات البر والبحر ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٧] .

ولأنه الجاعل ؛ فهو كما جعل النجوم ليهتدي الناس بها ليلاً ، كذٰلك جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وهو الذي جعل التقدير الإحصائي من خلال دوران الأرض ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، في أفلاكها التي جُعلت عليها امتداداً ودوراناً ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : ٥] .

وعليه لو لم يكن الجاعل ، قد جعل الأرض ، والشمس ، والكواكب ، والنجوم ، في حالة حركة ، ما كان الإنسان بعارف لعدد السنين ، والحساب ، كما هو حال معرفته اليوم بأمرها .

الجعل من المطلق جعل نعمه تتعدد ، فهو الذي جعل الليل سكناً ، والنهار مبصراً ، لينال كل معاشه فيه ، وليهتدي كل في سكنه ومعاشه (في ليله ونهاره) ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس : ٦٧] .

والجاعل : هو الذي بيده أمر الجعل للأشياء المخلوقة ، فالذي جعل الأرض والسمٰوات مفتوقتين ، هو الذي جعل الأرض علىٰ حالة من المد ، وجعل فيها رواسي ، وجعل فيها الأنهار ، وجعل فيها الثمار ، وهو الذي جعل فيها الزوجين للأنواع والأجناس ، وجعل منهم البنين ، والحفدة ، وهو الذي جعل نصيباً من الرزق لكل ما خلق ، وهو الذي يغشي الليل النهار ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد : ٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢] .

ولأنه الجاعل ؛ فَجعْلُهُ نعم لا تُحصىٰ ولا تُعد ، ولذا فما لدينا من نعم ،

وما خلق من نعم ، هي المجعولة لما خلق ، ولمن خلق ، فهو الذي جعل لنا البيوت سكناً ، وجعل لنا من جلود الأنعام بيوتاً ، ومتاعاً ، وهو الذي جعل مما خلق ظلالاً ، وثماراً وجعل لنا من الجبال أكناناً ، وجعل لنا مالا يُحصىٰ عدداً سبحانه ! إنه الجاعل ، ٱللَّه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل : ٨٠ ـ ٨١] .

ولأنه الجاعل ؛ فجعلُه متىٰ شاءه كان مجعولاً ، ولذا فالعلاقة لا تنفصل بين الجعل ، والأمر (كن) ، فإذا شاء الجاعل لشيء أن يكون ، جعله كائناً ، كما جعل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ منادياً لأمه من تحتها ، كما جاء في الكتاب الحكيم : ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم : ٢٤] .

ولأنه الجاعل ؛ فهو الذي جعل الأرض إلىٰ جانب ما سبق ذكره ، جعلها قراراً أي مستقرة علىٰ التوازن ، وكأنها لا تتحرك ، وهو الذي جعل خلال الأرض أنهاراً تجوبها ، وجعل لها الجبال رواسي ، وهو الذي جعل بين البحرين حاجزاً ، قال تعالىٰ : ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٥٣] ، وهو الذي جعل بني آدم مستخلفين في الأرض ، ولمن يتساءل ، جاءت الآيات في الكتاب الحكيم حاملة للإجابة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل : ٥٩ ـ ٦٣] .

ولأنه الخالق ؛ فقد خلق التراب خلقاً ، ثم خلق منه آدم وزوجه ، ثم خلق النطفة ، ثم جعل منها المخلوق المجعول علىٰ حالة التذكير ، أو التأنيث ، أو علىٰ حالة بين هٰذا وذاك ، إنه علىٰ كل شيء قدير ، وجعل ذٰلك الخلق في النطفة علىٰ الضعف ، ثم الطفولة علىٰ الضعف ، ثم جعل بعد ذٰلك للمخلوق قوة ، ثم جعله علىٰ الضعف مرة أخرىٰ ، وهو في حالة الكبر التي فيها يحتاج لمن يعينه ، كما كان مولوداً ، قال تعالىٰ : ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم : ٥٤] .

الخالق ـ جل جلاله ـ خلق بني آدم من نفس واحدة ؛ هي النفس الإنسانية (البشرية) ، ثم جعل من هٰذه النفس الزوجين الذكر والأنثىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر : ٦] .

ولأنه الجاعل لكل شيء شاءه ، ولكل شيء يشاؤه ، فقد جعل لكل ما شاء مشيئة ، تجعله علىٰ الخاصية التي بها يتميز عن غيره ، بداية ونهاية وشكلاً ومضموناً ، قال تعالىٰ : ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٣] .

ولأن الجاعل يهدي لما يجعل طبيعة خلقية ، أو وفق نوع ، وجنس يختاره المخلوق خلقاً ، لذٰلك كانت السمٰوات والأرض مجعولتين علىٰ الرتق خلقاً ، ثم أصبحتا المجعولتين علىٰ الفتق جعلاً ، وهٰكذا جُعلت الأرض علىٰ الحركة ، وجُعل المتحرك عليها لا يحس بحركتها ، وجُعل المخلوقون بعضهم علىٰ الكفر والشرك ، وبعضهم علىٰ الطاعة من المؤمنين ، وجَعل الجاعل ـ عز وجل ـ لكل شيء سبباً ، فمن يرد الله أن يهديه للإسلام يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً ، مصداقاً لقوله ، تعالىٰ : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

ولذا فالهداية ؛ نور يرشد إلىٰ الحق ، والصراط المستقيم . والكفر ، والجهل ظلام لا يوقع إلا في الحُفر ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠] .

ولأن الجاعل هو ٱلله تعالىٰ ، فهو علىٰ كل شيء قدير ، يخلق ما يشاء ، ويجعل ما يشاء جعلاً صالحاً ، وما يجعله ٱلله وفقاً لمشيئته ، فلا راد له ، ولذا لا يستغرب المؤمن إن تغيرت الأحوال والأمور ، بل لعله يستغرب إن لم تتغير ، فالذين أشعلت بينهم نار الفتنة والعداوة ، فالجاعل قادرٌ علىٰ أن يجعل بينهم مودة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة : ٧] .

ولأنه الجاعل ؛ فهو المخرج من الهم ، والغم ، ولهٰذا فمن يتق ٱلله ربه يجعل له من أمره يسراً ، فالجاعل جعل لكل شيء سبباً ، وجعل لكل شيء قدراً ، وجعل له مخرجاً ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٤] .

ولأننا نؤمن بأنه الجاعل ـ جل جلاله ـ نعلم أنه هو الذي جعل كيد أصحاب الفيل في تضليل ، وذٰلك بكيده لكيدهم ، ومكره بمكرهم ، ونعلم أنه هو الذي جعل علىٰ أصحاب الفيل طيراً أبابيل ؛ مرسلة عليهم ، ورامية لهم بحجارة من سجيل ، وكذٰلك نعلم أن الجاعل هو الذي جعلهم كعصف مأكول ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

ولأنه الجاعل ـ جل جلاله ـ فهو الذي جعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وجعل من كل شيء معجزة ، وفي كل معجزة حكمة ، وفي كل حكمة نعمة ، وفي كل نعمة سترة ، وفي كل سترة خيراً نافعاً ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ٦ ـ ١٣] .

إذاً الجاعل في هٰذه الآيات هو الذي جعل :

١ ـ الأرض مهاداً .

٢ ـ الجبال أوتاداً .

٣ ـ خلقنا أزواجاً .

٤ ـ نومنا سباتاً .

٥ ـ الليل لباساً .

٦ ـ النهار معاشاً .

٧ ـ بناء السمٰوات السبع فوق الأرض ، التي نحن علىٰ ظهرها ، نعيش ونحيا ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ .

٨ ـ السراج الوهّاج .

وعلىٰ الخليفة أن يجعل أمره ، وحاله ، ولسانه ، وسمعه ، وبصره ، وعمله ، تحت مظلة اسمه الجاعل ـ جل جلاله ـ ، وأن لا يجعل الحياة مبلغ همه ، ولا ينسىٰ نصيبه منها أيضاً ، وأن يجعل ما يملك من مُلك ، وما يُرزق من رزقٍ ، في أوجهه التي هي في مرضاة ٱلله تعالىٰ ، وأن يجعل مما يستطيع أن يجعل ما يفيده ، ويفيد العباد ، وأن يجعل أسرته علىٰ الحكمة التي بها يتعظون ، ويعظون من يتعظ ، وأن يجعل تلاميذه ، وطلبته ، إن كان مدرساً ، علىٰ المعلومة التي بها يستفيدون ويستنفعون ، ويفيدون الآخرين ، وإن كان

مسؤولاً في أي وظيفة ، أن يجعل الوظيفة التي هو علىٰ رأسها ، خير وظيفة في أخذ الحقوق ، وأداء الواجبات ، وحمْل المسؤوليات ، وأن يتقي ٱلله ربَّه في الناس ، والأمانة التي هو متحمِّلها ، أو مُحمَّلةٌ له .

اللهُمَّ ! إنك الجاعل لكل شيء شئته ، فاجعل لنا في كل شيء شئته رحمة . اللهُمَّ ! إنك جعلت الشمس ضياء ، فاجعلنا مستخلفين في ضيائها ، ولا تجعلنا مفسدين في الظلمة ، اللهُمَّ ! إنك جعلت القمر نوراً ، والكتاب نوراً ، فاجعلنا علىٰ نور سمائك وعلىٰ نور كتابك العزيز مهتدين ، اللهُمَّ ! إنك جعلت الأرض قراراً فاجعلنا في الأرض آمنين ، قارِّين ، واجعل لنا في نهارها معاشاً ، وفي ليلها لباساً وسترة ، اللهُمَّ ! إنك أحييتنا في هـٰذه الدار ، فلا تجعلها مبلغ همِّنا ، واجعل لنا فيها نصيباً طيباً ، واجعل لنا الحياة من بعدها سرمدية ، في جَنَّاتِ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً .

✍ ✍ ✍

المُـوَفِّي

المُـوفِّـي : هـو الـذي يملـك الملـك ، والأمـر ، فيـوفِّـي ولا ينقـص الحسنات ، وهو الذي يزيد في العطاء أكثر مما يتوقعه الموفَّىٰ له .

المُوفِّي : هو المُعطي بالمطلق ، لمن عمل عملاً صالحاً يرضاه .

الموفِّي : اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ كما جاء في آيات الكتاب الحكيم فهو الذي قوله حق ، وفعله حق ، ووعده حق ، إنَّه من لا يخلف الوعد ، فهو الموفي لمن عمل عملاً صالحاً ، والموفي لمن عمل السيئات بكفره ، أو شركه ، وهو لا يظلم أحداً .

الموفي : هو من يزيد عطاء ، من بعد إعطاء الحق لمستحقه ، ولذا فالإيفاء ليس بحق ، ولـٰكن مالك الحق بالمطلق يمتلكه .

الإيفاء متنوع فمنه :

١ ـ **الإيفاء المادي للخصوص** : وهو عطاء بلا منَّة ، ورحمة بأسباب الصلاح ، والفلاح ، فمريم عليها السلام جاءها الإيفاء من الرزق وهي في المحراب تتعبد ، قال تعالىٰ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

٢ ـ **الإيفاء المادي للعموم النسبي** : وهو الإيفاء الذي رحمته تعم الناس ؛ في المكان ، والزمان ، وفقاً للمشيئة التي يريدها الموفي ـ عز وجل ـ ،

قال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة : ٢٧] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر : ٩ ـ ١٠] .

٣ ـ الإيفاء المعنوي (الروحي) : وهو يتعدد أيضاً ومنه :

أ ـ الإيفاء بالمغفرة : ولأنه الغفار ؛ فلا مغفرة إلا منه ، ولهٰذا فالموفي هو ٱلله الذي يوفي بمغفرته لمن يستغفر ربه من كل ذنب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦] .

ب ـ الإيفاء بالتوبة : وهٰذا الإيفاء رحمة من الموفي علىٰ المؤمنين بالحق المبين ، ولذٰلك فقد يَسَّرَ لهم ما يكفِّر به لهم عن أخطائهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢] .

ج ـ الإيفاء بالرضا : فمن يرضىٰ عنه ٱلله ، فقد فاز فوزاً كبيراً ، ولذٰلك لقد رضي ٱلله علىٰ المؤمنين ، الذين بايعوا الرسول محمداً ﷺ تحت

الشجرة ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ١٨ ـ ١٩] .

وعليه فالموفي ؛ هو من يوفي العاملين أجورهم بإحسان ، ولا يظلم أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٧] .

ولأنه الموفي ؛ فهو الذي يوفي الأجر ، ويزيد من فضله ، ليكون الإيفاء أكبر وأكثر من الأجر الوافي ، أمَّا الذين يستكبرون عن طاعته ، وعبادته ، وتوحيده ، فلهم العذاب الشديد ، قال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧٣] .

ولأنه الموفي ؛ فهو الذي يوفي للمؤمنين ـ الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ـ أجورهم ، وهـٰؤلاء المؤمنون ؛ هم الطائعون ، التائبون ، المنفقون في سبيل ، ٱلله سراً وعلانية ، وهم الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، وأولـٰئك هم المفلحون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ ـ ٣٠] .

ولأنه الموفي فهو الموفي اختياراً :

١ ـ **يوفي للذي يريد الحياة الدنيا** : قال تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى

ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ ـ ١٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج : ١١ ـ ١٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ ـ ١٦] .

٢ ـ **يوفي للذي يريد الحياة الآخرة :** قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ١٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

٣ ـ **يوفي للذي يُريد الحياتين (الدارين) :** قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠١ ـ ٢٠٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٧٠] .

الموفي : هو الذي يحفظ الأعمال التي قدمتها أيدي الناس ليوم الحساب ، فمن عمل صالحاً يجده خير الحافظين لأعماله ، ومن عمل سيئة سيجده خير الحافظين للسيئات التي ارتكبها مرتكبها ، وسيوفي لكل عمله ، ويوفي للذين أحسنوا الحسنىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود : ١١١] .

ولأنه الموفي ؛ فيجعل لكل حقه ، ولا يظلم أحداً ، ولأن الأعمال درجات ، فمنها ما هو علىٰ سُلم الحسنات ، ومنها ما هو علىٰ سلم السيئات ، ولكل درجاته ، ولكل أعماله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف : ١٩] .

ولأنه الموفي ؛ فلا يغفل عن أعمال الذين عملوا الطيبات ، والصالحات ، وأعمال الذين عملوا المنكرات والسيئات ، فلكل حسابه ؛ ثواباً أو عقاباً ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود : ١٠٩] .

وعلىٰ الخليفة في الأرض أن يعمل صالحاً يرضاه ٱلله تعالىٰ ، فإن آتاه ٱلله مالاً ، فليتقِ ٱلله في ماله ؛ بالصدقة ، والزكاة ، والأعمال الحسنة ، وأن يكون من الذين يوفون بعهودهم إذا عاهدوا ، وأن يكون من الصابرين علىٰ الوفاة

للحق واتباعه . قال تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

والخليفة في الأرض ، هو من لا يقرب مال اليتامىٰ ، إلا بالتي هي أحسن ، عندما يكون اليتيم غير بالغ سن الرشد ، التي بها يتمكن من حسن التصرف فيما يملك ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

تحتوي هٰذه الآية الكريمة علىٰ مجموعة من الفضائل التي ينبغي أن يأخذ بها الخليفة في الأرض منها :

١ ـ أن لا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، حتىٰ يبلغ اليتيم أشده .

٢ ـ أن يوفي الكيل .

٣ ـ أن يوفي الميزان بالقسط .

٤ ـ لا يكلف نفساً إلا وسعها .

٥ ـ أن يعدل في قوله ، ولو كان علىٰ ذي قربىٰ .

٦ ـ أن يفي بعهد ٱلله تعالىٰ .

وإلىٰ جانب ما ذكر من فضائل ، فالخليفة أساس استخلافه في الأرض هو :

١ ـ أن يصلح الأرض ، ولا يُفسد فيها ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا

تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

٢ ـ أن لا يسفك الدماء في الأرض بغير حق : قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

٣ ـ أن لا يبخس الناس أشياءهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

وعلىٰ الخليفة الموفي ، أن يتخذ من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أسوة حسنة له في إيفائه للكيل ، إن كال لأحدٍ من الناس ، لينال مكانة مرموقة من مكانات المنزلين الكرام ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف : ٥٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ [الإسراء : ٣٥] .

ولذٰلك فعلىٰ الخليفة الموفي ، أن يتبع أمر الموفي المطلق في تعامله مع الناس ، ليكون من الوارثين . قال تعالىٰ : ﴿ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء : ١٨١ ـ ١٨٣] .

وعلىٰ الخليفة أن يوفي بعهده إن عاهد ، ولا ينسىٰ ما أمر ٱلله به ، ليعمل وفقاً لأمره في الأرض ؛ مصلحاً لا مفسداً فيها ، ولا سافك دماء بغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح : ١٠] .

اللهُمَّ ! إنَّك الموفي للأعمال الحسان بالحسنات ، فاجعلنا للأعمال الحسان من الفاعلين والموفين ، وفي الأرض من المعمِّرين لا من سافكي

الدماء فيها بغير حق ، ولا من المفسدين ، وللكيل والميزان من الموفين ، لا من القالين ، وإن حكمنا بين الناس أن نكون من العادلين ، وأنْ نخافك ونتقيك في أموال اليتامىٰ والمساكين ، وفي كل أمر ونهي ، اجعلنا من المتقين الموفين .

اللهُمَّ ! إنك الموفي بعهدك الجنة ، فاجعلنا للعهود موفين ، لنكون بعهدك الحق مستظلين ، آمنين في الجنة ، اللهُمَّ ! إنْ كانت الجنة تحت أقدام الآباء والأمهات ، فاجعلنا من الذين ينالون رضا الوالدين ؛ بالإحسان والطاعة في غير معصيتك ، واجعلنا الموفين لهما طاعة .

✍ ✍ ✍

المنَّـانُ

المنَّانُ : هو كريم العطاء دون منَّة ، ولا انتظار مردود ، ولذا فهو المُنعِمُ علىٰ خلقه بنعم لا تُحصىٰ ، وفضائل لا تحصىٰ ، وصفات وأفعال لا تُحصىٰ .

المنان : اسم صفة من صفات ٱلله الحسنىٰ ، فهو المُتفضّل بنعمه وإحسانه علىٰ خلقه ، وهو المعطي دون تأخير ، ولا انتظار مقابل لِما يمنُّهُ من خير علىٰ عباده .

المنان : « في صفة ٱلله تعالىٰ معناه المتفضل ، فمن ٱلله إفضال علىٰ عباده وإحسانه إليهم ، فجميع ما هم فيه منّة منه سبحانه وتعالىٰ » (١) .

المنَّان : « يفيض من عطائه ورحمته بلا سبب ولا علة ، سوىٰ أن الفيض والعطاء ، بعض صفاته الذاتية الكريمة » (٢) .

المنَّان : « الفعَّال لما يشاء ، القادر علىٰ كل شيء » (٣) .

والمنَّانُ : « هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، وهو من أسماء ٱلله تعالىٰ » (٤) .

ولأنه تعالىٰ ؛ هو المنَّان لمن يشاء ، بما يشاء ، فبِمنِّه علىٰ رُسُله

---

(١) تفسير الخازن ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .

(٢) في ظلال القرآن ، ج ٨ ، ص ٦٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٨٤ .

(٤) تفسير حقي ، ج ١٣ ، ص ١٣٧ .

الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ جاء كل منهم بسلطان من عند المنان تعالىٰ . أي جاؤوا بمعجزات من الكتب ، والرسالات ، والأنباء التي أصلحت ما أفسده المفسدون ، وبقيت آيات عظيمة خالدة وشاهدة علىٰ الحق ، وإظهاره إلىٰ أن تقوم الساعة ، ولهٰذا فسلطان الأنبياء ؛ سلطان باقٍ في الصُّحف ، والكتاب المبين ، رسالة خاتمة ، لمن شاء أن يكون طائعاً لله ربِّ العالمين ، ومُصلحاً في الأرض غير مفسد فيها ، ولا سافك دماً بغير حق ، وسلطان الأنبياء سلطان من ٱلله المنَّان ، الذي منَّ علىٰ عباده بالخيرات ، والنعم الحسان ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم : ١١] .

ولأنه المنان بما يشاء ، لمن يشاء ؛ فهو يمنُّ ولا يُمنُّ عليه ، فقد منَّ علىٰ خلقه بالرسالات ، والرُّسُل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ ليخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور ، ومنَّ علىٰ أنبيائه ، ورُسُله بالسلطان المُبين ، ولذا فمن آمن وأسلم وجهه إليه ؛ طاعة واتباعاً للرسالة التي جاء بها الرسول ، فلا ينبغي أن يَمنَّ بإسلامه علىٰ النبي الكريم ، وذٰلك لأن إسلام المؤمن ، هو هداية من ٱلله للإيمان ، فمن يعلن إسلامه ، قد يكون صادقاً في إشهاره لإسلامه ، وقد يكون من الكاذبين ، والمنافقين ، ولٰكن ٱلله المنان ؛ يعلم السر والنجوىٰ ، يعلم ما تكنه وما تظهره الصدور ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات : ١٧] .

ولأنه المنَّان ؛ فقد منَّ علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي

صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه : ١٧ ـ ٣٧] .

فقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ تدل علىٰ أنه تعالىٰ قد منَّ علىٰ موسىٰ ، أكثر من مرة ، ومن هـٰذه المرات :

١ ـ لقد منَّ المنَّانُ عليه بالمعجزات التي وهبها له ؛ من العصا ذات المآرب ، التي أصبحت حية تسعىٰ ، كما شاء لها المنان أن تكون ، ومن بعده كما يشاء موسىٰ ، وفقاً لمشيئة ٱلله المنان ـ جل جلاله ـ ، ثم منَّ المنان علىٰ موسىٰ بأية أخرىٰ ، ألا وهي يد موسىٰ التي أصبحت علىٰ لونها ، وعلىٰ البياض آية أخرىٰ .

٢ ـ الاستجابة لِما طلبه موسىٰ من المنَّان الأعظم ـ عز وجل ـ فهو قد طلب مطالب ، وكانت مجابة وهي :

أ ـ طلب شرح صدره فشُرِحَ .

ب ـ طلب تيسير أمره فيُسِّر .

ج ـ طلب حل عقدة لسانه فحُلَّت .

د ـ طلب أخاه هارون وزيراً ، فكان معه وزيراً .

وعليه ؛ أصبح كل طلبه مستجاباً من المنان ، الذي قد منَّ عليه من قبل ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه : ٣٦ ـ ٤١] .

وعليه فلقد منَّ ٱلله المنان علىٰ موسىٰ أكثر من مرة ، فإلىٰ جانب ما ذكرناه في النقطتين السابقتين (١ ، ٢) منَّ عليه من قبل بفضائل منها :

أ ـ الإيحاء إلىٰ أمه ، بأن تقذفه في التابوت ، لتقذفه في اليم .

ب ـ أخذه من قبل جنود فرعون عدو ٱلله ، وعدو موسىٰ ، ومع ذٰلك كان موسىٰ محفوظاً ، في رعاية ٱلله المنَّان عز وجل .

ج ـ صُنِعَ موسىٰ ؛ رعاية وحفظاً ، علىٰ عين ٱلله المنان .

د ـ إرجاع موسىٰ لأمه لترضعه ، وتمده بمحبة ومودة الأمومة ، ولتُقِرَّ أمه عينها طمأنة ، ولا تحزن .

هـ ـ نجاته من الغم المترتب علىٰ قتل النفس التي قتلها .

و ـ فتون ٱلله إليه بإخلاص الرعاية ، والعناية التي أظهرته من كل ابتلاء .

ز ـ اصطناعه لنفسه ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ .

ولأنه المنَّان ؛ فقد منَّ علىٰ موسىٰ ، وهارون فأنجاهما ، وقومهما من الكرب العظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١٤ ـ ١٢٢] .

إذاً لقد منَّ ٱلله المنان ، علىٰ موسىٰ ، وهارون بالآتي :

١ ـ نجاتهما من الكرب العظيم .

٢ ـ تحقق لهم ولمن اتبعهم النصر من المنَّان تعالىٰ ، فكانوا هم الغالبين .

٣ ـ إيتائهما الكتاب المستبين .

٤ ـ إهدائهما الصراط المستقيم .

٥ ـ تركهم في الآخرين آية من آياته ، فسلام علىٰ موسىٰ ، وهارون .

ولأنه المنَّان ؛ منَّ علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ، وجعلهم أئمة ،

وجعلهم الوارثين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

ولهٰذا كان موسىٰ ، وهارون أئمة ، ووارثين في الدارين :

أ ـ في الدار الدنيا ؛ رُسُولان كريمان ، لهما من المعجزات العظيمة التي أخصهم المنان ـ عز وجل ـ بها .

ب ـ في الدار الآخرة ؛ هما من الوارثين في الجنة .

وعليه ؛ فالمنَّان هو ٱلله تعالىٰ ، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير ، بديع السمٰوات والأرض ، يرزق من يشاء من غير حساب .

والخليفة المنَّان ؛ هو من يستمد هٰذه الصفة الحسنة من خالقه ، والمنعم عليه المنان تعالىٰ ، فيعطي مما أعطاه ٱلله من نعم ، وإن أعطىٰ فلا يمنن ، أي لا يستكثر ما أعطىٰ ، فإن استكثر ما أعطىٰ ، يصبح عطاؤه منّاً علىٰ المنِّ .

قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٧] .

الخطاب القرآني موجَّه للرسول الكريم ـ صلوات ٱلله وسلامه عليه ـ بأن يقوم من تَدَثُّره ، لينذر ، ولله يُكبِّر ، ولثيابه يُطهِّر ، وللرجز يهجر ، ولا يمن مستكثراً ، وعلىٰ ذٰلك فليصبر .

فقوله : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ أي أعطِ مما أعطاك ٱلله ، ولا تستكثر العطاء ، فهو المعطي الكريم ، وما يُعطىٰ لمن ينبغي ، هو خير ما يُعطىٰ .

ولأن المنَّ هو عطاء كرمي ، فلماذا لا يمنُّ مَنْ أنعم ٱلله عليه ، من نِعم علىٰ الذين هم في حاجة ، ولذا يجب أن لا يتأخروا في عطائهم ، وليعلموا أن ما عندهم هو من عند المنَّان الأعظم ـ جل جلاله ـ ، ولهٰذا ينبغي أن يتقوا ٱلله فيما يمتلكون من مُلكه ، ونعمه ، ورزقه ، فليتصدقوا ويتطهروا بالزكاة والرحمة .

وللخليفة نقول :

ـ المنُّ عطاء موجب ، فأعطِ ما استطعت ، وأكرم ما استطعت ، وتصدق بما تستطيع ، وزكِّ فالزكاة حق معلوم للسائل والمحروم ، وأرشد من ترشد ، وأصلح ما تصلح ، وعمِّر ما تستطيع إعماره ، وازرع خيراً ، تحصد خيراً .

ـ المنُّ علىٰ المنِّ خروج عن الأمر بالمنِّ دون استكثار ، أي من يمُنُّ بالخيرات علىٰ العباد ، فلا يلاحق ما منَّ بمنٍّ ، فإن لا حقه بمنٍّ ، خسر كل ما منَّهُ ، وله حساب قد يؤدي به إلىٰ العذاب ، فليتقِ ٱللهَ المنَّان جل جلاله .

ـ المنُّ الذي هو رحمة ، يمكن أن ينقلب بالمنِّ الذي هو أذىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

اللهُمَّ ! إنك المنَّانُ لنا بالحياة ، فاجعل الحياة لنا رحمة ، والمنَّانُ علينا بالموت ، فأجعل الموت لنا راحة ، والمنَّانُ علينا بالبعث ، فاجعل البعث لنا جنة ، اللهُمَّ ! إنك المنَّانُ بنعَمِكَ التي لا تُحصىٰ ، فامنُن علينا رزقاً وافراً ، وعلماً نافعاً ، وشفاء من كل داء ، وعفواً من كل إغواء ، واجعل بيننا وبين الكائدين ، والماكرين ، والحاسدين ، والمشعوذين ، والمفسدين ، ردماً وسداً ، اللهُمَّ ! إنك المنعم بخيراتك ، ورزقك ، وفضلك ، وجودك ، وكرمك ، وعطائك ، فانعم علينا بالخيرات والنعم الواسعة ، واجعلنا من المتصدقين ، والمتزكين ، والمصلحين ، والمحسنين التائبين ، والركع السجود .

✍ ✍ ✍

المُـدخِلُ

المُدخِلُ : هو من بيده الأمر ، ولا ينتظر من أحدٍ أمراً ، فيُدخِل ما يشاء فيما يشاء ، وإلىٰ ما يشاء ، متىٰ ما يشاء ، وأينما يشاء .

المُدخِلَ : اسم صفة مطلقة ، ولا مطلق لصفاته إلا ٱلله تعالىٰ ، ولذا فالمدخل : هو ٱلله جل جلاله .

المُدخِلُ : هو المولِجُ بالقوة ، دون أخذ رأي في ولوجه ، قال تعالىٰ : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج : ٦١] : أي أن المدخل ولوجاً هو ٱلله . ولهـٰذا فالولوج (الإدخال) : صفة من صفاته الحسنىٰ ، التي بها جعل الليل ، والنهار متداخلين ، بما يحقق التوازن والاعتدال ، وفقاً لدوران الأرض في الفَلِك التي هي فيه سابحة ، ومسبِّحة لله ، مولج ليلها في نهارها .

ولأنه المُدخِلُ ؛ فهو المُدخِلُ للجنة ، والمدخل للنار ، كل وفق عمله ، ووفقاً لما جنت يداه وكسبت ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج : ١٤] .

ولأنه المُدخِلُ للجنة والنار ، فهو المُدخل لمن يشاء الجنة ، ولمن يشاء النار ، ومع أن الناس كانوا أمة واحدة علىٰ الكفر ، إلا أن ٱلله بعث الأنبياء والرُّسُل ؛ مبشرين ، ومنذرين ، وآمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر ، وداعين للخير ، فافترق الناس ؛ بين باقٍ علىٰ كفرٍ ، وبين مسلم لله ربِّ العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَـٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي

رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى : ٨] .

ولأنه المُدخِل ؛ فهو يُدخل من يشاء رزقاً في الحياة الدنيا ، وقد لا يدخلهم الجنة ، وذٰلك بما تقدم يدا كل من عباده ، فالذي يُصلح يُصلِح لنفسه ، والذي يُفسد يُفسِد علىٰ نفسه ، وما ربُّك بظلام للعبيد ، فليؤمن من يؤمن ، وليكفر من يكفر ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد : ١٢] .

المُدخِلُ : هو من يدخل من يشاء ؛ بالقوة ، والإرادة ، وفقاً للمشيئة ، ووفقاً لِما تقدمه الأيدي ، ولا يظلم أحداً ، ولأن المدخل هو ٱلله الرحمـٰن الرحيم ، فهو المدخل لمن يشاء في رحمته ، والمدخل لمن يشاء العذاب ، والهوان الشديد ، قال تعالىٰ : ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان : ٣١] .

ولأن المُدخل هو ٱلله ؛ فهو الذي يُتَوَجَّهُ إليه بالسؤال ، وعليه الإجابة ، ولذٰلك سأل سيدنا محمد ﷺ ربَّه ليدخله مُدخل صدق ، لِما يشاء دخوله ، أو الدخول إليه حتىٰ لا يظلم أحداً ، أو يظلمه أحد ، وكما سأل ربَّه الدخول ، سأله الخروج مخرج صدقٍ ، قال تعالىٰ : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠] .

وعليه نقول :

المدخل : يدخل علىٰ الظرفية المتعددة ومنها :

١ ـ مُدخل إلىٰ المكان .

٢ ـ مدخل للزمان .

٣ ـ مُدخل للموضوع ؛ علماً ، وحكمة ، وحُجَّة ، وفكرة ، وغاية .

٤ ـ مُدخل في القول ، والفعل ، والعمل ، والسلوك .

مع أن ٱلله هو المُدخِل لكل شيء ، إلا أنه لن يُدخل أحداً في غير مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه ، فالجنة أبوابها مفتوحة للمؤمنين ، الذين يسلمون وجوههم لله ربِّ العالمين ، ولٰكن الذي يُفسِد في الأرض ، ويسفك الدماء فيها بغير حق ، فلا يدخل الجنة ، بالرغم من أن أبوابها مفتوحة ، وذٰلك لأنه لا دخول إليها إلا بالمدخل العظيم ـ جل جلاله ـ وهو المحاسب علىٰ الأعمال ، والمجازي علىٰ الأعمال ، فمن كسبت يداه يدخله الجنة ، ومن أفسدت يداه يُدخله النار ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [المائدة : ٨٤] .

إذاً من يجتنب الكبائر ، وارتكاب الأفعال ، والأعمال ، والآثام يُكفِّر المُدخِل عنهم سيئاتهم ، ويُدخلهم مُدخلا كريماً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء : ٣١] .

ولأن المدخل ؛ هو الرحمـٰن الرحيم ، فرحمته واسعة ، وأبوابها مفتوحة ، لمن يعمل صالحاً ، أو يستغفر ربَّه ، أو يجاهد في سبيله ، أو يهاجر في سبيل إعلاء كلمته وإحقاقها بين الناس ؛ رحمة وعدلاً ، وهـٰؤلاء يُدخلهم ٱلله الجنة خالدين فيها أبداً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٨ ـ ٥٩] .

المدخل : يُدخل علىٰ أوجه منها :

١ ـ المصلحون الذين ماتوا وهم مصلحون ، وفاعلون للخيرات الحسان ، يُدخلهم الجنة .

٢ ـ المفسدون الذين أفسدوا ، ثم استغفروا وتابوا ، فسيجدون ٱلله غفوراً رحيماً ، وهـٰؤلاء فقد يكون منهم من يُدخل الجنة مع الداخلين ، وهناك

منهم من يعاقب علىٰ ما أفسد ، ثم بعد ذٰلك يُدخل الجنة .

٣ ـ المفسدون الذين لم يستغفروا ، ولم يتوبوا إلىٰ ٱلله المدخل تعالىٰ ، فلا مكان لهم إلا نار جهنَّم ، خالدين فيها ، وهـٰؤلاء هم الذين أخزاهم ٱلله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران : ١٩٢ ـ ١٩٤] .

وعليه ؛ فالمتقون هم أصحاب الجنة ، يدخلوها آمنين ، وهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر : ٤٥ ـ ٤٦] .

ولأنه المُدخِلُ ؛ فلا تبديل لكلماته ، يُدخل من يشاء الجنة ، ويُدخل من يشاء النار ، ولا يظلم أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق : ٢٩ ـ ٣٥] .

وعلىٰ الخليفة أن يعمل صالحاً ، ليكون من الداخلين للجنة ، بقوة المُدخِلُ العظيم ، وبعزة المدخل العظيم ، وبإرادة المُدخِلِ العظيم ، وأن لا يجعل يداه مقدِّمتين لِما يضل الآخرين ، أو يغويهم في غير طاعة ٱلله ، وأن يعلم أن الحق ؛ قولاً ، وعملاً ، وفعلاً ، وسلوكاً ، هو المنقذ من الكرب العظيم ، وأنَّ الامتناع عن المُحرَّم ، والمنهي عنه ، هو خير ؛ به ينال رضاء المُدخِل للجنة ، والغفار ، للذنوب والسيئات والآثام .

ولذا فالخليفة ؛ هو من يطيع ٱلله ورسوله ، ليدخله الجنة ، ومن يعصي ٱلله ورسوله ، لن يكون من المستخلفين فيها ، ويدخله ناراً ، مصداقا

لقوله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٣ ـ ١٤] ، ولذا فمن يعمل صالحاً يحصد ثماره خيراً وافراً ومن يفسد يجني ما زرع من مفاسد في الأرض قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق : ١١] .

اللهُمَّ ! إنَّك المُدخِل للصالحات ، أدخلنا لأن نعمل صالحاً ترضاه ، وألحقنا بالصالحين ، ولا تُدخلنا للسيئات ، وإن ضعفنا ورضينا ، اللهُمَّ ! إنك المُدخِلُ للحق بالحق ، فاجعلنا للحق محقِّين ، ولا تجعلنا علىٰ الظلم ظالمين ، اللهُمَّ ! إنك جعلت أبواب الجنة مفتوحة ، فيسِّر أسباب وسُبل دخولنا إليها ، ولا تجعلنا من الغافلين ، والحاقدين ، والحاسدين ، والضالين ، والعابثين ، والمتعاطين لِما حرمت . اللهُمَّ ! إنك المدخل للنجاح ، والفلاح ، والتوبة ، فاجعلنا بهٰذه الأسباب ، وما ترىٰ من أسباب ، أن نكون من الداخلين لكل ما تُحب وترضىٰ .

المُـخرِجُ

المُخرِجُ : اسم صفة مُطلقة لمطلق ، وهو المنجي من الضيق ، وهو الذي بإخراجه تتحقق الرحمة ، إنه ٱلله جل جلاله .

ولأن المخرج بالمطلق ؛ هو ٱلله ـ عز وجل ـ فهو القادر علىٰ فعل الإخراج بالأمر (كن) ، وفقاً لنية ، وقول ، وعمل ، وفعل ، وسلوك المستهدف بفعل الإخراج ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، فيخرج ما يشاء ، مما يشاء ـ سبحانه ـ مخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام : ٩٥] .

إذاً الإجابة في القرآن قول حق ، ولهٰذا فإذا سائل سائل :

من هو المخرج للحي من الميت ، والمخرج للميت من الحي ؟

نقول :

إنَّه الذي يرزق خلقه في السمٰوات ، والأرض ، والذي يملك السمع والأبصار ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس : ٣١] .

قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٦٩] .

ولأنه المخرج ؛ فهو الذي أخرج لنا الماء من بطن الأرض ، ينابيع تروي

الظامئين ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .

ولذا فعلىٰ الخليفة في الأرض ، أن يَسجُد لله المخرج للماء من بطن الأرض ، والمخرج له من قلب السماء مطراً ، وهو الذي يعلم ما في الصدور ، فيخرجه بيّنة ويكون أصحابها يوم القيامة عليها من الشاهدين ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل : ٢٥] .

إذاً لا استغراب أن يخرج المخرج الماء ينبوعاً ، بما أنه هو المُخرِجُ للحي من الميت ، والمخرج الميت من الحي ، قال تعالىٰ : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم : ١٩] .

وكذٰلك لا استغراب أن يخرج المُخرِجُ الودق من السحاب ، ويُمطره حيث يشاء ، ليخرج من الأرض نباتاً ، ويُخرج من النبات سنابل وثماراً ، فتبارك ٱلله أحسن الخالقين ، المخرج الحب من النوىٰ ، والماء من المطر ، قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم : ٤٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر : ٢١] .

ولأن المُخرج ؛ هو القادر علىٰ تحقيق فعل الإخراج بالقوة ، والحكمة ، إذاً لا تخفىٰ علىٰ المخرج خافية ، سواء أكانت في السمـٰوات ، والأرض ، أم أكانت في الأنفس ، وما تكنه الصدور ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبَ

ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [محمد : ٢٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم : ٣٨] .

أي بما أنه يعلم ما تخفيه الأنفس ، وما تعلنه ، إذاً العالم بالأسرار ؛ هو وحده القادر علىٰ إخراجها إن شاء ، كيفما يشاء ، ومتىٰ ما يشاء ، وليس ذٰلك علىٰ ٱلله بعسير ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد : ٤] .

ولأنه المخرج ـ عز وجل ـ إذاً هو :

١ ـ قد أخرج ما أخرج .

٢ ـ وإنه في الزمن الآن يُخرج .

٣ ـ وإنه بعد كل الآن يخرج .

٤ ـ وإنه في الحياة يُخرج .

٥ ـ وإنه بعد الموت يُخرج .

٦ ـ وإنه بعد الخروج من الموت ، يُخرج الحقيقة أمام من أنكرها ، أو ظن أنه لن يعلمها المُخرِج ، ولن يواجه بها حُجَّة دامغة لكل باطل .

ولأنه المخرج ؛ فقد أخرجنا من أصلاب آبائنا ، وأرحام أمهاتنا ، ونحن لا نعلم عن أمرنا شيئاً ، قال تعالىٰ : ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق : ٦ ـ ٧] .

وعلىٰ خليفة ٱلله في الأرض ، أن يُخرِجَ ما أُمر بإخراجه حقاً معلوماً ، حتىٰ لا يكون في أسرته ، وأهله ، وأقاربه ، وبني وطنه ، وأمته سائل ، ولا محروم ، ولا مظلوم ، وأن لا يجعل في نفسه غلاًّ للذين آمنوا ، وليتقِ ٱلله

ربَّه في نفسه حتىٰ لا يظلم أحداً ، وأن لا يُقدِم علىٰ عمل ، أو فعل ، يؤدي إلىٰ إخراج البعض من الدين ، وأن يُخرِجَ ما يعلمه من علم ، ولا يخفيه عن الذين هم في حاجة إليه ، وأن يخرج ما لديه من مودة ، ليستوعب بها أفراد أسرته ، ومن لهم حق عليه .

وأن يحبب الناس في الدين ، ولا يسب أحداً باسم الدين ، حتىٰ لا يسبوا ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

ولكي يخرج الخليفة من ارتكاب المظالم ،أو الأخطاء ، والزلات ، فعليه أن يتبيَّنَ قبل أن يحكم ، فإن لم يتبيَّن قبل أن يحكم ، قد يندم .

وعليه بالإصلاح بين الناس ، ولا يقول إلا الحق ، ولا يتبع الأهواء ، ولا يطمع حتىٰ لا يخرج عن الصواب ، وليعلم أن المؤمنين أخوة ، فلا يفرِّق ، ولا ينحاز لأحد علىٰ حساب آخر .

قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ٦ ـ ١١] .

اللهُمَّ ! إنك المدخل ، فأدخلنا مُدخل صدق ، وإنك المخرج ، فأخرجنا مخرج صدقٍ ، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهُمَّ ! إنك المخرج من الظلمات إلىٰ النور ، فأخرجنا من الظلمات إلىٰ النور ، اللهُمَّ ! إنك مخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، فاجعل لنا من كل هم وغم مخرجاً ، اللهُمَّ ! إنك مخرج الودق من السحاب رحمة ، ومخرج ما تخفيه الصدور ، فلا تجعل في صدورنا غمةً ، ولا كدرةً ، ولا نكداً ، ولا ضيقاً ، وأخرج ما في صدور الحاقدين ، والكارهين ، والمتباغضين ، من غلٍّ ، واجعلهم إخواناً متحابين في طاعتك ورضاك .

✍ ✍ ✍

المُـرجِعُ

المُرجع : هو الذي يعود الأمر والنهي إليه ، وهو الذي بأمره أوجد الشيء من لا شيء ، وهو القادر بأمره علىٰ إعادة الشيء لا شيء ، أو إعادة الأشياء إلىٰ الشيء الأول الذي منه خُلقت ، كعودة آدم إلىٰ التراب الذي منه خُلق خلقاً ، أو عودة الأرض إلىٰ لا شيء ، كما لو لم تكن من قبل ، قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

المُرجِعُ : هو المصدر للأشياء بالمطلق ، فكل شيء يعود إليه ، وهو لا يعود إلىٰ شيء ، فما يُختلف عليه ، أو ما يُختلف حوله ، لا داعي لإصدار الأحكام قسوة وتنفيراً ، ولهٰذا حتىٰ الذين يدعون من دون ٱلله ، يجب دعوتهم إلىٰ الإسلام ، ولٰكن بالتي هي أحسن ، ولا ينبغي سبهم حتىٰ لا يسبوا ٱلله ، أو الدين ، أو الرسول ، فاللين خير وسيلة للدعوة ، واختيار الحُجَّة أهم ، وليترك أمرهم لله تعالىٰ الذي يعود الأمر إليه ، فهو مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

ولأنه المُرجِعُ ؛ فكل الأعمال والأفعال التي ارتكبتها أيدي الناس ، ستكون حاضرة ، وشاهدة علىٰ مرتكبيها ، وذٰلك يوم أن يُرجع المُرجع كل شيء ، وهو علىٰ كل شيء شهيد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس : ٤٦] .

ولأنه المُرجِعُ بكل ماضٍ قد مضىٰ إلىٰ سيرته ، التي كان عليها ، ليحاسب

ثم ليعاقب ، أو يعفو ، ويغفر ، أو يثيب ، ويجازي بالجنة ، ولذٰلك لن يُفلح الذين يفترون علىٰ ٱلله الكذب ، وليعلموا أن الحياة الدنيا متاع الغرور ، وإلىٰ ٱلله مرجعهم ليذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٩ ـ ٧٠] .

ولأنه المُرجع لكل شيء ، إذاً علىٰ المؤمن أن لا يحزن علىٰ ما فعل الكافرون ، فٱلله المرجع سيعيدهم ، وما عملوا يوم القيامة ، فينبئهم بما عملوا ، وهو العليم بما تكنُّهُ صدورهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [لقمان : ٢٣] .

يُفهم من الآية الكريمة السابقة ؛ أن يوم القيامة ستكون رجعة الكافرين لله تعالىٰ ، فهو مُرجعهم للجزاء الذي به يُعذبون علىٰ كفرهم ، أي إن ٱلله هو الذي سيرجعهم إليه ، وهو المُنبئ لهم بأعمالهم ، وأقوالهم التي في غير طاعة ٱلله ربِّ العالمين ، وهٰؤلاء سيكون مرجعهم إلىٰ الجحيم عقاباً ، ويومها لا ينفعهم ندم النادمين ، قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٨] .

ولأنه الخالق فهوالمبدئ والمعيد ، وهو الأول والآخر ، وهو القادر علىٰ إرجاع كل شيء إلىٰ حاله الذي كان عليه ، ولهٰذا فهو المُرجعُ ولا غيره يُرجع ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٥ ـ ١٠] ، أي إنه المُرجع للأشياء إلىٰ ما كانت عليه ، فهو الذي يُرجع المخلوق إلىٰ ذٰلك الماء الدافق ، الذي خرج منه بعد أن خرج من بين الصلب والتَّرائب .

قال تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ٤٥ ـ ٤٦] .

بناء علىٰ ما جاء في الآية الكريمة السابقة أتساءل :

من هم الظانون ؟

إنهم الخاشعون الواثقون .

وإلىٰ من هم راجعون ؟

إلىٰ ٱلله ربِّ العالمين .

وهل سيكون رجوعهم إليه ، إرادة ورغبة ، أم كرهاً ولا خيار لهم في رجوعهم إليه ؟

إذا كان عن غير رغبة ، فمن الذي سيُرجعهم ؟

إنه المُرجع ؛ الذي هو علىٰ رجعهم لقادر .

وعليه ؛ الفرق كبير ، بين الذين كفروا ، وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالذين آمنوا ، إذا أصابتهم مصيبة ، لا مرجع لهم يرجعون إليه ، إلا هو ٱلله ـ جل جلاله ـ مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦ ـ ١٥٧] .

ولأن الكمال لله تعالىٰ ، ولأنه علاَّم الغيوب ، وهو الملك المتعال ، فهو يعلم بكل كبيرة ، وبكل صغيرة ، وفي المقابل ـ ومن غير مقارنة ـ لا يعلم الأمور غيره إلا جزاء ، ولهـٰذا سيكون كل شهيدٍ شهيداً علىٰ الجزئية التي يتعلق أمره بها ، أمَّا ٱلله ؛ فهو العليم الخبير بكل حال ، وأمر ، وظرف ، ومخلوق ، ولذا لا تكتمل الحقيقة ، إلا عنده سبحانه المرجع لكل شيء ، وهو الشهيد عليه ، قال تعالىٰ : ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٣] .

وعليه أتساءل :

من الذي يُرجع الأمور ، إذا أرادها أن ترجع ؟

ألا يكون ٱلله تعالىٰ ؟

ولأنه ٱلله تعالىٰ ، ألا يكون ٱلله هو المُرجعُ ؟

ولماذا هو يُرجع ؟

ليظهر الحق من الباطل ، ويحكم بين الناس بالعدل فيما اختلفوا فيه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

وعلىٰ الخليفة أن لا يحكم بغير علم ، وأن يُرجع الأمور إلىٰ شواهدها ، كي لا يظلم أحداً ، وأن لا يُقرر نيابة عن أحد ، فالذين يتعلق الأمر بهم ، هم أولىٰ بأن يقرروا ما يرونه مناسباً لظروفهم ، وحاجاتهم ، وإن طُلِبَ من الخليفة أن يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، فلا يحكم إلا بعد الرجوع إلىٰ ما أمر ٱلله به ، وما نهىٰ عنه ، وأن يرجع إلىٰ الأطراف دون أن يميل إلىٰ طرف ، علىٰ حساب طرف ، وأن لا يكتفي برأي أحد الأطراف .

اللهُمَّ ! إنك المُرجع للحياة بعد الموت ، فأرجعنا للحياة شاهدي حق لا شاهدي زور ، اللهُمَّ ! إنك المرجع لخلقك لتحكم بينهم بالحق ، فاحكم بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الحاكمين ، اللهُمَّ ! إنك المُرجع فأرجعنا علىٰ المودة ، أخوة متحابين ، كما أرجعت موسىٰ لأمه ، وأرجعت يوسف ليعقوب ، وأرجعت رسالات السماء إلىٰ رسالة محمد .

اللهُمَّ ! إنك المُرجع ، فأرجع المسافر من سفره سالماً ، غانماً ، وأرجع المفقود لفاقده ، والضائع لمن أضاعه ، وأرجع السجين لأهله طليقاً ، وأرجع الذين تقطعت بهم السبل ، إلىٰ ذويهم ، إنك أنت المرجع جل جلالك .

الْمُتَـعَالِ

المتعال : هو الذي لا شبه يلاحقه بالفضل ، ولا بالقوة ، والقدرة ، ولا بالقرب ، وهو الذي لا تعتريه النواقص ، إنه الكمال والجمال في علوه .

المتعال : اسم صفة من صفات ٱلله الحسنىٰ ، التي تعلو بأفعاله الحسنىٰ ، ونعمه التي لا تُحصىٰ ، وهو المتصرف في ملكه كما يشاء في علو .

وفي اسمه المتعال ؛ يقول الشاعر معرِّفاً به شعراً :

فَـالْعَـارِفُـون فَنَـوْا وَلَـمْ يَشْهَـدُوا   شَيْئـاً سِـوَىٰ الْمُتَكَبِّـرِ الْمُتَعَـالِ
وَرَأَوْا سِـوَاهُ عَلَـىٰ الحَقِيقَـةِ هَـالِكـاً   فِي الْحَـالِ وَالْمَـاضِي وَالاسْتِقْبَـال (١)

واسمه المتعال ـ جل جلاله ـ ورد في القرآن الكريم نصاً صريحاً ، مثله مثل اسمه الكبير ـ عز وجل ـ في صورة الرعد الآية (٩) مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد : ٨ ـ ٩] .

ولأنه المتعال ؛ فهو يعلو بالمطلق في المعجزات التي منها :

أولاً : المتعال بذاته العلية : التي هي الكمال ، والجمال ، ولا وصف لها علىٰ الشبه والمثال ، بل أوصافها الأفعال ، والأسماء الحسنىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ

(١) البحر المديد ، ج ٤ ، ص ٤٥٩ .

مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

ثانياً : المتعال بأفعاله الحسنىٰ : فهو لا يباشر الأشياء ، بل أمره خلقاً (كن) هو الفعل المحقق للأشياء ، قال تعالىٰ : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة : ١١٧] .

ثالثاً : المتعال بصفاته الحسنىٰ : صفاته لا تُحصىٰ ، وذٰلك لإحاطة ذاته بكل شيء إحاطة مُطلقة ، فقد عرفنا بعضاً من صفات ٱلله ، من خلال الأحاديث ، ولـٰكن من خلال الكتاب ؛ فهي لا تحصىٰ دلالة ، ومعنىٰ ، وضمناً ، وكذٰلك من خلال الإطلاق ، فهي لا تُحصىٰ ، ومع ذٰلك تتعدد صفاته ، وأفعاله ، وهو واحد أحد بيده الأمر ، كل الأمر ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، إنه ٱلله الكبير المتعال ، مالك الملك جل جلاله .

ولأنه المتعال بصفاته فهو :

١ ـ لا مستحيل أمامه ، إنه علىٰ كل شيء قدير : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٠] .

٢ ـ لا يفاجأ بشيء ، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

٣ ـ محيط بكل شيء ، ولا يحوطه شيء ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت : ٥٤] .

٤ ـ لا تلاحقه الحاجة ، إنه (مَالِكَ الْمُلْكِ) .

٥ ـ لا شريك له في ملكه ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٥] .

٦ ـ لا صاحبة له ولا ولد ، قال تعالىٰ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : ١٠١] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن : ٣] .

٧ ـ لا يغالبه أحد ، يغلب ولا يُغلب ، قال تعالىٰ : ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦ ـ ١٧] .

٨ ـ الفعَّال لما يريد ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود : ١٠٧] .

٩ ـ ولأنه المتعال بصفاته ؛ فهو برحمته متعالٍ ، وبمغفرته متعالٍ ، وبثوابه وعقابه متعالٍ ، وبعزته وعفوه متعالٍ ، وبملكه ، وعلمه ، وحكمته ، متعالٍ ، وهٰكذا فهو ـ عز وجل ـ بكل صفاته الكبير المتعالِ .

رابعاً : المتعالِ بخلقه : إنه الخالق لما يشاء ، كيفما يشاء ، متىٰ ما يشاء ، وهو الذي يخلق مما خلق أشياء ، لقد خلق كل شيء خلقاً ، وهو علىٰ كل خلق قدير ، وعلىٰ كل شيء قدير ، سبحانه الكبير المتعالِ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور : ٤٥] .

خامساً : المتعال بالنعمة التي لا تحصىٰ : قال تعالىٰ : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ

كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل : ١٨] .

سادساً : المتعال عن الشبه : قال تعالىٰ : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

ولأنه المتعالِ ؛ فلا حاجة تلاحقه ، ولا موت يلاحقه ، ولا نقص يلاحقه ، ولا خلق يلاحقه ، بديع السمـٰوات والأرض ، ليس كمثله شيء ، يخلق ولا يُخلق ، سبحانه الكبير المتعال .

وعلىٰ الخليفة في الأرض ، أن يكون متعالياً عن النواقص ، والشهوات التي تقود إلىٰ المفاسد ، والمهالك ، وغضب ٱلله تعالىٰ ، وأن يستمد صفاته من صفات خالقه الحسنىٰ ، فيتعالىٰ عن ارتكاب المظالم ، ويتعالىٰ عن التلفظ بما لا يليق بمكارم الأخلاق ، وأن يعمل مخلصاً في عمله الذي يُكَّلف به ، ولا يكون مع السافلين ؛ في أقوالهم ، وأعمالهم ، وأفعالهم ، وسلوكياتهم ، ليكون كتابه ، ومقامه مع العليين ، لينطبق عليه قوله تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين : ١٨] .

اللهُمَّ المتعالِ ! يسر لنا أمرنا ، لننال الدرجات العلىٰ في الدارين ، وأن نكون مع العليين الأبرار ، ولا نكون في أسفل سافلين مع المنافقين والأشرار ، اللهُمَّ ! إنك المتعال ، نتوجه إليك بدعائنا ، فاجعلنا في علوٍّ مع الأخيار ، ولا تجعلنا علىٰ الحاجة والافتقار .

اللهُمَّ ! المتعال في ذاتك ، وصفاتك ، وأفعالك ، اجعلنا في علو رحمتك من الطائعين ، والمستغفرين ، والتائبين ، والمؤتين من كل شيء رحمة .

اللهُمَّ ! إنك المتعالِ عن الصاحبة والولد ، لا تحرمنا من مودتك في الصاحبة والولد ، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

الْخَـلَّاقُ

الخلاَّق : هو ٱلله تعالى ، حيث لا مستحيل أمامه ، وهو من لا تستوقفه بداية ولا نهاية ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

الخلاَّق : اسم صفة من صفاته الحسنىٰ التي سمىٰ بها ذاته ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٨٦] .

ولأنه الخلاَّق ؛ فخلقه لا يتوقف دائماً مع اسمه الدائم ، فهو الخلاَّق الذي خلق الشيء من لا شيء ، ثم خلق من الشيء أشياء ، لا يتوقف خلقه ، إنَّه الخلاَّق بالمطلق علىٰ الدوام ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يسٓ : ٨١] .

ولأنه الخلاَّق بالمطلق ؛ فهو كما خلق عن غير مثيل لِما خلق من مخلوقات ، فهو القادر علىٰ أن يخلق المتشابهات ، وغير المتشابهات ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٩٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يسٓ : ٨١ ـ ٨٣] .

الخلاَّق : هو الذي خلق الشيء من لا شيء بداية ، فإذا اعتبرنا الأرض خلقت شيئاً بداية ، نعتبر خلق آدم شيئاً آخر ، خُلق من الشيء السابق عليه خلقاً (التراب) ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ٢٦ ـ ٢٩] .

ولأنه الخلَّاق ؛ فخلقه لا يتوقف عند حد ، بل هو الخلَّاق الدائم ، بالقوة ، والقدرة ، والجلال ، والإكرام ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٤٧] .

ولأنه الخلَّاق ، وخلقه عظيم ؛ فهو الخلَّاق بسبب ، وبدون سبب ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

ولأنه الخلَّاق العظيم ؛ فإذا أراد شيئاً أن يكون خلقاً ، فيكون كما يشاؤه ، قال تعالىٰ : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٣٠] .

وعليه ؛ الخلَّاق : هو اسم صفة من صفات ٱلله تعالىٰ ، جاء ذكره مرتين في القرآن الكريم صراحة ، كما سبق تبيانه في سورة الحجر ، وسورة ياسين ، ولذا فالخلَّاق هو :

١ ـ خلاَّق بالمطلق .

٢ ـ خلاَّق للشيء من لا شيء .

٣ ـ خلاَّق من الشيء أشياء متعددة ، ومتنوعة ، ومختلفة ، علىٰ الكثرة التي لا تُحصىٰ .

٤ ـ خلاَّق علىٰ الدوام للأشياء التي لم يسبق خلقها أشياء (خلقه دائم) .

٥ ـ خلاَّق أعظم ، فلا تستوقفه بداية ، ولا نهاية (خلقه لا يُحد) .

٦ ـ خلاَّق بفعل الأمر (كن) فلا جهد يبذل .

وعليه ؛ فعلىٰ الخليفة في الأرض أن يكون خلاَّقاً مما خلق له الخلاَّق من أشياء ، فيبحث ، ويعمل ، ويفكر ، ويتذكر ، ويخطط ، ويصمم ، ويرسم ، ليكون خلاَّقاً مما خلق له الخلاَّق الأعظم ، ولذا فالخلاَّق لا يود للخليفة أن يكون من المستهلكين ، بل يريد له المنافع ، والمغانم ، والمكاسب ، والخيرات الكثيرة ، ولهٰذا قال اعملوا ، وافعلوا الخيرات ، ولا تعملوا ولا تفعلوا المحرمات ، والمنكرات .

الخلاَّق المطلق : هو ٱلله تعالىٰ ، والخلاَّق بالإضافة : هو من يستمد صفاته من صفات خالقه ؛ الخلاَّق الكريم ، فهو لن يخلق شيئاً من لا شيء ، بل هو الذي خلق له الخلاَّق أشياء كثيرة ، لكي يرىٰ ، ويعمل منها أشياء تُسهم في تيسير مشبعات حاجاته المتطورة ، والمتغيرة من وقت إلىٰ وقت ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٠ ـ ١٣] .

ولأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة لله في الأرض ، فكان عاملاً مما خلق الخلَّاق ما يفيده ، ويفيد قومه ، ويساعده علىٰ مغالبة الأعداء ، ولذا فعلىٰ كل خليفة في الأرض ؛ ينبغي أن يتقي ٱلله ، ويعمل تحت مظلة تقواه كل ما من شأنه أن يفيد العباد ، والبلاد ، ويُسهم في العمار والبناء ، والتقدم ، ولا يسهم في الإفساد ، وسفك الدماء ، أو هدره في الأرض بغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود : ١٢١ ـ ١٢٣] .

اللهُمَّ الخلَّاق ! أنِر عقولنا ، وبصائرنا ، وأبصارنا ، ويسِّر لنا الأمر ، لنكون خلَّاقين لِما تحبه وترضاه ، اللهُمَّ الخلَّاق ! يا من خلقت الشيء من لا شيء ، وخلقت من الشيء أشياء لا تُحصىٰ ، اجعل لنا مما خلقت رحمة ، بوسعها نعلم حتىٰ نتبين ، وبوسعها نعمل حتىٰ ترضىٰ .

اللهُمَّ الخلَّاق ! يا من خلقت التراب ، وخلقت أبانا آدم منه ، وخلقتنا من نطفته ؛ ضعفاء نستمد منك القوة ، التي تجعلنا خلَّاقين للحلول ، والمعالجات ، لا الخلَّاقين للمشاكل ، والآلام ، والآثام ، والتأزمات .

القـريب

القريب : هو ٱلله جل جلاله ، ولا قريب يماثل قربه ، فهو القريب من غير دم ، وهو القريب من غير مكان ، وهو القريب من غير زمان ، إنه القريب الذي قربه لا يقاس بعلاقة ، ولا مسافة ، ولا سرعة ، ولا حركة ، ولا امتداد .

ولذا فقرب ٱلله تعالىٰ ، ليس بقرب مسافة ، فلو كان قربه قرب مسافة ، لكانت المسافة قابلة للقياس ، وإن قيست كان لقربه بداية ، ونهاية ، ولأنه القريب ، فقربه لا بداية ، ولا نهاية تحصره ، فهو المحيط بكل بداية ، ونهاية ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

القريب : هو الذي لا شك في قربه ، ولا شيء يخالجه ببعد عن عباده ، فهو القريب بصفاته ، وأفعاله ، قريب بعلمه ، وقريب بسمعه ، وقريب باستجابته ، وقريب بجبره ، وعزته ، ونصره ، ومناصرته ، وقريب بقوته ، وقدرته ، وقريب بهيمنته ، وسيطرته ، وقريب بفضله ، ولذا فهو القريب بكل الصفات الحسنىٰ ؛ التي نعرفها والتي لا نعرفها .

ولأنه القريب ، فقربه لا يقارن ، كما أنه في ذاته لا يقارن ، وفقاً للقاعدة التي تنص علىٰ أنَّ (الخالق لا يقارن بالمخلوق) .

وقد يتساءل البعض كيف نعرف أنه قريب ؟

نقول : ادعوه فهو السميع المجيب ، ولكي يستجيب لك فعليك بالاستجابة له إيماناً صافياً ، ويقيناً كاملاً ، تجده إليك قريباً مجيباً .

إنه القريب إليك ، وليس القريب منك ، فلو قلت قريب مني ، لكان

للمسافة مقياس ، وإن قلت قريب إليَّ ، لوجدته أقرب إليك من حبل الوريد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ولأنه القريب بذاته ، فهو القريب برحمته ، ولهٰذا يُدعىٰ ، ويجيب لمن يُريد إصلاحاً في الأرض ، أمَّا الذي يريد إفساداً فيها ، فلا إجابة له ، فهو الحق يسمع ، ويعلم ، ويحيط ولٰكنه لا يجيب من يرتكب الباطل ويفعله ، بل هو المبطل لكل باطل ، وهو المحاسب لكل مرتكب لباطل ، وهو المجازي علىٰ كل عمل من شأنه أن يدمغ الباطل ، ويزهقه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

ولأنه القريب ، ولا قريب مثله ، حيث لا مثال له ، وهو ليس علىٰ مثال ، يرزق من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، فهو الذي أنشأنا في الأرض لنعمِّرها ، وإن أخطأنا فسح لنا القرب منه بالاستغفار متىٰ شئنا ، وجعل باب التوبة مفتوحاً ، حيث لا فاصل بيننا وبين قربه إلينا ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [قٓ : ١٦] .

ولأنه القريب ؛ الذي قربه لا يقاس ، لعدم قبوله للقياس ، فقربه لا تجاريه السرعة ، وقربه لا تفصله الفواصل ، ولذا فقربه ليس بقرب دم ، ولا بقرب مصلحة ، ولا نسب ، ولا مصاهرة ، ولا بقرب مكان ، ولا زمان ، بل قربه قرب الخالق بمخلوقه الذي يعلم بأمره ، قبل أن يخلقه ، ولأنه كذٰلك ؛ فكيف لا يعلم بحاله ، وهو القريب إليه ؟ إنه علَّام الغيوب ،

سبحانه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٨٣ ـ ٩٦] .

وعلىٰ المستخلفين في الأرض ، أن يكونوا إلىٰ الحق قريبين ، ولا يكونوا بعيدين منه ليكونوا عادلين في الأرض ، إن حكموا بين الناس فيما هم فيه يختلفون ، وأن يكونوا عن الظلم بعيدين ، حتىٰ يتمكنوا من رميه ، ودمغه ، دون تردد .

وعلىٰ المستخلفين في الأرض ، إذا أرادوا إصلاحاً فيها ، أن لا يميلوا إلىٰ قرابة دم ، أو مكان علىٰ باطل ، فإن مالوا إلىٰ الباطل ، بعدوا عن مرضاة ٱلله ، فليتقوا ٱلله فيما يحكمون ، وما يقولون ، وما يعملون ، وما يفعلون ، وما يسلكون ، وما يؤتمنون عليه .

اللهُمَّ ! إنك القريب ، فاجعلنا في قربك ؛ عناية ، ورعاية ، وهداية ، وحفظاً ، اللهُمَّ ! إنك القريب ، تجيب دعوة الداعي إذا دعاك ، ندعوك باسمك القريب ، أن تكون لنا الإجابة مغانم خير ؛ في الحركة والسكون ، والقول والعمل ، والفعل والأمل ، والأسرة والأهل .

اللهُمَّ ! إنك القريب ، نشهد أن قربك حق ، والبعد عنك باطل ، فاجعلنا علىٰ الحق ، لنكون في قربك مجابي الدعاء ، وفي سمعك منالي الرضا ، وبإجابتك نكيد كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وبعزتك نزداد عزة ، وبالحق نرشد .

✍ ✍ ✍

الحاشِـرُ

الحاشِرُ : هو المتحكم في أمر المحشورين ؛ في المكان ، والزمان ، أرضاً ، وسماءً ، ودار دنيا ، ودار آخرة ، ولذا فالحاشر بالمطلق هو ٱلله تعالىٰ ، والحاشر في دائرة النسبية ، من يُمكِّنه الحاشر المطلق ، من الحشر لِما يُراد حشره .

وعليه ؛ ينبغي أن نميز بين فعل الحشر ، واسمه ، وصفته ، ومكانه وزمانه ، فهو :

ـ الحشر :

جمع بالقوة مع فائق السيطرة ، والتحكم في المحشورين ، في المكان والزمان .

ـ الحاشِر :

هو الذي بيده أمر الحشر ، فإن أراده بالمطلق ؛ يكون متىٰ ما شاءه أن يكون ، ولذٰلك فالحاشِر : اسم صفة من صفات ٱلله تعالىٰ .

ـ المحشورون :

هم الذين لا رأي لهم في حشرهم ، فهم بالقوة ؛ يعملون ما يؤمرون ، طوعاً ، وكرهاً ، حيث لا خيار لهم في أمر حشرهم .

ـ المحشور فيه هو :

١ ـ الدار الدنيا التي كان الحشر فيها ، وفقاً لما ورد في الكتاب الحكيم مرتين :

أ ـ كان الحشر فيها علىٰ يدي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧ ـ ١٩] .

ب ـ كان الحشر فيها علىٰ يد سيدنا محمد ﷺ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر : ٢ ـ ٣] .

٢ ـ الدار الآخرة (يوم القيامة) :

الحاشِر يوم القيامة ، هو ٱلله ـ جل جلاله ـ فهو الذي بيده أمرها ، ولا لأحدٍ شراكة معه ، ولا لأحد أمر يجيز له أن يحشر ، كما كان مجازاً في الدار الدنيا بأمر من المحشر المطلق ـ عز وجل ـ كما سبق أن بينا ، علىٰ الظرفين الخاصين بأمر (ما) يتعلق بداود وأمر (من) يتعلق بمحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

ولأنه الحاشر بالمطلق ؛ فهو الحاشر لِما خلق يوم القيامة ؛ من إنس ، وجن ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

ولأنه الحاشر الذي بيده الأمر ، فيوم يحشرهم تعالىٰ ، سيكون المحشورون خير شاهد علىٰ أفعالهم ، التي هم محشورون عليها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس : ٤٥] .

ولأنه الحاشِرُ ؛ فهو العليم بما يحشر المحشورون عليه ، ومع ذٰلك فهو يريد لهم أن يكونوا شاهدين علىٰ أفعالهم الضالة عن سبيله ، فهو لم يظلم

أحداً ، ويوم الحشر لا ينفع النادمين ندمهم ، فالوقت وقت حساب ، وعقاب للذين ماتوا وهم كفار ، ووقت رضا ونعيم ، للذين آمنوا وعملوا الصالحات في دنياهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر : ٢٥] .

ولأنه الحاشر بالمطلق ، فلا يترك أحداً من الذين يتعلق الأمر بهم ، إلا وكان من المحشورين ليعترف أو ليشهد مع الشاهدين بالحق ، قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان : ١٧] .

ولأنه الحاشر فلا يستثني أحداً ، الإنس ، والجن ، والملائكة ، جميعهم محشورون بين يدي ٱلله ، وهم جميعاً إمَّا شاهد ، وإمَّا مشهود له ، أو مشهود عليه ، قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤٢] .

ولأنه الحاشِرُ ؛ فما من مخلوق إلا ويكون محضراً بالأمر (كن) ، فيكون مع المحشورين ، لا رحمة له إلا من الحاشر ، وهو الرحمـٰن الرحيم ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ولأنه الحاشر للمخلوقات جميعاً ، فالمخلوقات وإن حُشرت في البداية للمساءلة ونيل الجزاء ، إلا أن الحشر سيكون علىٰ وجهين :

الوجه الأول الحشر العام : الذي هو لأجل الفرز بين ظالم لنفسه ، وظالم للآخرين ، وهـٰذا الحشر ينتهي بجنة عرضها السمـٰوات والأرض ، حيث لا حشر فيها ولا من بعدها ، بل فردوس ونعيم ، وجنات عالية متنوعة ، قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ

عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١٨ ـ ٢٤] .

الوجه الثاني الحشر الخاص : وهو حشر أصحاب جهنم في النار هم خالدون ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] ، ولأن يوم الحشر يوم ضيق علىٰ المحشور ، فنار جهنَّم أكثر شدة من الحشر العام ، الذي فيه المخلوقات تسأل عمَّا عملت في الحياة الدنيا . ولذٰلك فالمحشورون في نار جهنم ، هم الذين أوتوا كتابهم بشمالهم مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة : ٢٥ ـ ٣٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٤] .

وعليه ؛ فالخليفة في الأرض : هو الذي لا يجمع الناس علىٰ ضلالة ، أو كفر ، أو شرك ، بل يجمعهم علىٰ الحق طاعة لله ، وعملاً للمعروف الذي يجعل المودة جامعة بين الناس ، ولذا فالناس لأجل العلم يُجمعون ، ولأجل نيل الفائدة يُجمعون ، ولأجل التعاون بما ينفع هم يجتمعون ويُجمعون ، ولأجل الحكم بالعدل يُجمعون ، ولأجل نشر مكارم الأخلاق يُجمعون ، ولأجل القضاء علىٰ العدو والفساد في الأرض يجمعون ، ولٰكن علىٰ ذٰلك لا يُحشرون ، فالحشر لا يكون إلا لحساب وجزاء ، فإن فسدت القيم والأخلاق ، فعلىٰ من يستطيع أن يقوِّم المنحرفين ، ليعودوا عن انحرافاتهم ، فليحشرهم ، وأن لا يظلم أحداً حيث الحشر لا ظلم فيه ، بل في الحشر إحقاق للحق ، وإزهاق للباطل ، ولذا فعلىٰ خليفة ٱلله في الأرض ، إن كان

قادراً ـ بقوة إيمانه ـ علىٰ إحقاق الحق ، فليعمل عليه دون تردد ، ولا تأخذه في الحق وإحقاقه لومة لائم .

اللهُمَّ الحاشِرُ ! اجعلنا بواسع رحمتك في الجنة ، لننادي المحشورين في النار : ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، اللهُمَّ الحاشر ! اجعلنا علىٰ القوة التي تمكننا من حشر الضالين ، والطاغين ، ولا تجعلهم لنا حاشرين ، اللهُمَّ ! إنك الحاشر الحق فلا تجعلنا في ضائقة ، ولا تجعل الدوائر تضيق بنا ، وبأحوالنا ، وأزواجنا ، وآبائنا ، وأبنائنا ، وبلادنا ، وأمتنا .

اللهُمَّ الحاشر ! فلا تجعلنا محشورين في أنفسنا ، بل اجعلنا برحمتك في سعة لا في ضيق .

✍ ✍ ✍

المُقـتدر

المقتدر : هو ٱلله الذي لا ينقصه شيء بالمطلق ؛ من الأفعال ، والصفات الحسنىٰ ، والمقتدر : اسم صفة من صفاته جل جلاله .

والاقتدار ذاتي لا يستمد من أحدٍ ، فالمقتدر بالمطلق ، هو ٱلله تعالىٰ بذاته فهو :

- بملكه مقتدر .
- بأمره (كن) مقتدر .
- بعلمه للغيب والشهادة مقتدر .
- بخلقه مقتدر .
- بإحيائه مقتدر .
- بإماتته للأحياء مقتدر .
- ببعثه للأموات مقتدر .
- بالنار مقتدر .
- بالجنة مقتدر .
- بحسابه وثوابه وعقابه مقتدر .
- بالإنس مقتدر .
- بالجن مقتدر .

ـ بالملائكة مقتدر .

ـ بما نعلم من مخلوقات ، وما لا نعلم مقتدر .

ـ بالحركة والسكون مقتدر .

ـ باصطفائه الأنبياء والرُّسُل مقتدر .

ـ بكتبه ورسالاته مقتدر .

ـ بطوفانه وإغراقه مقتدر .

ـ بريحه مقتدر .

ـ بسحابه ومطره مقتدر .

ـ برعده وبرقه وصواعقه مقتدر .

ـ بسمـٰواته وأرضيه مقتدر .

ـ بعزته وقدرته وقوته وجبروته ، وبكل أفعاله وصفاته الحسنىٰ مقتدر .

ـ وبنعمه التي لا تُحصىٰ مقتدر .

ولذا فالمقتدر : « الذي لا قادر غيره ، ولا خير إلا خيره » (١) .

ولأنه المقتدر ؛ فلا غالب له ، ولهـٰذا فالذين كذَّبوا بآيات ٱلله تعالىٰ ، أخذهم المقتدر ـ عز وجل ـ أخذاً قوياً ، وأليماً شديدا ، وذلة لا مثيل لها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٤١ ـ ٤٢] ، أي إن تكذيب آل فرعون لآيات ٱلله ـ عز وجل ـ كانت عاقبتهم شديدة جداً ، فأخذوا وهم علىٰ غير مقدرة للمقاومة ، أو حتىٰ التصرف في أمرهم .

ولأنه المقتدر تسليماً ، فهو المؤيد ، والمناصر ، والنصير ، لمن جاءه

---

(١) تفسير الألوسي ، ج ١٦ ، ص ٤٥١ .

مسلماً ، وهو المكيد لمن يكيد كيداً ، وهو الماكر بمكر الماكرين ، بخيره في المكر العظيم ، ولذا إنه خير الماكرين باقتداره جل جلاله .

ولأنه المقتدر ؛ فما من كبيرة ، ولا صغيرة ، إلا بأمره ، وتحت هيمنته بالقوة والقدرة ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

ولأنه المقتدر ؛ فما من كبيرة ، ولا صغيرة ، إلا وهي مُسطَّرة في رسالات أنبيائه ، ورُسُله الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٣ ـ ٥٥] . من هٰذه الآيات الكريمات ؛ يفهم أن المقتدر : هو من لا يغفل ، ولا ينسىٰ ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو علىٰ كل شيء شهيد وقدير ، وهو الذي يعلم بأمر كل دابة في الأرض ، وهو رازقها رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، وكل شيء في كتاب مبين ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود : ٦ ـ ١١] .

ولأن المتقين هم المُسلِّمون بأنه ؛ لا مقتدر غير ٱلله ، فلهم من المقتدر العظيم ، الثواب العظيم ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤ ـ ٥٥] : أي إن المسلمين وجوههم لله المقتدر ، هم في جنات النعيم الوافر الذي نعمه لا تُحصىٰ ، وأنهاره لا تُحصىٰ ، ونهاره

لا يغيب ، وهم في الحفظ والسلامة عند مليك مقتدر علىٰ كل شيء ، وبكل شيء ـ سبحانه ـ إنه المقتدر الأعظم جل جلاله .

ولأنه المقتدر بالرحمة ؛ فهو المقتدر بالشدة أيضاً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ٤٥] .

الحياة الدنيا تبقى وتزول :

ـ تبقىٰ أعمال مقيدة علىٰ ظهور أصحابها .

ـ وتزول بنهايتها من الوجود ، بالموت والبعث من بعده .

ولهٰذا ؛ فلماذا التفاخر بالحياة الدنيا الزائلة ؟ فكثيرون هم عاشوا في الدنيا وعتوا فيها فساداً ، وانتهوا دون أسفٍ عليهم ، فهم لم يكونوا أسوة حسنة ، تهدي الناس علىٰ سبيل الفضائل ، والقيم التي كانوا يتحلَّون بها في مرضاة ٱلله تعالىٰ .

إذاً « فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله ، ولا يستكبر علىٰ غيره بها ، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم ، فإنما مَثَلُها مثل هٰذا النبات الذي حَسُن استواؤه بالمطر ، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء ، فتناهىٰ نهايته ، عاد يابساً تذروه الرياح » (١) .

وعلىٰ خليفة ٱلله في الأرض ، أن يكون مقتدراً علىٰ الخير وأفعاله ، طاعة وإيماناً بالمقتدر الأعظم ـ جل جلاله ـ ، ولكي يكون الخليفة مقتدراً ، فعليه بتأهيل نفسه علىٰ الطاعة للمقتدر المطلق ، وتأهيلها حتىٰ تلم بمقاليد القوة ، والقدرة في دائرة الممكن ، ليقوىٰ عودها فتُصلح ، وتعمِّر ، وتبني ، وتعمل الصالحات ، والمصلحات النافعات ، التي تفيد العباد والبلاد ، ولا ينبغي أن

---

(١) تفسير الطبري ، ج ١٨ ، ص ٣٠ .

تكون النفس من المستهلكين ؛ الذين يجلسون علىٰ قارعة الطريق ، وأرصفة الشوارع ، بطالة وهم صاغرو الأنفس .

اللهُمَّ المقتدر ! اجعلنا علىٰ نيل رضاك مقتدرين ، فلا نركن لغيرك ونكون من الضالين ، اللهُمَّ ! إنك المقتدر في ذاتك ، ولا تحتاج لسواك ، فاجعل الحاجة فينا إليك ، حتىٰ ننال رضاك ، ونكون من الوارثين .

اللهُمَّ المقتدر ! إن الضعف لا خير فيه ، فلا تجعلنا للضعف راكنين ، ولا للذل والقهر مسالمين ، ولا للظلم والظالمين مساندين ، اللهُمَّ ! إنك المقتدر علىٰ كل شيء ، بكل شيء ، فاجعل لنا في كل شيء ، ومن كل شيء ، مكرمة ورحمة .

اللهُمَّ ! إنك المقتدر علىٰ فك البلاء ، والشقاء ، والعناء ، ففك عنا وعن آبائنا وزوجاتنا وأبنائنا وأخوتنا، وصحابتنا وبلادنا وأمتنا كل بلاء ، وكل شقاء ، وكل عناء ، واجعلنا في الرضا والغنىٰ ، إنك المقتدر جل جلالك .

الْمُبِينُ

المُبينُ : الذي لا لبس ولا غموض ولا شك فيه ، فهو علىٰ الوضوح المُبين للحق من الباطل .

المُبين : الذي لا تلاحقه الأطماع ، ولا تتعلق النواقص والمظالم به ، فهو الذي بحكمه يسود العدل ، وبملكه تسود الرحمة ، وبكرمه تزداد الأرزاق ، وتشبع الحاجات ، ولذا فالمبين هو الذي يعلم ما لا نعلم ، وهو بكل شيء عليم ، وعلىٰ كل شيء قدير متىٰ ما شاء .

المُبين : من أسماء ٱلله الحسنىٰ التي وردت نصاً في القرآن الكريم ، في سورة النور الآية (٢٥) : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور : ٢٥] .

تحتوي هـٰذه الآية الكريمة علىٰ ثلاثة أسماء من أسمائه تعالىٰ هي :

- اسم ذاته ٱلله .
- اسم صفته الحق .
- اسم صفته المُبين .

ولذا فكما أن الحق اسم صفة من صفاته الحسنىٰ ، فكذٰلك المبين اسم صفة من صفاته الحسنىٰ .

فالمبين : هو الذي يعلم بالأمر قبل أن يصدره (كن) ، ويعلم بالشيء قبل أن يكون شيئاً ، ويعلم بحقيقة الشيء الذي هو عليه ، سواء أكان ظاهراً أم باطناً ، ولذا يكون الإنسان في حيرة من أمره ، والمبين تعالىٰ لا حيرة له في كل

أمر من أمور المخلوقات ، فالمبين لا تخفىٰ عليه خافية في السمٰوات ولا في الأرض ، إنه علاَّم الغيوب سبحانه لا إلـٰه إلا هو جل جلاله .

فالذين يرمون المحصنات بما لا يفعلن ، ظالمو أنفسهم ، فهم وإن ظنوا أن لا أحد من الخلق يعلم ما يخفون ، فعليهم أن يعلموا أن المبين يعلم بكل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، ومحيط ، وقدير ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور : ٢٣ ـ ٢٧] .

إذاً لاشك في ملاحقة اللعنات في الدارين ، للذين يظلمون الناس ، وكما هو حال المحصنات البريئات ، اللاتي رُمين بغير حق ، وهنَّ غافلات عمَّا رُمين به فللرامين بِهنَّ عذاب شديد ؛ يوم لا ينفع مال ، ولا بنون إلا من رحم ربي ، ولأن ٱلله هو العليم المبين ، فهو يعلم بهم وبما رموا به المحصنات ظلماً ، ويوم القيامة ستكون حواسهم شاهدة علىٰ أقوالهم ، وأعمالهم ، وأفعالهم ، ويومها سيعلمون أن ٱلله هو الحق المبين ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ .

ولأنه كما يقال : كل إناء بما فيه ينضح ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ أي إن المبين ـ جل جلاله ـ لا تخفىٰ عليه الحقيقة ، فما من شيء إلا ويعلمه ﴿ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان : ١٦] ، ولـذٰلـك ؛ الخبيثات سيظللـن خبيثات للخبيثيـن ، والخبيثـون سيظلون خبيثين للخبيثات ، وهـٰكذا ؛ فالطيبات سيظللن طيبات للطيبين ،

والطيبون سيظلون طيبين للطيبات ، وهـٰؤلاء هم بعلم المبين مبرَّؤون ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

إذاً المبين العظيم ؛ هو الذي يبرئ الطيبين والطيبات ، مما يقال عنهم من أقاويل ، وافتراءات ، ومظالم ، فهو الذي لا تخفىٰ عليه خافية ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه المبين الأعظم قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ هـٰذه الآيات تبيان للناس ، حتىٰ لا يُظلم أحد ، أو يُنعت ، بما لا يليق بمكارم الأخلاق ، وفضائل السماء التي جاءت في الكتاب الحكيم .

ولأنه المُبين ؛ خاطب رسوله الكريم محمداً ﷺ بالتوكل عليه ، أي التوكل علىٰ ٱلله الحق المبين ، ولذا فمن يتوكل ، فعليه بالتوكل علىٰ ٱلله الحق المبين الذي أُنزِلَ مبيناً في الكتاب الحكيم ، وعليه فمن يتوكل علىٰ ٱلله ، يجد نفسه علىٰ الحق المستقيم ، ويجد نفسه علىٰ البيِّنة بالحق المبين ، قال تعالىٰ : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل : ٧٩] .

قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦٧ ـ ٧٠] .

ولأنه المُبين ؛ فقد بيَّن للكافرين ، والمشركين ، كل شيء طلبوه من موسىٰ عليه السلام تبياناً عظيماً ، فقد طلبوا منه أن يُبين لهم البقرة التي أمر بذبحها ، فبين لهم ما هي ، وما نوعها ، ولأنه المبين ؛ فبيَّن لهم تبيانها تفصيلاً ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

وعليه ؛ المبين يبين للناس كل شيء تبياناً ، ما من صغيرة ، ولا كبيرة إلا ويبينها ، قال تعالىٰ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

حتىٰ لا يجتهد مجتهد في غير مكانه ، ليقول اجتهاداً ، لا داعي للمجامعة في شهر رمضان ، جاء قوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ولذا فاختتان الأنفس هو ما تسوِّل به ، أو توسوس به في غير محله ، كأن تقول نفس لصاحبها : جاءك شهر رمضان فلن يكون لك الجماع ، أو أن النفس كانت في حيرة من أمرها ، والغموض يحوطها من كل جانب في الجماع ، فجاء الحق المبين ، ليبين للناس ما هم فيه من حيرة ، ولذا فقوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ هنَّ تعود علىٰ نسائكم ، اللاتي هنَّ زوجاتكم ، فهُنَّ لباس لكم أي : سترة لكم ، وأنتم سترة لهُنَّ ، أي إن حلائلكم لكم حق الجماع فيهنَّ في ليلة الصيام ، بيِّنة من المبين ، فلا تغفلوا أو تفكروا في غير ذٰلك ، ولمن سولت له نفسه أو جعلته يظن في غير ذٰلك ، فليعلم الحق المبين حلالاً طيباً .

وعليه فشهر رمضان صومه عبادة ، وطاعة لله ، فهو كالصلاة ، والحج ، والزكاة له مواقيت من المغرب إلىٰ الفجر ، هـٰذه الفترة كل شيء حلال فيها

حلال ، وكل شيء حرام فيها كما في الأيام الأخرىٰ ، هو حرام ولا تبديل لخلق الله ، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٠ ـ ٣٢] .

ولأنه المُبين ، فهو المبيِّن للحلال ، والمبيِّن للحرام علىٰ السواء ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

ولأنه المبيِّن ؛ فقد جعل اتباع الفضائل والقيم الأخلاقية ، سُنة من سنن العباد الذين بعث فيهم الأنبياء ، والرُّسُل قدوة وأسوة حسنة ، ولذا فالمحافظة علىٰ الصلاة ، والصلاة الوسطىٰ ، من الفضائل التي يرتضيها ٱلله تعالىٰ ، والقيم التي يسنها الأنبياء اتباعاً لأمر ٱلله عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨ ـ ٢٤٢] .

ولأنه المُبين ؛ فقد بيَّن في الآيات الكريمة السابقة ، الحق المُبين لكل من :

ـ الصلاة تؤدىٰ خمس مرات كل يوم وفقاً لمواقيتها .

ـ الصلاة الوسطىٰ مع أنَّ هناك أقوالاً كثيرة ، إلا أننا نعتقد أنها الصلاة

البينيَّة التي جاءت سُنة من رسول ٱلله ﷺ بين كل صلاة من الصلوات الخمس ، فصلاة الفجر تتوسط صلاتي العشاء والصباح أي أنها بينهما ، وصلاة الضُحىٰ تتوسط الصباح والظهر ، وركعتا المسجد ، تتوسط صلاة سابقة ، وأخرىٰ لاحقة ، وصلاة الشفع والوتر ، وصلاة القيام تتوسط العشاء والصباح ، وهٰكذا كل صلاة وسطى هي متوسطة لوقتين من مواقيت الصلاة المفروضة ، فرضاً من ٱلله تعالىٰ ، والمؤداة إرادة من العباد المؤمنين الذين أسلموا لله ربِّ العالمين وجوههم .

ونقول للذين يرون في صلاة العصر ، أو الصبح ، أو الظهر ، هي صلاة وسطىٰ وهم علىٰ غير اتفاق ، حيث لا تحديد يبين الصلاة الوسطىٰ نقول لهم :

أن أي صلاة من الصلوات الخمس ، هي وسطىٰ لغيرها ، فإذا اخترنا العصر صلاة وسطىٰ ؛ بالتأكيد ستكون وسطاً بين صلاتي الصبح والظهر ، من جهة وبين المغرب والعصر من جهة أخرىٰ ، وهٰكذا صلاة المغرب ، هي وسط بين صلاتي الظهر والعصر من جهة ، وصلاتي العشاء والصباح من جهة أخرى ، وهٰكذا بطبيعة الحال ، بما أن الصلاة جاءت علىٰ العدد الفردي خمسة ، فهي صالحة لأن تكون أيَّةُ صلاة منها هي الوسطىٰ ، ولذا نحن نقول :

الصلاة الوسطىٰ هي صلاة السنن المعروفة دون زيادة ولا نقصان .

ـ القنوت لله تعالىٰ (طاعة وعبادة وخشوعاً) .

ـ ذكر ٱلله بالتمام والكمال علىٰ التيسير ، سواء أكنتم في حالة الراحة والطمأنينة ، أم كنتم في حالة الخوف من العدو ، فالمُبين ـ جل جلاله ـ يسَّر لكم الصلاة في الحالتين :

في الحالة الأولىٰ : للصلاة مواقيت ، سواء أكانت الصلاة ، أم الصلاة الوسطىٰ .

وفي الحالة الثانية : والأمر علىٰ غير طمأنينة ، فالسائر علىٰ قدميه

بإمكانه أن يصلي ، والراكب بإمكانه أن يصلي علىٰ ظهر مركوبه .

ـ المتوفون في الجهاد ، فلهم وصية لأزواجهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ـ المطلقات حسب الوصية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

ولأنه المُبين تعالىٰ ؛ فهو المُبيِّن والمفصل لكل شيء ، تبياناً وتفصيلاً سواء أكان في الماضي ، أم كان في المستقبل ، ولكل غاية من ورائه :

ـ الغاية من تبيانه للماضي ؛ أحوالاً ، وأسباباً ، وعللاً ، لكي يتذكر أولو الألباب ويتعظوا ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد : ١٩ ـ ٢٠] .

ـ الغاية من تبيانه للمستقبل ، لكي يتفكر أولو الألباب ، ويتعظوا ، قال تعالىٰ : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

ولأنه المُبين ؛ جاء تبيانه رابطاً بين ماضٍ ، ومستقبلٍ في الزمن الآن الذي ليس له بقاء إلا في التاريخ ، ليتذكر الناس دائماً ما فعل السابقون ، وماذا فُعِل بهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٣ ـ ١٠٥] .

وفي حكم المواريث يبين المبين ـ عز وجل ـ للناس أحكاماً ، كي لا يضلوا الحق ، ولأنه المُبين ؛ فهو الذي يعلم الحق فيظهره لمن يتعلق الأمر بهم ، قال تعالىٰ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النساء : ١٧٦] .

وعليه ، لولا المبين تعالىٰ ، ما كنا عارفين بنور السمٰوات والأرض ، وما تبينَّا الظلمات من النور ، والضلالة من الهدىٰ ، والحق من الباطل ، ولهٰذا فنحن لا نُحرِّم ما أحل ٱلله إيماناً ومعرفة ويقيناً ، ولا نعتدي ، ولا نُفسد في الأرض ، ولا نسفك الدماء فيها بغير حق ، ولهٰذا فنحن المتقون الذين آمنوا بٱلله وكتبه وأنبياءه ورُسُله ، وبما أمر ونهىٰ وأوجب وفرض، وحرَّمَ وجنَّبَ ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٧ ـ ٨٩] .

ولأنه المُبين ـ جل جلاله ـ فبيَّن لنا مكارم الأخلاق ، التي علىٰ أسسها توضع القواعد التربوية بين الأقارب ، والأباعد ، وبين الحلائل والمحرمات ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور : ٥٨] .

ولزيادة التبيان والتوضيح ، فيما يجب وما لا يجب ، وفقاً لمكارم الأخلاق ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور : ٥٩ ـ ٦١] .

وعليه ؛ فالخليفة هو من يتعظ بعد أن تبيَّن له الحق من الباطل ، والضلال من الهدىٰ ، والحلال من الحرام ، والمنهي عنه من غير المنهي عنه ، ليقوم بما هو واجب وفرض وسنة ، مع فائق التقدير للآخرين ، الذين لهم حقوق مثلما له حقوق ، وعليهم واجبات ، مثل ما عليه واجبات ، وعليهم مسؤوليات ، مثل ما عليه مسؤوليات ، ولذا فعلىٰ الجميع ممارسة حقوقهم ، وأداء واجباتهم ، وحمْل مسؤولياتهم بإرادة .

ولأن الخليفة يستمد صفاته من صفات الخالق ـ جل جلاله ـ فعليه أن يستمد صفة التبيُّن من المُبين الأعظم ، ليكون أسوة حسنة لغيره ، من بني نوعه ، وجنسه ، فيهدي للتي هي أحسن ، بعد تبيُّن للحق من الباطل ، ويعمل المعروف بعد تبيانه لمستحقيه ، طاعة لله تعالىٰ ، ويبيِّن للنشء الفضائل التي جاءت تفصيلاً في الكتاب الحكيم ، ويبيِّن القيم التي تؤسس لمكارم الأخلاق ، ويبيِّن الحلال من الحرام ، للذين لم يميزوا بينهما ، ويبيِّن لهم

الواجب من الفرض من السنة ، ولكل تفصيلاته قولاً ، وفعلاً ، وعملاً ، وسلوكاً .

اللهُمَّ أيُّها المُبين ! بيِّن لنا سُبل النجاة ، واجعلنا مهتدين ، واجعل في أقوالنا البيِّنة ، ولأسماعنا البينة ، ولحياتنا البينة ، ولمماتنا البينة ، ولبعثنا البيِّنة ، اللهُمَّ ! اجعل البيِّنة نوراً ينير دروبنا ، ومغفرة تمحو ذنوبنا ، وآية تدخلنا الجنة .

اللهُمَّ المُبين ! لا تجعلنا في غفلة عن ذكرك ، واجعلنا قادرين علىٰ تبيان ما بيَّنت لنا ، ولا تجعلنا من الجاهلين ، اللهُمَّ أيُّها المُبين ! إنك العالم بما لا نعلم ، فأظهرنا علىٰ علم من علمك الواسع ، حتىٰ نتبيَّن اسمك الأعظم ، الذي لا يُجرَّد ولا يُعرَّف ، ولا تُستمد صفة منه ، ولا يستمد فعل منه .

✍ ✍ ✍

القــاهر

القاهر : هو ٱلله المالك للقوة والقدرة ، اللتين لا يغالبهما مغالب ، فهو كما هو القاهر للكفر والشرك والطغيان ؛ هو القاهر للمرض والألم والحاجة ، ولا شيء يخرج عن قهره ، فهو القاهر علىٰ المشيئة ، فقهره علىٰ ما يريد من أمر ونهي .

القاهر بقوته يقهر ، وبكيده للكيد والمكيدين يقهر ، وبمكره بمكر الماكرين يقهر ، وبهيمنته يقهر ، وبجبره يقهر ، وبعزته يقهر ، وبسلامه يقهر ، وبعلمه وحكمته يقهر ، أي إنه بكل أفعاله وصفاته الحسان يقهر ، يغلِب ولا يُغلَب ـ سبحانه ـ لا إلـٰه إلا هو القهَّار .

ولأنه القاهر ؛ فهو القادر علىٰ قهر كل ما خلق ، وكذٰلك بخلقه يقهر ، فبأنبيائه ورُسُله يقهر ، وبملائكته يقهر ، وبإنسه وجنه يقهر ، وهـٰكذا لكل خلقه يقهر ، وبكل خلقه يقهر .

ولأنه القاهر ؛ فبالحياة يقهر الموت ، وبالموت يقهر الحياة ، وبالبعث يقهر الموت ، وبالماء يقهر النار ، كما يقهر العطش والصحارىٰ الجدباء ، وبالهواء يقهر الاختناق ، وبالاختناق يقهر الأبدان ، وبالإيمان يقهر الكفر والشرك ، وبالثواب يقهر العقاب ، وبأصحاب الجنة يقهر أصحاب النار ، وبكل نقيض يقهر مناقضه ، وفوق كل ذٰلك لا قاهر بالمطلق إلا هو ، جل جلاله .

ولأنه القاهر ؛ فهو العلي العظيم ، ولأنه القاهر ؛ فهو الملك المتعال ،

ولأنه القاهر فهو العلي الكبير ، ولأنه القاهر فهو الأعظم ، ولأنه القاهر فهو عالم الغيب والشهادة ، ولأنه القاهر فهو ذو الجلال والإكرام ، ولأنه القاهر فهو الحكيم الخبير .

القاهر من أسماء ٱلله الحسنىٰ التي وردت نصاً صريحاً في آيتين من القرآن الكريم في سورة الأنعام الآية (٦١) ، والآية (١٨) .

قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] .

بدون شك ، القاهر بالمطلق لا قاهر له ، فهو يَقهَر ولا يُقهُر ، ولذا لا أحد يفوقه في القهر ليكون فوقه فهو فوق الكل ، والكل تحت رحمته ، وخاضع لمشيئته ، ولا يظلم أحداً .

وقوله : ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ولأنه تعالىٰ هو الحفيظ ، فلا شك أن أمر الحفظة ـ ولِمن سيكونوا حفظه ـ لا يعلمه إلا القاهر ـ عز وجل ـ ، فهو مُرسلهم علىٰ خلقه حفظة لهم مما يشاء حفظهم منه ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، وبطبيعة الحال مهمة الحفظة مؤقتة بحياة المخلوق ، الذي أرسل له القاهر حفظة لحفظه ما دام حياً ، أمَّا عندما تحين ساعة الموت ، فيكلف أمره بملك الموت ليأخذه ؛ إن كان مسلماً علىٰ الطاعة والشهادة ، وإن كان كافراً فيأخذه علىٰ كفره ، ولكل حسابه ثواباً ، وعقاباً ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ .

قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ « أي : هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره ، فالقاهر فوق عباده هو

الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء »[(١)] .

ولأن له الحكم والأمر ، فهو القاهر فوق عباده ، ولذا في قهره للعباد حكمة تدعو إلىٰ الاعتراف والوحدانية والطاعة وعدم الكفر وعدم والشرك به .

وعليه ؛ فعلىٰ خلقه الطاعة ، وأن يكونوا عاملين علىٰ قهر الضعف والوهن في أنفسهم ، وما تُسوِّل به لهم ، وقهر الطمع والخيانة ، وعدم توفية العهود ، لتكون الحياة بينهم مودة ومحبة في ٱللّٰه تعالىٰ ، ولذا فإن تمسكوا بالفضائل التي أمر بها ونهىٰ عن ارتكاب ما يخالفها ، أو يسيء إليها ، كانوا علىٰ هدىً من ربهم ، وكانوا هم المفلحون ، والمصلحون في الأرض ، فالذي خلقهم ليكونوا خلفاء في الأرض ؛ أراد لهم حياة طيبة بالإصلاح فيها ، ولا يفسدون ، ولا يسفكون الدماء في الأرض بغير حق ، ولذٰلك يجب أن يتقي الإنسان ربه ؛ في دينه ونفسه ووالديه وزوجه ، وأبنائه ، وآبائه ، وجيرانه وأقاربه ، وبني وطنه وأمته ونوعه .

اللهُمَّ القاهر ! اجعلنا علىٰ القوة والقدرة التي بها نقهر الذل في أنفسنا ، وبها نقهر الأعداء ، من كفرة ومشركين وحاسدين وخائنين ومشعوذين ومنافقين وكائدين وماكرين .

اللهُمَّ القاهر ! اجعل القوة فينا تقهر الضعف ، والخير فينا يقهر الشر ، والشفاء فينا يقهر المرض ، والألم ، والداء ، والشقاء ، والبلاء ، وارفعه عنا لنكون أحباء علىٰ النقاء والصفاء .

اللهُمَّ القاهر ! اجعلنا من العاملين علىٰ قهر الظلم ، بالعدل والسلام ، واجعلنا من العاملين بالعلم ، علىٰ قهر الجهل ، وبالعمل الصالح ، علىٰ قهر الفساد والكساد ، اللهُمَّ ! إنك القاهر فأسلمنا وجوهنا إليك طائعين .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

المُنـعِمُ

المنعم : من بيده أمر النعمة ، وهو المتفضل علىٰ ما خلق بالخيرات والنعم التي لا تُحصىٰ في الدارين .

المنعم : هو مالك النعم والمتصرف فيها بالمطلق الكلي والجزئي والمتجزئ منه ، وهو الذي بيده الخير الذي كلما أتي نعمة منه تضاعفت نعمه .

المنعم : هو المتمكن من إيتاء النعمة لمن هو في حاجة إليها ؛ سواء أكان مقدِّراً لها ولمنعمها ، أم كان غير مقدر لذٰلك ، فهو المنعم جل جلاله ، ولذا قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] .

والنعم هي كل ما فيه خير للمخلوقات هو نعمة ، سواء أكانت روحية (معنوية) أم مادية (تشغل حيزاً مادياً) ، ولذٰلك فالمنعم هو ٱلله الذي أنعم علىٰ كل ما خلق ، بما هم في حاجة إليه كي لا يكون فيهم ألماً .

المنعم ؛ من أسماء ٱلله الحسنىٰ المستمدة من صفته الإنعامية علىٰ ما خلق ، كما جاء في آيات الذكر الحكيم الآتية :

قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

يفهم من الآية الكريمة السابقة ، أن من أعظم النعم طاعة ٱلله والرسول فهي تجعل المطيع لهما في مراتب العليين ؛ من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

وعليه نتساءل :

من الذي يستطيع الإنعام ؟

إنه المنعم ـ جل جلاله ـ الذي يمتلك النعمة وأمر التصرف فيها ، إنه ذو الفضل الذي هو علىٰ كل شيء قدير .

وفي مقابل ذٰلك ، من الذين لم ينعم ٱلله عليهم ؟

نقول : هم الذين لم يؤمنوا بٱلله والرسول .

قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء : ٧١ ـ ٧٢] .

من نعم المنعم علىٰ عباده ؛ أنه نبَّههم علىٰ أهمية أخذ الحذر (أخذ الحيطة) من الأعداء الذين يكيدون للمسلمين المكائد ، ويمكرون بهم مكراً كلما تهيأت لهم الظروف لذٰلك ، وحثه لهم لأن ينفروا فرقاً متعددة ومتجمعة وفقاً للظرف وما تدعو إليه الضرورة والحاجة ، ولذا فأمر الحروب والاستنفار لها يتطلب تخطيطاً عالياً ، فالأمر ليس هيناً ، فكل يتخذ حذره من الآخر ، أمَّا قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ فهي نعمة التنبيه علىٰ الذين يدَّعون الإيمان والإسلام ، ويظهرون الحماس لملاقاة العدو ، وهم في حقيقة أمرهم غير صادقين فيما يقولون ، فيتأخرون ويتباطئون عن ملاقاة الأعداء ، وهـٰؤلاء هم المنافقون والمتشمتون إذا لم يتحقق النصر للمسلمين ، فيقولون بما يظنون انه محقق للرضا ، قد انعم ٱلله علينا بعدم المشاركة في القتال الذي كُتب علىٰ المؤمنين المسلمين .

ومن نعم المنعم ـ جل جلاله ـ نعمة بعث الأنبياء ؛ مبشرين ومنذرين وفاعلين للخيرات ، ومحرضين علىٰ الحق واتباعه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : ٢٠ ـ ٢٣] . لقد جاء قول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه مُظهِراً للاعتراف بنعم المنعم عليهم ، ببعث الأنبياء فيهم ، وجعلهم ملوكاً ، وإيتائهم من النعم ما لم يؤت لأحدٍ من قبلهم من العالمين ، ومن هٰذه النعم ؛ دخولهم للأرض المقدسة ، وعدم التردد في دخولها ، حتىٰ لا تنقلب عليهم النعم نقماً ، ومع ذٰلك ، فلم يأخذوا بما قاله لهم موسىٰ وهو القول الحق ، فخسروا كل موجبات الأخذ بالنعم .

ولأنه المنعم فقد أظهر نعمه علىٰ أنبيائه ورُسُله صلوات ٱلله وسلامه عليهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم : ٥٤ ـ ٥٨] .

فمن نعمه جعل إسماعيل صادق الوعد ، وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ، كل هٰذه نعم من المنعم ـ عز وجل ـ تعود علىٰ إسماعيل ، والذين آمنوا به ، فاتخذوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه .

ومن نعمه تعالىٰ ؛ جعل إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الرفعة مكاناً علياً : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٦ ـ ٥٧] .

ولذا فكل الأنبياء والرُّسُل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ منعم عليهم بالطاعة والهداية والتسليم باليقين ، الذي به تمكنوا من معرفة الحق فخروا سُجداً وبكياً .

قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . الخطاب في هٰذه الآية الكريمة ، موجه إلىٰ رسول ٱلله محمد ﷺ بعدما قال لزيد بن الحارثة عندما جاءه ليستأذنه بأن يطلق زوجته ، فنصحه الرسول الكريم بأن لا يطلق زوجته ويتقي ٱلله فيها ، ولٰكن لرغبة زيد في الطلاق ـ لأسباب هو يعلمها ـ طلقها ، وبعدما قضت العدة ، تزوجها رسول ٱلله ، فكان زواجه بسبب إرادة ٱلله ، حيث زيد كان متبنىً من قبل رسول ٱلله ، وحتىٰ لا يجتهد من بعده مجتهد ، بتحريم الزواج ممن كنَّ زوجات للمتبنين ، فيسَّر ٱلله ذٰلك سنة باقية بين المسلمين حلالاً طيباً : ﴿ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وفي الآية الكريمة السابقة ، كانت المشيئة لإظهار النعمة من المنعم ، إلىٰ المنعم إليه ، والمنعم به وفقاً للآتي :

١ ـ المنعم : ٱلله تعالىٰ .

٢ ـ المنعم عليه : النبي محمد رسول ٱلله ﷺ .

٣ ـ المنعم به : الزوجة المُطلقة ، (التي كانت زوجة زيد بن حارثة) .

٤ ـ النعمة : التحليل بالخروج من دائرة المحرمات .

وعليه ؛ فقد أنعم ٱلله علىٰ عباده بنعمة التحليل ، ليميز بين الأبناء من الأصلاب ، والأبناء بالتبني ، وما يتعلق بكل منهم من أمر ، ولهٰذا فلا ينبغي أن يبدل أحد نعمة أنعمها ٱلله عليه ، ومن يبدلها فقد يلاقي آثاماً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ٢١١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

نِعم ٱللهِ واسعة فلا تُحصىٰ ، ولهٰذا ؛ النعمة غير محددة بنوعية معينة في هٰذه الآية : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فكل شيء فيه خير ، هو نعمة من نعمه التي لا تحصىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، ومن هٰذه النعم :

أولا ـ نعمة الحياة وما فيها ، ومنها :

١ ـ نعمة الخلق في أحسن تقويم .

٢ ـ نعمة العقل والقدرة علىٰ التوازن .

٣ ـ نعمة الحواس :

أ ـ السمع .

ب ـ البصر .

ج ـ اللسان .

د ـ الشم .

هـ ـ اللمس .

٤ ـ نعمة النفس وما تحس به تجاه الآخرين ، من مشاعر اجتماعية وإنسانية من تعاون وإحسان وعمل وفعل وردة فعل وإقدام وإحجام وجهاد وتمتع وظاهر وباطن وتقبل وتفهُّم وتفاهم ورفض وتوافق وتكيف ورضاً وعدم رضاً تجاه الأنا والآخرين ، الذين تكمن فيهم أو تتوجه إليهم مجموعة من المشاعر منها :

أ ـ مشاعر الأبوة .

ب ـ مشاعر البنوة .

ج ـ مشاعر الأخوة .

د ـ مشاعر الزوجية .

هـ ـ مشاعر العمومة والأخوال .

و ـ مشاعر الجيران وبني الوطن والأمة .

ز ـ مشاعر المؤيد .

ح ـ مشاعر المعارض .

ط ـ مشاعر المخاصم .

٥ ـ نعمة الرزق : الذي يؤخذ كل نصيب منه وفقاً للحاجة ومشبعاتها .

٦ ـ نعمة اصطفاء الأنبياء والرُّسل ؛ مبشرين ومنذرين ومحرضين وفاعلين للخيرات الحسان وداعين إليها .

٧ ـ نعمة الحكمة التي تؤتى لمن يشاء .

٨ ـ نعمة العلم الذي يؤتى لمن يشاء ، وكذٰلك العلم الذي يتم تعلمه مكسباً وفائدة ، لمن يود أن يكتسب ويستفيد ، وينتفع وتتحسن أحواله وأقواله وأعماله وأفعاله وسلوكياته ومعارفه وأساليبه .

٩ ـ نعمة المُلك الذي هو الآخر يؤتىٰ إيتاء ، ويتم التمكن منه بإرادة حيث لا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي .

١٠ ـ نعمة السلطان الذي يُجعل لمن يشاء ، قال تعالىٰ : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠] .

١١ ـ نعمة الاستخلاف في الأرض ، لمن يستمد صفاته وأفعاله من صفات وأفعال خالقه ، ليصلح فيها ولا يفسد ، ولا يسفك الدماء فيها بغير حق .

١٢ ـ نعمة العدل بين الناس .

١٣ ـ نعمة الماء ؛ سحاباً ومطراً وينبوعاً وبحراً ونهراً ومحيطاً وبحيرة وسيلاً نافعاً .

١٤ ـ نعمة خلق الأنواع ليكون التنوع رحمة بين المخلوقات ، من الإنس والملائكة والجن ، والطير والدواب والزواحف ، والنباتات والأسماك وغيرها مما لم نذكر من الأنواع .

١٥ ـ نعمة الإيمان والإسلام ، طاعة لله المنعم ربِّ العالمين ؛ واحداً أحداً له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير .

١٦ ـ نعمة الرحمة التي لا تستمد إلا من الرحمـٰن الرحيم ، ولذا فكما أن الرحمة تستمد من الرحمـٰن الرحيم ، كذٰلك النعمة لا تستمد إلا من المنعم العظيم .

١٧ ـ نعمة السماء وما فيها ؛ من شمس وقمر ونجوم ، وما فيها مما نعلم ومما لا نعلم .

ثانياً ـ نعمة الممات ؛ راحة من كل عناء وألم ، فهي النهاية في الدار
الدنيا لكل من خلق ، قال تعالىٰ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ
أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا
لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ
أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾
[الملك : ١ ـ ١٤] .

ثالثاً ـ نعمة البعث : قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٦] .

رابعاً ـ نعمة الفوز بالجنة : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦] .

وعليه ؛ فإن وراء كل النعم التي ذُكرت ، والتي لم تُذكر ، منعماً يمد المنعمين بها ، ليتنعموا بخيراتها ، في حياتهم ومماتهم وبعثهم ، وهو علىٰ كل شيء قدير سبحانه لا إلـٰه إلا هو جل جلاله .

ومن نعم المنعم علىٰ خلقه ، أنه المؤلف للقلوب والمنقذ من المكائد والكروب ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ولأنه المنعم ، فنعمه علىٰ خلقه لا تحصىٰ ولا تعد ، قال تعالىٰ ، ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، ولهـٰذا لمَ لا تُذكر نعم المنعم بالشكر والحمد له تعالىٰ علىٰ ما أنعمه علينا من نعم ، وما فضلنا به من فضائل ؟ قال

تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

ولذا ينبغي علىٰ الأقوام والأمم والشعوب ، التي أنعم المنعم عليها بالأنبياء والرُّسُل أن يكونوا خير شاكر لأنعمه تعالىٰ ، ولهـٰذا كان موسىٰ منبهاً لقومه لأن يذكروا ٱلله شكراً وثناء وحمداً ، علىٰ ما بعث فيهم من رُسُل وجعلهم ملوكاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠] ، وهـٰكذا موسىٰ يقول لقومه : اذكروا نعمة ٱلله عليكم بنجاتكم من آل فرعون الذين يسومونكم سوء العذاب ؛ فيذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٦ ـ ٧] .

النعمة من المنعم ـ عز وجل ـ لا تستوجب إلا عبداً شكوراً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٥٣ ـ ٥٤] .

ولأن نعم المنعم لا تحصىٰ ولا تعد ، فهي علىٰ الكثرة المعروفة وغير المعروفة ، فنعمه في السمـٰوات والأرض منها الظاهر ؛ كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والرياح والأنهار والبحار والمحيطات ، وغيرها كثير ، ومنها الباطن الذي لا نعرفه وهو علىٰ الكثرة المطلقة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

ولأنه المنعم بالمطلق ؛ فنعمه لا تحصىٰ في الظاهر ، ولا في الباطن ، فلله جنود السمـٰوات والأرض (جنود تُرىٰ وجنود لا تُرىٰ) قال تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

وعليه نقول : إن أكبر النعم التي يجب أن يُسلِّم بها المخلوق هي :

أن يؤمن بالمنعم تعالىٰ واحداً أحداً ، وهو الرزاق الكريم في السمٰوات والأرض ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر : ٣] .

ولأنه المنعم ـ جل جلاله ـ خلق لنا الأرض مهداً ، وجعل لنا فيها سُبُلاً لنهتدي بها حركة وسكوناً ، ولأنه المنعم ؛ أنزل لنا من السماء ماء ، ولأنه المنعم ، خلقنا أزواجاً ، ولأنه المنعم ؛ جعل لنا الفلك والأنعام لنركبها وفيها منافع كثيرة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ٩ ـ ١٤] .

ولأنه المنعم ـ جل جلاله ـ فهو الذي أرسل علىٰ الكافرين من قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ حاصباً شديداً ، ولأنه المنعم ؛ فهو الذي أنجىٰ آل لوط الذين آمنوا به ، وشكروه كثيراً علىٰ ما أنعم عليهم من نعم ، فالحمد له عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٤ ـ ٣٥] .

ولأنه المنعم العظيم ؛ فقد أنعم علىٰ نبيه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مكظوم في بطن الحوت ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم : ٤٨ ـ ٥٠] .

وعلىٰ الخليفة أن يستمد صفاته من صفات المنعم ـ جل جلاله ـ فيكون من الذين من نعمه يتصدقون ويزكون ويصلحون ولا يفسدون في الأرض ، وأن يعملوا علىٰ استثمار النعم التي أنعم بها المنعم عليهم ، لتزداد حلالاً وتوجَّه في سبل الحق ، ولذا فالخليفة هو من يؤمن أن ما لديه من النعم ، هي من المنعم تعالىٰ ، فهو المتقي ٱلله فيها فلا يستغل ولا يستعبد أحداً بها ، بل كلما زادت عليه نعمة من نعمه ، شكر المنعم وحمده علىٰ فضله ، وازداد إيماناً وطاعة وهداية .

اللهُمَّ المنعم ! أنعم علينا من نعمك التي لا تحصىٰ ولا تعد ، إيماناً وطاعة تامّين ، وسلامة وأمناً حافظين ، وصحة وغنىً نافعين ، وشفاء من كل داء ، وكسباً من كل عمل وسفر ، وحُجَّة في كل قول ، وحفظاً من كل هول ، اللهُمَّ المنعم ! أنعم علينا نفساً مطمئنة ، واجعلنا علىٰ هوية الإسلام ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، وأرشد أبصارنا إلىٰ سبل النجاة ، وأرشد أسماعنا إلىٰ الإنصات للحق ، وجنبها مجالس الباطل ، وأنر بصائرنا وقلوبنا ، وزدنا علماً ويقيناً ومالاً حلالاً ، واجعل سلامة في حواسنا وضمائرنا ، كي لا نغتر أو نطغىٰ ، أو نضل سبيلك .

القـدير

القدير : هو مالك القدرة والمقدرة ، وهو بكل شيء عليم ، ولهٰذا فالقدير في ذاته القدرة والمقدرة علىٰ أن يفعل ما يريد ، بسبب أو بدون سبب ، وهو الذي بيده الأمر والنهي ، يفعل ما يشاء لمن يشاء كيفما يشاء .

القدير : هو الفعَّال لكل حسن ، ولذا فالقدير اسم من أسمائه الحسنىٰ ، ولأنه القدير ؛ فهو فعَّال لما يُريد ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

لقد سمىٰ ٱلله تعالىٰ نفسه بالقدير ، مثلما سمىٰ نفسه العليم ، كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ أي إنه العليم والقدير علىٰ تحقيق الأفعال وفقاً للمشيئة ، فهو الذي خلقنا من ضعف حيث لا قدرة لنا ولا استطاعة ، فمن التراب خلق أبانا آدم بقوله (كن) ، فكان علىٰ درجة من القدرة في دائرة النسبية ، ثم جعل التكاثر من نسله من نطفة فعلقة فمضغة ، ثم جنيناً تاماً بانبعاث الحياة فيه قدرة من القدير ، ليبقىٰ علىٰ قيد الحياة المؤقتة إذا لقي من يُقدِّم إليه الرعاية والعناية ، حيث لا قدرة له علىٰ البقاء بدونها ، ولهٰذا خُلق الإنسان ضعيفاً ، وبنضجه في ظل العناية والرعاية الاجتماعية والانسانية وفقاً لمشيئة القدير ـ جل جلاله ـ أصبح علىٰ القوة في دائرة الممكن ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ الصبا والشباب، والنضج البدني والعقلي والنفسي ، هٰذه معطيات قوة تُمكِّن من العمل والإنتاج والإبداع العلمي والفني ، ولٰكن بتقدم

العمر يضعف البدن والعقل ، وتضعف النفس ، ويركن المخلوق إلىٰ الراحة ، حيث الصعوبة تواجهه من الحركة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ ولذا فهو القدير الذي علىٰ كل شيء قدير .

ولأن المخلوق يمر بمراحل عمرية يتنقل من خلالها ؛ من الضعف إلىٰ القوة ثم يعود إلىٰ الضعف ، لتكون له النهاية سنة في خلقه تعالىٰ ، ففي مراحل القوة ، يعمل ويتنقل وينتج ويعلم ويتعلم ويتعرف ويخاف فيتجنب ، وإذا صمد أحياناً يتقدم ، ولهـٰذا فالإنسان يخاف ويتجنب وينتهي ويطيع ويستغفر ويتوب ، وكل شيء في دائرة الممكن بالنسبة له هو ممكن .

ولأن القدير هو القوي ، فبقوته تعالىٰ قادر علىٰ فعل ما يريد ، ولأنه القدير جعل البرق قوة تمتد بضوئه الذي يرشد السائرين ، والمتحركين في الأرض ، أو يكشف حالهم عليها ، قال تعالىٰ : ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة : ٢٠] ، ولأن البرق يصاحبه رعد بقوته الصوتية ، فالناس يخافون شدة رعده الذي لا يؤثر علىٰ حاسة السمع ، وهـٰذه مشيئة من ٱلله تعالىٰ ، ولـٰكن لو شاء لجعل ذٰلك البرق مؤثراً علىٰ البصر ، وجعل الصوت الرعدي مؤثراً علىٰ السمع ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ ، ولذا فإن ٱلله علىٰ كل شيء قدير ، فهو قدير علىٰ جعله سلامة ، وقادرٌ علىٰ جعله إيذاء .

إذاً القدير ؛ هو علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه القدير ؛ فهو مالك القدرة والقوة ، ومالك الأمر كل الأمر بالمطلق ، ليس كمثله شيء ، قال تعالىٰ : ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة : ١٠٦ ـ ١٠٧] ، ولأن الآيات العظام منزلة من عنده ـ عز وجل ـ ، فهو بدون شك هو القدير علىٰ نسخها ونسيانها ، إذا شاء متىٰ ما شاء ، ولهـٰذا لا استغراب في أن يُنزِّل

المعجزات والآيات العظام ، ولا استغراب أن ينسخ ما أنزل من آيات وهو القدير علىٰ الإتيان بخير منها ، ولذا فهو القدير الذي هو علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه القدير ؛ فكل قدرة لا تستمد إلا منه ، أي لو لم تكن له هٰذه الصفة ، ما كانت لنا القدرة التي نحن عليها .

ولأن القدرة علىٰ مستوىٰ المخلوق مهما عظمت ، فهي لا تخرج عن دائرة النسبية ، لذا لا يمكن أن يكون الإنسان مهما عظم قديراً بالمطلق ، وذٰلك لأن القدير ؛ قوته تغالب أي قوة ولو اجتمعت ، ولهٰذا هو القدير جل جلاله .

ولأنه القدير ؛ فهو إذا أراد شيئاً يقول له (كن) فيكون ، ولهٰذا قدرته دائماً متحققة بالقوة ، أمَّا الإنسان فله الأماني غير المتحققة بالقدرة البشرية في بعض الأحيان ، ولهٰذا ليس كل ما يتمناه الإنسان هو قابل لأن يتحقق ، خاصة إذا جاء في غير طاعة ٱلله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

إذاً الخالق تعالىٰ هو القدير الذي يقول للشيء كن فيكون ، أمَّا المخلوق ؛ فأمره في دائرة الأماني بين متوقع وغير متوقع ، ومهما كبر حجم هٰذه الدائرة فهي دائرة محصورة بداية ونهاية ، أي إن أمرها لم يكن مطلقاً ، ولهٰذا ليس كل شيء سيكون قابلاً لأن يتحقق ، ولو كانت الأماني تحقق كل شيء ، لتحققت أماني أهل الكتاب الذين ودَّ كثير منهم ، أن يردوا المسلمين حسداً عن دينهم كفَّاراً ؛ فهٰؤلاء ومن هم علىٰ أمثالهم في كل عصر ، إن لم يستغفروا ويتوبوا لله تعالىٰ سينالون أشد العذاب ، ولذا فإن القدير سبحانه وتعالىٰ علىٰ كل شيء قدير .

ولأن القدير علىٰ كل شيء قدير ، جعل الخيرات محصية بما لا تُحصىٰ به ، أي جعل الخيرات علىٰ الكثرة التي لا تُحصىٰ من مخلوق ، مع أنها

المحصية لديه ، قال تعالىٰ : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٣ ـ ٩٥] ، ولأن الخيرات متعددة ومتنوعة فعملها ممكن من العباد طاعة لله تعالىٰ ، ولهٰذا التنوع والتعدد من العلامات الموجبة لترسيخ الفضائل والقيم ، ولهٰذا فالأعمال بالنيات ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، المهم عبادة ٱلله واحداً أحداً ، والمهم الإكثار من عمل الخيرات ، ولٰكن تولية الوجوه ليست هي الغاية ، بل الغاية لمن تولىٰ الوجوه ، فإن كانت مولاة للواحد الأحد ، فإن توليتها أينما تكون هي علىٰ الصواب ، وإن كانت مولاَّة لمن هم دونه ، كفراً وشركاً ، فهي علىٰ الباطل .

فالذي حاجَّ إبراهيم في ربه ، كان علىٰ الباطل حيث لا حُجَّة له في محاجَّته إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ولذٰلك بقيت هٰذه المحاجَّة آية لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وهٰكذا بقدرة القدير ، بقي الذي مرَّ علىٰ القرية الخاوية على عروشها (الذي أماته ٱلله مئة عام ثم بعثه) ، آية دالة علىٰ أنه القدير علىٰ كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٨ ـ ٢٥٩] .

نعم ! إنه القدير علىٰ تحقيق كل شيء ، كيفما شاء متىٰ ما شاء ، فعندما شاء إحياء الميت الكريم أحياه ، فكان شاهداً علىٰ عمره وحماره وطعامه ، آيات تتبدل بالزمن وبالأمر كن ، فبعد أن كانت آثاراً بالية ، أصبحت أمامه آيات

متحققة ، مما جعله يقول وهو شاهد لله بالوحدانية والقدرة بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وعليه أتساءل :

هل الخالق يخلق شيئاً ليس له ؟

نقول :

لا يمكن أن يخلق شيئاً ليس له ، فقد خلق السمٰوات له ، وخلق الأرضين له ، ولهٰذا أتينا لله طائعين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٣] .

إذاً كل شيء لله تعالىٰ ، أي كل مخلوق للخالق تعالىٰ ، ولهٰذا ما من شيء إلا ويسبِّح بحمده ، قال تعالىٰ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

ولأن كل مخلوق له ، فخلق كل شيء بميزان ، وذٰلك لاعتدال ملكه وحكمه سبحانه لا إلـه إلا هو ، له مقاليد ما خلق وهو العليم القدير .

ولأن الخالق القدير خلق كل شيء ، لذٰلك وجبت علىٰ كل مخلوق طاعته وعبادته والتسبيح بحمده جل جلاله ، فعلىٰ المستوىٰ البشري ، من يعمل لك خيراً محدوداً ، تشكره وتراه جميلا رائعا ، يستوجب منك التقدير والاعتراف ، فما بالك بالذي خلقك خلقاً ، ألا يستحق الإيمان والطاعة ، والاتباع في كل أمر ونهي ؟ ثم ألا تعترف للذي خلق الشيء ، وخلق منه

الأشياء وخلقك من أشيائه ، وهو المسيطر والمهيمن علىٰ كل شيء ، بأنه الملك القدير جل جلاله .

ولأنه المهيمن والمسيِّر لكل شيء ؛ حياةً ، ومماتاً ، وبعثاً ، ألا يكون القدير علىٰ أن يؤتي ما يشاء ، لمن يشاء ، وينزع ما يشاء ، ممن يشاء ؟ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

ولأنه القدير تعالىٰ ، فلا يُشكُّ في قدرته علىٰ غفران الذنب لمن يشاء ، ولا يُشكُّ في قدرته علىٰ تعذيب من يشاء ، ولا يُشكُّ في قدرته علىٰ علم ما تكنه وما تبديه الصدور ، سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

ولأنه القدير تعالىٰ ؛ جعل الناس درجات ، فجعلهم علىٰ غير تساوٍ في القدرات والاستعدادات والميول والاتجاهات والإيمان ، قال تعالىٰ : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٣ ـ ١٦٥] . ولأنه القدير فهو البصير بما تقدم أيدي الناس ، ولكل حسابه ، فلا تستوي عنده تعالىٰ الحسنة والسيئة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٣ ـ ٣٤] ، ولذلك لقد منَّ ٱلله علىٰ المؤمنين برسول منهم ، يتلو عليهم آياته الحكيمة ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، ولذا فلأنه علىٰ كل شيء قدير ، بعث لهم رسولاً منهم ليقوم بما أمره القيام به من أجلهم ، بعد أن كانوا في ضلال مبين ، ولذلك

فلينصرن ٱللهُ من ينصره ، أمَّا التخاذل فله ثمن ، ويتحمَّل وزره الذي كان سبباً فيه ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ما أصاب المؤمنين من خسائر ، في جهادهم الكافرين في بعض المعارك ، سببه من عند أنفسهم ، فلو اتبعوا ما أمر به لكان النصر حليفهم ، ولٰكن مخالفتهم للأمر جعلتهم خاسرين ، ولهٰذا كانت تلك الخسارة درساً مهماً في مستقبلهم ، الذي كلل بالفتوحات العظيمة التي جاءت نصراً من عند القدير جل جلاله ، ولذٰلك فقوله تعالىٰ : ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران : ١٦٣] تمييز بين المتميزين علىٰ الحق ، وهم درجات ، وبين المتميزين بالباطل ، وهم درجات ، وهٰؤلاء المفضلون ، وأولٰئك الذين لا تفضيل لهم ومنهم :

- الأنبياء والمرسلين الكرام ، صلوات ٱلله وسلامه عليهم .
- الصديقين .
- المجاهدين .
- الصالحين .
- المسلمين .
- المؤمنين .
- الطائعين .
- المستغفرين .
- المسبِّحين .
- العاكفين .
- التائبين .
- المتزكين .

ـ المتصدقين .

ـ الكافرين .

ـ المشركين .

ـ المنافقين .

ـ الضالين .

ـ الكاذبين .

ـ المجرمين .

ـ الخائنين .

وعليه نقول :

القدير : هو الذي خلق السمٰوات ومن فيها وما فيها ، وخلق الأرض ومن فيها وما فيها ، وهو الذي خلق الحركة والسكون ما بين السمٰوات والأرض ، هبوطاً كما هو حال أبينا آدم ، وصعوداً كما هو حال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهبوطاً وصعوداً باستمرار لملوكه الكرام ، الذين هو يعلمهم ونحن بما أعلمنا مؤمنين ، ولذا إنه الخالق الذي هو علىٰ كل شيء قدير ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٩] .

ولأنه القدير ؛ فهو المهلك إن أراد للشيء إهلاكاً ، وما يمنع مالك الملك والقدرة أن يهلك ما يشاء إذا شاء ؟ فهو الذي شاء له خلقاً ، وهو القدير علىٰ إهلاكه إن شاء ، ولذا فالذين قالوا إن ٱلله هو المسيح ابن مريم ، هم كافرون فكيف يكون المخلوق ابناً للخالق ؟ الخالق يخلق كل شيء خلقاً ، والمخلوق لا يخلق الأشياء بالمطلق ، مع أنه في دائرة الممكن ؛ يصنع من الأشياء أشياء ، ولذٰلك فلا مقارنة بين من يَخلق ، وبين من يُخلق ، قال تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ

شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧] .

ولأنه القدير علىٰ كل شيء ، بعث الأنبياء والرُّسُل الكرام ؛ مبشرين ومنذرين ومحرضين وداعين للهداية والطاعة ، لينقلوا الناس من الضلال إلىٰ الهداية (من الكفر إلىٰ الإيمان) قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٩] .

الذي له ملك السمٰوات والأرض ، له كل شيء ، وبيده أمر كل شيء ، ولذا فهو القدير علىٰ كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ٤٠] ، ولأن بيده أمر كل شيء ، فهو القدير علىٰ تعذيب من قدمت يداه عملاً مفسداً ، وهو القدير علىٰ غفران الذنوب لمن يشاء من عباده سبحانه ، إنه علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه الخالق لكل شيء ، فهو القدير علىٰ الخلق ، ولأنه المحيي والمميت والباعث ، فهو علىٰ كل شيء قدير ، ولذٰلك فإن يمسسك ٱلله بضر فلا كاشف له إلا هو ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام : ١٧] .

الضر من ٱلله لا يكون إلا في معصية ، ولذٰلك لا ضر من ٱلله في الطاعة ، وكل عمل إصلاحي أم مفسدي ، هو من أيدي الناس ، قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وتحذير ٱلله للعباد من أجل العباد ، ولذٰلك يكون الاستغراب من الذين لا يؤمنون ، ولا يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة : ٣٨ ـ ٣٩] ، الدار الدنيا جميلة ، لأنها من خلق ٱلله تعالىٰ وإبداعه لها إبداعاً ، ولذٰلك فلا ينبغي أن ينسىٰ العباد نصيبهم منها ، كما نُصح قارون بها من قومه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] ، ولأن الحياة الدنيا مؤقتة ، فلا يعتمد عليها بالمطلق فهي الزائلة ، ولذا فأصحاب العقول والحكمة ، يؤمنون بالحياتين الدنيا والآخرة ، ولهٰذا فهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا ، وفي الآخرة هم خالدون ، وبهٰذا فهم الوارثون للدارين ، قال تعالىٰ : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ـ ١١] .

وعليه الوارثون في الدارين ، هم المستغفرون ، التائبون ، والمسبِّحون ، والمزكُّون ، والمتصدِّقون ، والركع ، السجود ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، إنهم مكثرو الخيرات طاعة وإيماناً، لله الواحد القهار ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود : ٣ ـ ٤] ، ولذا فالمتاع الحسن إلىٰ أجل مسمىً ، هو في الحياة الدنيا والمتاع الحسن بالمطلق ، هو في الحياة الآخرة ،

فلا ينبغي أن ينسىٰ المؤمن نصيبه في الدار الدنيا ، ولا يجعلها مبلغ همه وغمه ، فالدار الآخرة خير وأبقىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ١٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص : ٦٠ ـ ٦١] .

ولأنه القدير ـ جل جلاله ـ أظهر قدرته في خلقه قوة ، ولأنه علىٰ كل شيء قدير ، جعل خلقه يَعبرون من الضعف إلىٰ القوة ، ويَعبرون من القوة إلىٰ الضعف ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل : ٧٠] .

ولأن الأمر كل الأمر بيده تعالىٰ ، إذاً هو القدير علىٰ فعل كل شيء بالمطلق ، ولذا فهو القدير علىٰ علم الغيب في السمٰوات والأرض ، وهو القدير علىٰ قيام الساعة في أي وقت يشاء ، فكما كان قديراً علىٰ إخراجنا من بطون أمهاتنا ، هو القدير علىٰ جزائنا بالمغفرة والرحمة والجنة ، وجزاء الكافرين والمشركين بالعذاب الشديد في نار جهنم خالدين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٧٧ ـ ٧٩] .

ولأنه القدير علىٰ فعل كل شيء يشاؤه ، فهو القدير علىٰ شفاء المرضىٰ وإحياء الموتىٰ ، كما أحيى المقتول الذي ادَّارأ فيه قوم موسىٰ عليه السلام وكما أحيى الذي مرَّ علىٰ القرية وحماره ، بعد مائة عام من موتهما ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢ ـ ٧٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ

ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٥٨ ـ ٢٥٩] .

ولأنه القدير علىٰ الإحياء ، فهو المحيي ـ جل جلاله ـ الذي يحيي العظام وهي رميم ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يسٓ : ٧٨ ـ ٧٩] .

إذاً القدير هو محيي الموتىٰ ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج : ٦] .

ولأن في خلق ٱلله شؤوناً فهو بقدرته خلق الشيء ، والشيء المناقض له ؛ الخروف والذئب ، والأفعىٰ والفأر ، وخلق الشيء والشيء المتمم ، الذكر والأنثىٰ ، والحياة والموت والبعث ، وخلق التنوع رحمة فهو القدير الذي خلق الملائكة والجن ، والطير والسمك ، والنبات ، والنحل والنمل ، والجراد وكل الأنواع المتعددة فخلق مما خلق ما يمشي علىٰ بطنه ، وما يمشي علىٰ رجلين ، وما يمشي علىٰ أربع ، وهو يخلق ما يشاء كيفما يشاء سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور : ٤٥] .

ولأنه القدير فلم يجعل النوع الواحد علىٰ نمطٍ واحد ، ولنا في خلقه للملائكة مثال علىٰ التميز داخل النوع الواحد ؛ فالكل ملائكة ولـٰكن الأجنحة ليست واحده ، فله في خلقه شؤون ، قال تعالىٰ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] .

ولأنه القدير الذي خلق السمـٰوات والأرض ، فهو الذي بقدرته ينزل الغيث من السماء ، وجعل الرياح لواقح ، ترفع السحب لينزل مطراً علىٰ الصحارى ، وحيث يشاء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٨ ـ ٢٩] .

يُفهم من الآيتين الكريمتين السابقتين أن القدير جعل الحياة في السمـٰوات والأرض ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الشورى : ٢٩] . جاء بث الدواب في السمـٰوات والأرض ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الشورى : ٢٩] ، وجاءت الدابة نكرة لتدل علىٰ أي دابة ، سواء أكانت مما نعرفه من الدواب ، أم كانت من غيرها ، ولهـٰذا لا تقتصر السمـٰوات علىٰ حياة العقلاء فقط ، كما هو حال الملائكة أو من رفعه ٱلله إليه ، أو من خلقه في السماء خلقاً ، ولهـٰذا قوله : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩] دليل يقيني أن القدير قادر علىٰ أن يفعل ويخلق ما يشاء ، أينما يشاء ، وكيفما يشاء ، سبحانه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ [النحل : ٤٩ ـ ٥٠] ، ولأنه قادر علىٰ جمعهم قال ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [النحل : ٤٩] .

ولأنه القدير علىٰ تحقيق كل شيء بمشيئته ، فهو يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء ذكوراً ، ويجعل من يشاء عقيماً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ ـ ٥٠] ، إذاً من يجعله ٱلله تعالىٰ عقيماً ، سيظل ما حيي عقيماً ، ولذٰلك فالذين يدَّعون بمعالجة العقم نقول لهم :

هل بحق أنتم قادرون علىٰ أن تجعلوا من جعله ٱلله عقيماً منجباً ؟

لعل البعض يقول نعم .

نقول : الذي جعله ٱلله عقيماً ، لم يجعل في خلقه البويضة القابلة للتخصيب من الحيوان المنوي ، بل جعل البويضة التي لن تقبل التخصيب ، وبالنسبة للذكر جعل الحيوان المنوي معدوم التفاعل مع البويضة ، وبالتالي وإن كانت البويضة قابلة للتخصيب ، فالحيوان المنوي غير قابل ، ولذا فالذي يجري هو ليس بمعالجة للعقم ، بل هو معالجة للذين دخلوا دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) للإنجاب ، مما يجعل العلماء في هـٰذه العلوم ، يبحثون ويسعون لمعرفة كل ما من شأنه أن يُنشِّط البويضة والحيوان المنوي للذكر ، ويسعون لخلق مناخ ظرفي يسمح بالتفاعل الموجب ، الذي يؤدي إلىٰ الإنجاب ، أمَّا العقم فأمره بيد الذي جعله علىٰ هـٰذه الحالة غير الإنجابية .

ولأن العقم وفقاً للمشيئة ، فمن شاء له القدير ـ عز وجل ـ أن ينجب بقدرة المشيئة الإلـٰهية فينجب ، كما هو حال امرأة إبراهيم عليه السلام مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٨ ـ ٣٠] ، وهـٰكذا كان حال زوجة زكريا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٣٨ ـ ٤٠] .

وعليه فالذين يؤمنون بالقدير ـ جل جلاله ـ لا يقنطون من رحمته الواسعة فهو علىٰ كل شيء قدير ، ولأنه القدير فمن جعله القدير عقيماً بالمطلق ، فعليه بأن يقبل وهو مؤمن بأنه ٱلله ـ عز وجل ـ فليتقِ ٱلله ربَّه ولا يظلم أحداً ، وأن يحمد ربَّه علىٰ ذٰلك الذي لو شاء لجعله شيئاً آخر ، أو جعله علىٰ حال آخر قد

لا يكون علىٰ أحسن حال ، فالحمد لله ربِّ العالمين علىٰ حُسن خلقه ، وتقديره لكل شيء تقديراً .

ولأن المؤمن لا يقنط من رحمة ٱلله الواسعة ، فلا يستعجل بإصدار الأحكام ، فما يقلقك اليوم قد لا يقلقك غداً ، وقد يسعدك كثيراً من بعد غدٍ ، ولذٰلك فلا تقنط ، ولا تستعجل ، وكن من الصابرين الذين يتعظون بالحكمة ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الممتحنة : ٧] .

وكما أن المؤمن لا يقنط ، ولا ييأس من رحمة ٱلله ، فعليه أن لا يستغرب فٱلله علىٰ كل شيء قدير ، ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ـ ١٥٧] ، ولأنه علىٰ كل شيء قدير فلماذا الاستغراب ؟

أي بما انه يسبِّح لله ما في السمٰوات والأرض ومن فيهما ، فلا استغراب ولذٰلك لا داعي لاستصدار الأحكام ، وفقاً لما تدركه عقولنا المحدودة التي لن تخرج عن دائرة الممكن ، ولذا فالذي جعلنا نسبح لله حمداً وشكراً ، هو القدير الذي جعل كل شيء يسبح بحمده ، سبحانه جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن : ١] .

وختاماً ليس لنا بدٌّ إلا أن نقول :

تبارك ٱلله القدير الذي بيده الملك وهو علىٰ كل شيء قدير : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١ ـ ١٤] .

اللهُمَّ ! إنك القدير ، فاجعلنا علىٰ القدرة التي بها نكون مستخلفين في الأرض ، ووارثين في الجنة ، اللهُمَّ ! إنك علىٰ كل شيء قدير ، فهب لنا مُلكاً وحكماً وعلماً وحكمة وسلطاناً نصيراً ، وارضَ عن والدينا وأزواجنا وبنينا وإخوتنا وأخواتنا وصحابتنا وصحابة رسول ٱلله وأمهاتنا زوجات النبي محمد ﷺ .

اللهُمَّ ! إنك القدير فاحفظنا بقدرتك من الآلام والضياع والأوجاع ، ومن شرور الحاسدين والحاقدين ، ومن النفس الشاردة عن الطمأنينة .

اللهُمَّ ! بقدرتك اجعلنا علىٰ القدرة التي تُمكِّننا من ملاحقة المستقبل الأفضل والأجود والأهم والأنفع والأفيد حتىٰ نبلغ الجنة ، ولا تجعلنا علىٰ الضعف الذي لا يقود إلا للنار ، اللهُمَّ ! بقدرتك احفظنا من النار والعار والشجار ، ولا تلحق بنا وأهلنا أضراراً إنك أنت الغفَّار ، نحمدك ونشكرك ونستغفرك ونتوب إليك ، لا إلـٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، بيدك الخير وإنك علىٰ كل شيء قدير .

✍ ✍ ✍

العـالِمُ

العالم الذي يدري بالأمر ؛ ظاهره ، وباطنه ، بالمطلق ، والعالم بالشيء هو الذي لا تُخفىٰ عنه خافية ، وما من شيء إلا ويعلمه ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

إذاً من الذي يعلم ما تُخفيه صدورنا وما تُبديه ؟

العالم بالمخفي والمُبْدَىٰ .

من هو العالم بالمخفي والمُبْدَىٰ ؟

ٱلله جل جلاله .

من الذي يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ؟

العالم بحالهما .

ومن هو العالم بحالهما ؟

ٱلله عز وجل .

إذاً العالم : اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، وهو العالم بكل أمر .

ولأنه العالم بالمطلق ، فلا يخفىٰ عليه شيء بالمطلق ، سواء أكان ذٰلك الشيء ، قولاً ، أم فعلاً ، أم عملاً ، أم سلوكاً ، أم نية مضمراً بها ، فالكل لا يخفىٰ عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

ولأنه العالم بكل شيء بالمطلق ، فهو العالم بما نفعل من خير ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة : ١٩٧] . جاء فعل الخير منكراً (خير) ليدل علىٰ الشمول والعموم وعدم التعيين ، وهٰذا دليل علم العالم بالمطلق (العلم الذي لا تحده حدود ولا تنتهي به النهايات) .

ولذا فالعالم بالمطلق : هو من يعلم بالشيء وحاله ، وما يترتب عليه والأسرار التي من ورائه ، إنه مصدر العلم الذي تستنير به العقول ، وتطمئن به القلوب التي في الصدور .

ولأنه العالم المطلق فلا تخفىٰ عليه خافية ، أمَّا العلماء في دائرة النسبية ؛ فهم في كثير من الأحيان لا يعلمون ، وأولـٰئك هم الذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ، ولذا فالعالم ـ جل جلاله ـ يؤتي العلم ولم يُؤت إليه علمٌ ، والمؤمنون هم الذين يعلمون أن ٱلله تعالىٰ يعلم السر والجهر ، قال تعالىٰ : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة : ٧٧] .

العالم : هو الذي يعلم بالشيء وما يترتب عليه ، وغير العالم لا يعلم عن ذٰلك شيئاً ، فالذين كتب عليهم القتال ، لا يرون في القتال إلا كرهاً لِما يسببه من كوارث في الحياة الدنيا ، ولـٰكن لو نظروا إلىٰ ما سيترتب عليه لمن يقاتل في سبيل ٱلله ، والدفاع عن الشرف والكرامة ، وعن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لعرفوا أن القتال علىٰ الحق خير كثير ، ولـٰكن الذين لا يعلمون بالمترتب علىٰ القتال في سبيل إحقاق الحق ، قد يتوقفون عند الكره الذي كان سببه القتال ، قال تعالىٰ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

إذاً كلما كان الإنسان عالماً في دائرة الممكن كان علىٰ بيِّنة ، وكلما كان غير عالم بما يجري ، كان في حاجة لمن يعلم ، ليستنير بعلمه ؛ في نهج العمل

وتحقيق السلام ، ولذا لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، قال تعالىٰ : ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر : ٩] .

وعلىٰ المستوىٰ البشري لو تساءلنا :

هل يمكن لنا أن نعرف المُفسد من المُصلح ، قبل أن تتاح أمامهم وأمامنا فرص للعمل ، التي تمكننا من إصدار الحكم بموضوعية ؟

بطبيعة الحال علىٰ المستوىٰ البشري لا يمكن .

إذاً هٰذه الإجابة مقصورة علىٰ البشر ، وذٰلك لأن ٱلله العالم ـ جل جلاله ـ يعلم بالإفساد والمفسدين قبل وقوع أفعال الفساد ، وهٰكذا يعلم بالمصلح وحاله قبل وقوع فعل الإصلاح ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

وعليه فالعالم الحق الذي يجب أن يوصف بالعالم ، هو من يعلم بالشيء قبل وقوعه ، سواء أكان ذٰلك الشيء فعل إصلاحياً ، أم كان فعلاً إفسادياً .

ومع أن الأشياء موجودة ومبررات ظهورها وتنوعها موجودة ، إلا أن العلم بها قبل وقوعها وقبل امتداد مؤشراتها مجهول بالنسبة للبشر ، ولٰكن الأمر للعالم تعالىٰ معلوم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١٦] . فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يعلم أمر السماء وأمر الأرض ، وأمر الحياة وأمر الموت ، وأمر البعث وأمر الحساب ، وأمر الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وهو بكل شيء عليم .

نفس الإنسان تركيبها معقد ؛ فهي تتلوَّن وتتعدد من حالة إلىٰ أخرىٰ وفقاً للموضوع والظرف النفسي والزماني والمكاني ، ولأن ما في النفس يعد سراً من الأسرار الخلقية ، إلا أن النفس وما تُخفِيهِ ٱلله يعلمه ، ولأنه العالم بأسرار الأنفس فهو لا شيء مخفيّ عنه ، ولهٰذا ينبغي علىٰ الإنسان أن يعلم ، بهٰذا

العلم (علم العالم بما تكنه الأنفس) فهو إذا علم بأن العالم يعلم حاله ، فلا داعي لأن يجهل أمر علم العالم بحاله (ما في نفسه) ليكون صادقاً ، وإلا سينكشف أمره ولهٰذا العالم ـ جل جلاله ـ يحذرنا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، ومع أن ٱلله يعلم ما في النفس ، فهو غفور رحيم لمن استغفره وتاب إليه واحداً أحداً ، لا شريك له ، إنه العالم ما في أنفسنا ، ومن لم يحذر ٱلله تعالىٰ سيجد نفسه من النادمين الذين هم علىٰ مستويين :

المستوىٰ الأول : غروري إلىٰ الحياة الآخرة : الذين غرتهم الحياة الدنيا بما فيها من مغريات وملذات ، في مقابل إشباع الشهوة دون اعتبار للنواهي والأوامر الربانية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩ ـ ١٣٠] .

بدون شك للظلم جنود ، وللعدل جنود ، ولهٰذا يولي كل بعض بعضه ، الظالم يتولىٰ الظالمين (المفسدين في الأرض) والعادل يتولىٰ المصلحين فيها ، ولهٰذا لا خير من ظالم يتولىٰ ظالمين (المفسدين) فالظالمون بما قدمت أيديهم يجازون في الدارين :

١ ـ في الدار الدنيا بأن يتولىٰ أمرهم ظالم فيزدادوا تعباً وعسراً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

٢ ـ في الدار الآخرة ، في جهنم خالدين ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨ ـ ١٦٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ

ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٦ ـ ٩١] .

المستوىٰ الثاني : استغفاري في الحياة الدنيا : إنهم المستغفرون قبل الممات أي عندما تكون الفرص متاحة لهم للاستغفار ، كما كانت لأبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء رضي ٱلله عنها ، قال تعالىٰ : ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٩ ـ ٢٣] .

قال تعالىٰ : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، علم العالم واسع يحيط ولا يحاط ، يعلم ما في الحياة الدنيا ، ويعلم ما في الحياة الآخرة ، والذين من دونه لا يعلمون بعلمه ، ولا يستطيعون استيعابه ، فله العلم المطلق وهم في دائرة النسبية ، ومهما أوتوا من علم فهم لم يؤتوا من علمه إلا قليلاً ، فالإنسان وفقاً لقدراته العقلية ، فقد ينبهر بالمعلومة وهـٰذا دليل علىٰ ضيق أفقه ، وهو كذٰلك يفاجأ لمحدودية ذاكرته وهو يتساءل لعدم معرفته ، وفي مقابل ذٰلك فهو الذي يؤمن إذا علم بموضوعية لا إكراه من ورائها ، فيلم عن وعي بالمعلومة فيصبح قادراً علىٰ التمييز والاختيار بإرادة وحرية ، ولهـٰذا فهو يؤمن حيث لا إكراه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ولأن ٱلله هو العالم ـ جل جلاله ـ فأنزل من علمه الكتاب هدىً ورحمة للعالمين ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، الذي يعلم تأويل الكتاب هو العالم به وهو ٱلله تعالىٰ ، أمَّا الراسخون في العلم هم المتيقِّنون بأن الكتاب هو مصدر الحق وإحقاقه ، ولهٰذا فهم يؤمنون به تسليماً مطلقاً ، ولأنهم أولو ألباب فلهم ضمائر وقلوب صافية وواعية بآيات ٱلله تعالىٰ ، فلا يخفون إيمانهم بل يظهرونه إيماناً بالعالم الذي وحده يعلم تأويل الكتاب الذي آمنوا به ، وعرفوه آيات ومعجزات عظاماً ، ليس لهم بدّ إلا التسليم به ، والأخذ بما جاء فيه مع الطاعة التامة لله ربِّ العالمين .

الناس كل الناس لا تعلم إلا النسبي من علم العالم المطلق ، ولهٰذا فما لم يُعلمهم العالم به لا يعلمونه ، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أبو الأنبياء ولهٰذا فهو السابق علىٰ اليهودية والنصرانية اللتين جاءتا من بعده ، ولأنهما من بعده فكيف يقول اليهود إن إبراهيم يهودي ويقول النصارىٰ إن إبراهيم نصراني إنه من الغرابة أن يقال علىٰ إبراهيم ما ليس فيه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٥ ـ ٦٨] .

« اجتمعت نصارىٰ نجران وأحبارُ يهود عند رسول ٱلله ﷺ فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًّا ، وقالت النصارىٰ : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا ! فأنزل ٱلله عز وجل قوله فيهم : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ

تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٥] ، قالت النصارىٰ : كان نصرانيًّا ! وقالت اليهود : كان يهوديًّا ! فأخبرهم ٱلله أنّ التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية » (١) .

إذاً لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولـٰكن كان حنيفاً مسلماً ولهـٰذا أولىٰ الناس بإبراهيم ، الذين اتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ، واتبعوا محمداً ﷺ ورسالته الخاتمة للناس كافة ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ولأن العالم تعالىٰ هو القادر ؛ فهو بقدرته وعلمه يعلم حال الكافة صادقيها وصدِّيقيها وصالحيها ، ويعلم حال كافريها ومشركيها ومنافقيها ، وهو العالم بكل حال وأمر وهو بكل شيء عليم ، فهو يعلم ما في النفس وما تكنه الصدور ، قال تعالىٰ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٦٣] .

ولذا فالعالم ما في الأنفس هو ٱلله ، والعالم ما في القلوب هو ٱلله ، ولهـٰذا فالعلم من صفاته والعالم اسم لصفة منها .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة : ٩٧ ـ ٩٩] .

الذي جعل الكعبة (البيت الحرام) هو العالم بالضرورة لجعلها قياماً للناس ، وهو العالم بالأسباب التي من أجلها جعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ضرورة للعباد ، ولأنه العالم بما تخفيه الأنفس قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ

---

(١) تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٤٩٠ .

ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أي هو تعالىٰ الذي لا تخفىٰ عليه خافية في السمـٰوات والأرض ، ولدقة علمه بالكل والأدق فهو بكل شيء عليم ، ولمن أراد أن يتقي ٱلله تعالىٰ فعليه باتقائه وإن لم يفعل فإن ٱلله عز وجل شديد العقاب ، وإن اتقىٰ ربَّه فإن ٱلله غفور رحيم ، كل هـٰذه المواعظ الحسنة جاءت علىٰ أيدي الرُّسُل الكرام ، مبشرين ومنذرين ومحرضين علىٰ أفعال الخيرات الحسان ، وعلىٰ هـٰذا النهج كان محمدٌ ﷺ نبياً للكافة والرسول الخاتم للرسالات .

العالم بالمطلق ـ جل جلاله ـ يود لمخلوقاته أن تعلم ، فأظهر لها الدلائل لتعلم من علمه الواسع ، فجعل لها الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّر كل شيء تقديراً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس : ٥] ، وبهـٰذه المعطيات تعلَّم المستخلف في الأرض علم الفلك والرياضيات بحسابها وإحصائها ، وتعرَّف علىٰ قوانين القوة والمقاومة والفعل ورد الفعل ، وقوانين التسيير التي أرسىٰ عليها الطبيعة المخلوقة ، وقوانين التخيير التي يتم اكتشافها بالبحث العلمي من باحث لباحث .

كل المعجزات التي أظهر العالم ـ عز وجل ـ عليها المتعلم من مخلوقاته ، هي ليعلم المخلوق أنه لا عالم بالمطلق إلا ٱلله تعالىٰ ، فالذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنَّ ، قادر علىٰ أن يخلق ما يشاء ولذا فهو علىٰ كل شيء قدير ، وهو المحيط الذي يحوط بكل شيء ولا شيء يحوطه سبحانه لا إلـٰه إلا هو جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق : ١٢] .

الحمد لله تعالىٰ الذي خلق السمـٰوات والأرض ، وأحاط بكل شيء علماً ليكون كل شيء تحت الهيمنة التي لا تجعل للخلل أن ينفذ ، والحمد لله الذي جعل الليل سكناً والنهار معاشاً ، وجعل المودة بين الناس رحمة وجعل رحمته واسعة لكل شيء ، واسعة لِما نسرُّه وواسعة لِما نجهر به وهو الرحمـٰن الرحيم

العالم بأمرنا وبكلِ أمر ، قال تعالىٰ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١ ـ ٣] .

ولأنه العالم فلا خافية تُخفىٰ عليه ، ومن يعتقد أنها تُخفىٰ فقد ضل ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال : ٧٠] .

ولأن أسرىٰ النبي ﷺ هم كفرة ومشركون فهم لا يعتقدون أنه العالم فيخفون عنه ما يخفون ، لذا جاء قوله تعالىٰ : ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

ولأنه العالم ـ جل جلاله ـ قال تعالىٰ : ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة : ٤١ ـ ٤٢] ، ولأنه العالم قال ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي : لو كنتم تعلمون بالخيرات الحسان من وراء الجهاد ، لنفرتم خفافاً وثقالاً ، وجاهدتم بأموالكم وأنفسكم في سبيل ٱلله (إحقاق الحق وإزهاق الباطل) ، ولهٰذا فالفرق كبير بين المؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، وبين الذين لم يسلموا وجوههم لله تعالىٰ ، فالذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين هم الذين لا يتأخرون عن الجهاد فلا يتثاقلون إلىٰ الأرض بل ينفرون علىٰ وجه السرعة والحكمة خفافاً وثقالاً مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل ٱلله ـ جل جلاله ـ ، ومع أن المؤمنين ليس لهم بدٌّ من الجهاد إلا أن البعض منهم يثاقلون إلىٰ الأرض وهٰؤلاء هم الخاسرون ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
[التوبة : ٣٨ ـ ٤٠] .

ولأنه العالم ـ جل جلاله ـ فهو يعلم بكل شيء وبحاله وبعلله وأسبابه قبل أن يعلم بذٰلك الشيء عالم ، فهو يعلم ما في الأرحام ؛ نوعه وجنسه وما سيكون عليه عِلَّة أو سلامة وشفاء ، ويعلم زمن بقائه العارض قبل أن يتعرض لِما يجعله باقياً في الزمن العارض (ميلاده قبل الزمن المعروف للحمل أو بعده) ويعلم بأسرار الوراثة وآثارها التي ستلاحقه بعد الميلاد ، ويعلم بكل كبيرة وصغيرة قد يتعرض لها الجنين في بطن أمه ، وأمه لا تعلم إلا بعد أن يلمَّ الداء به أو بها إن تعرض أو تعرضت لمرض استوجب العرض علىٰ الطبيب ليجري الكشف ، وهو علىٰ احتمالات قد يتعرَّف الطبيب وقد لا يتعرف علىٰ الأسباب ، وإن تعرَّف عليها قد لا يتعرَّف علىٰ المعالجات الشافيات لسلامة الجنين واستقراره في رحم أمه ، ولأنه يعلم بحاله وحال أمه التي تحمله وهناً علىٰ وهن ، قد يجعل الأسباب لخروجه قبل نضج حمله حفاظاً علىٰ سلامة أمه ، وقد يخرجه قبل اكتمال زمن حمله لأجل سلامته وأمه ، وقد يخرجه قبل موعده المناسب لأجل سلامته من مرض أمه ، وهٰكذا إنه العالم بأمر الجنين في بطن أمه من غير أخذ أشعة أو إجراء كشف ، ويعلم بحاله طوال حمله دون أن يفارقه برهة من الزمن سبحانه إنه العالم الحفيظ ـ جل جلاله ـ ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾
[الرعد : ٨ ـ ١٣] .

ولذا في غير مقارنة لا علاقة بين علم العالم وعلم البشر ، فالعالم ـ عز وجل ـ واجد الأشياء (خالقها) يعلمها خلقاً بالمطلق ، فتبارك ٱلله أحسن الخالقين ، أمَّا البشر فيعلمون بالأشياء في دائرة النسبية معرفة محدودة ، ولذٰلك فالعالم ـ جل جلاله ـ يعلم بمن ستحمل قبل أن تحمل جنينها والحامل لا تعلم به إلا بعد ظهور أعراضه ، وهٰكذا الطبيب لن يعلم إلا بعد أن يُظهر العالم الأعظم أعراض ما تحمله الحامل ، ولذٰلك قال : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ ، وهٰكذا في كل حال وعلىٰ كل حال هو العالم ـ جل جلاله ـ ، ولذا لا تُضرب الأمثال لله تعالىٰ ولا يوضع في مقارنة سبحانه لا إلٰه إلا هو واحداً أحداً ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٤] ، أي كيف لنا بمقارنة من يعلم بمن لا يعلم .

قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] .

القول موجَّه إلىٰ رسول ٱلله ﷺ وكأنه يقول له : ألم تعلم يا محمد أنني أعلم ما في السمٰوات والأرض ؟

بطبيعة الحال محمد ﷺ يعلم بأنه تعالىٰ يعلم ما في السمٰوات والأرض وهو علىٰ كل شيء قدير ، ولهٰذا فحمد نبي ورسول علىٰ نفسٍ مطمئنة ، وٱلله مؤيده وناصره ونصيره ومعزه وعزيزه ، ولذٰلك كل شيء في الكتاب منزَّل تنزيلاً من العالم بالسر (الذي يعلم سر السمٰوات والأرض) ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٦] .

ولأنه العالم الذي يعلم بكل شيء في السمٰوات والأرض ، فهو يعلم بما حدث وبما لن يحدث بعد ، إنه العالم بالغيب ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل : ٦٥] ، وفي هٰذا الأمر نقول :

ما لن يحدث (الغيب) علىٰ أمور منها :

الأمر الأول سابق : من حيث إنه خالق الشيء من لا شيء ، فهو خلق السمٰوات من لا شيء ، وكذٰلك الأرضين خلقها من لا شيء .

الأمر الثاني لاحق : خالق من الشيء أشياء ، خلق الأرض وخلق منها آدم وجعل من بعده نسباً وصهراً ، وهٰكذا خلق الأنواع خلقاً .

الأمر الثالث دائم : فهو الخلّاق العليم ولأنه الخلّاق فهو دائماً قادر علىٰ خلق الشيء من لا شيء ، وكذٰلك فهو دائماً قادرٌ علىٰ أن يخلق من الشيء أشياء سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه العالم بأمر الغيب ؛ فهو يعلم بما ستُصنع من قضايا وإشكاليات ومكائد ومكر ، ولهٰذا مهما كاد الكائدون من مكائد فإن ٱلله العالم بما يفعلون ويعملون لقادر علىٰ كيد الكائدين حتىٰ يبطله ، ولهٰذا كيدهم إفساد ، وكيده إصلاح ، كيدهم شر ، وكيده خير ، وكذٰلك مكرهم إفساد ، ومكره إصلاح ، فهو الذي يمكر بمكر الماكرين فيبطله سبحانه ، إنه خير الماكرين ، ولذٰلك فالعالم يعلم بما يُفسدون وبما يصنعون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

ولأنه العالم ؛ فهو يعلم ما السمٰوات وما في الأرض ، ويعلم ما ينزل وما يهبط من السماء ويعلم ما يصعد إليها من الأرض ، فيعلم ما في آفاقها وما في بواطنها من معجزات وخيرات كثيرة لا تُحصىٰ ولا تُعد ، سبحانه لا إلٰه إلا هو عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ١ ـ ٢] .

ولأنه العالم ؛ فهو يعلم كما سبق أن بيَّنا كل شيء ومنه :

١ ـ ما في الأنفس ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى

ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

٢ ـ ما تكنه الصدور في القلوب ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٦٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص : ٦٩] .

٣ ـ ما في السمٰوات ، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

٤ ـ ما في الأرض ، ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

٥ ـ ما بين السمٰوات والأرض ، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

٦ ـ ما ينزل من السماء ويهبط وما يعرج فيها ، ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢] .

٧ ـ ما يصعد من الأرض إلىٰ السماء ، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢] .

٨ ـ يعلم النجوىٰ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ

تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة : ٧ ـ ١٠] .

٩ ـ يعلم السر والعلنية ، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن : ٤] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة : ٩٩] .

١٠ ـ خائنة الأعين ، ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر : ١٩] .

١١ ـ يعلم المتقلب ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد : ١٩] .

١٢ ـ يعلم الأعمال ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد : ٣٠] .

١٣ ـ يعلم الغيب ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات : ١٨] .

١٤ ـ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ [سبأ : ٢] .

١٥ ـ يعلم بكل خلق من خلقه وهو بكل شي عليم ، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

١٦ ـ يعلم قيام الليل وتسبيح الليل والنهار ، ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزمل : ٢٠] .

١٧ ـ لا يعلم جنوده تعالىٰ إلا هو جل جلاله ، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ [المدثر : ٣١] .

١٨ ـ يعلم المفسد من المصلح ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

١٩ ـ يعلم ما بين أيدي الناس وما خلفهم ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

٢٠ ـ التأويل ، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران : ٧] .

٢١ ـ ما يُكسب ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ٣] .

٢٢ ـ يعلم الكاذبين ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة : ٤٢] .

٢٣ ـ يعلم ما تحمل كل أنثىٰ وما تغيض الأرحام وما تزداد ، ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨] .

٢٤ ـ يعلم المعوقين والقائلين من الناس ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب : ١٨ ـ ١٩] .

٢٥ ـ يعلم المفعولات ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل : ٩١] .

٢٦ ـ يعلم القول في السماء والأرض ، ﴿يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء : ٤] .

٢٧ ـ يعلم المتسللين من الناس إلىٰ الناس ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣ ـ ٦٤] .

٢٨ ـ يعلم ما يدعىٰ من دونه ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت : ٤٢] .

٢٩ ـ يعلم المصنوع ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

٣٠ ـ يعلم ما لا نعلم ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور : ١٩] .

وعليه نقول :

لو لم يكن ٱلله هو العالم بكل شيء لفسد كل شيء ، والحمد لله أننا نعلم أنه يعلم فآمنا ، والحمد لله أن علمه واسع ، فهيمن به علىٰ كل شيء دون أن يفلت شيء ، والحمد لله أنه العالم بالمطلق ؛ فلا أحد يعلو علىٰ خلقه ، والحمد لله أنه الخالق وحده ، فلا أحد يدعي والحمد لله أنه يعلم أننا نعلم ، والحمد لله أننا من المؤمنين الذين يعلمون الحق كتاباً منزلاً ، فاتبعوه ويعلمون أنه يعلم ما تكنُّه الصدور وتخفيه القلوب ، فصدَّقوا وصدقوا ، وبالحكمة اتعظوا ، والحمد لله أننا نعلم انه لا فرق بين أحدٍ من رُسُله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، والحمد لله أننا عليهم نصلي ونسلم ، كما نصلي ونسلم علىٰ محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

العــلاَّم

العلاَّم : مصدر العلم ومؤتيه ، ومُظهر آياتِهِ ، ومُيسِّر سُبل بلوغه ، وهو الذي يعلم بكل أمرٍ سبباً وعِلةً ، وهو الذي يعلم ولم يُظهر من علمه إلا قليلاً .

العلاَّم : من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، الذي لا مخلوق يَبلغ علمه المطلق ، ولأنه العلاَّم ؛ فهو الذي يعلم ما لم يعلمه أحدٌ .

العلاَّم : هو الذي يعلم الأمر وما يتعلق به ؛ من علل ومعطيات سابقة ولاحقة وفقاً للآتي :

١ ـ يعلم بالشيء قبل أن يكون شيئاً ، وهي مرحلة ما قبل الزمن باعتباره شيئاً من الأشياء المخلوقة .

٢ ـ يعلم بحال الشيء بعد أن أصبح شيئاً داخل الزمن ، ولم يعلم ذٰلك الشيء بحاله ، ولا بما سيترتب عليه أو يحدث له كما يعلمه العلاَّم للغيوب .

٣ ـ يعلم ما يجري علىٰ أيدي المخلوق ، الذي في كثير من الأحيان ينسىٰ ما جرىٰ علىٰ يديه من أعمال حسنة أو غير حسنة .

٤ ـ يعلم بكل ما سيجري ، أو يحدث ، قبل حدوثه في الزمن المستقبل في الحياة الدنيا .

٥ ـ يعلم بكل حال وبما سيجري علىٰ المخلوقات والمخلوقين في الحياة الآخرة ، التي هي خارج دائرة النسبية والممكن المتوقع وغير المتوقع .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة : ١٠٩] .

اليوم المشار إليه في هـٰذه الآية الكريمة ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ هو يوم القيامة ، يوم لا يكون العلم إلا لعلاَّم الغيوب ، وقوله فيه تساؤل بمعنىٰ :

ماذا أجبتم ؟

قالوا :

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ .

وكأن سؤالاً محذوفاً مفاده لماذا لا علم لكم ؟

قالوا : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

وعليه فمن خلال الإجابة أن السؤال متعلق بعلم الغيب ، ولأنهم رُسُل كرام يعلمون أن علم الغيب لا علم لهم به ، ولأنه من اختصاصه تعالىٰ فأجابوا علىٰ الإطلاق ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

ولأن موضوع التساؤل غير محدد في الآية الكريمة السابقة ، فلا اجتهاد في تحديده وذٰلك لأنه علم غيب (خارج دائرة الممكن) .

وقول الرُّسُل لله تعالىٰ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ دليل إيمانهم بأنه العلاَّم للغيوب التي لا يعلمونها ولن يعلموها ، حيث لم يُظهرهم العلاَّم عليها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ علىٰ لسان الرُّسُل يُعد تحديداً دقيقاً لصفة من صفاته الحسنىٰ وهو العلاَّم للغيوب ، ولذا لو سألك أحدٌ :

من هو العلاَّم للغيوب ، فبماذا ستجيب ؟

لا إجابة إلا قولك إنَّه ٱلله تعالىٰ .

ولهـٰذا قلنا ونحن واثقون من السند القرآني بأن العلاَّم للغيوب هو ٱلله ـ عز وجل ـ وهو اسم صفة من أسمائه الحسنىٰ التي تتعدد وهو واحد أحد لا يتعدد سبحانه لا إلـه إلا هو ـ جل جلاله ـ علاَّم الغيوب .

ولأن الرُّسُل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ يؤمنون به علاَّماً

للغيوب قالوا : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ وهٰكذا كان قول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا سُئل :

﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ١١٦] ؟

فأجاب : ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

يُفهم من الآية الكريمة دلالة المعنى ، في قول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يعني مما يعني ؛ أنت ٱلله علَّام الغيوب ، حيث لا غيوب عنك ، بل الغيوب عن المخلوقات التي منها العاقل الذي لا يعلم إلا معلوماً ، ولذٰلك فأنت ٱلله يعلم المعلوم الذي نعلمه ، ويعلم ما لا نعلم . فكيف لي أن أقول معلوماً وأنت لا تعلمه ، وأنت الأعظم الذي يعلم الغيب الذي هو مستحيلٌ علىٰ بني الإنسان ، ولقوة إيمان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

وعليه فما يقوله الكافرون والمنافقون ، في علم ٱلله تعالىٰ لعدم إيمانهم بأنه العلَّام للغيوب ، ولهٰذا فهم يكفرون وينافقون ظناً منهم أن أمرهم ليس بمكشوف لدىٰ علَّام الغيوب ، فهم وأمرهم (سرهم ونجواهم) مكشوفون أمام ٱلله العلَّام للغيوب ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة : ٧٣ ـ ٧٨] .

كل الآيات الكريمة السابقة ـ سأل سائل أم لم يسأل ـ فهي الدالة صراحة علىٰ أن أمر الغيب لا يعلمه إلا العلاَّم ، وأن العلاَّم للغيب هو ٱلله تعالىٰ ولهـٰذا فاسمه العلاَّم اسم صفة من صفاته الحسنىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [سبأ : ٤٨] .

الخطاب موجه لسيدنا محمد ﷺ ليقول للكافرين والمشركين الذين هم علىٰ الباطل ، إنَّ الباطل زائل والحق باقٍ ، ولهـٰذا الحق يقذف الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

اللهُمَّ ! علاَّم الغيوب ! إنك تعلم ما لا نعلم ، فاجعل لنا في علم غيبك خيراً كثيراً ، ورزقاً حلالاً ، وعلماً نافعاً ، وصحة وشفاء ، ونعمة وسِعة ، وسلامة نفس وبدن ، وطهارة الروح التي لا يعلم أمرها أحدٌ إلا أنت ، سبحانك علاَّم الغيوب .

اللهُمَّ ! علاَّم الغيوب ! إنك تعلم بالشيء قبل أن يكون شيئاً ، فاجعل كل شيء من أشيائنا رحمة ، وإنك تعلم بالأحوال قبل أن تكون أحوالاً ، فلا تجعل في أحوالنا مكروهاً ، ولا مفسدة ولا كدر ، واجعلها علىٰ أحسن ما تشاء .

اللهُمَّ ! علاَّم الغيوب ! إنك تعلم ما يجري وما سيجري ، فاجعل ما يجري به القدر زيادة قدر ورفعة ، ولا تجعله تقليل مكانة وشأن .

✍ ✍ ✍

المـؤتي

المؤتي : هو مالك الملك الذي منه يؤتىٰ ، وهو الكريم الذي يؤتي ولا ينتظر مقابلاً لِما يؤتي ، وهو الرزاق الذي يرزق من يشاء بغير حساب ، فإن آتاك ٱلله عافية وشفاء ، فلا راد لإيتائه ، وإن آتاك مُلكاً فلا راد لما آتاك من مُلك ، وإن آتاك رزقاً فلا راد لِما رزقك به ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

ولذا فالمؤتي من أسمائه الحسنىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

بدون شك أن المؤتي للملك هو ٱلله تعالىٰ ، ومن الآية الكريمة السابقة لو سألك سائل :

ما هو اسم صفة الفعل الذي تحتويه هـٰذه الآية الكريمة ؟

لا إجابة لك سوىٰ القول إنه المؤتي ـ جل جلاله ـ ، وإن يراها البعض مؤتي مجردة من الألف واللام ، نقول له : إن أسماء ٱلله الحسنىٰ لا تُجرد ولا تُعرَّف ، بل الألف واللام من أصل الأسماء الحسنىٰ .

ولهـٰذا قلنا : إن المؤتي المطلق هو ٱلله عز وجل .

ولأن المؤتي هو ٱلله تعالىٰ ؛ إذاً المؤتي اسم من أسمائه الحسنىٰ .

ولأن مالك الملك هو ٱلله ، فهو المؤتي للملك لمن يشاء ، كما شاء إيتاءه لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

ولأن المؤتي يؤتي الملك من يشاء ، إذاً فهو يؤتي ما يشاء لمن يشاء متىٰ ما شاء ، قال تعالىٰ : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وكما جاء في السؤال السابق عن اسم صفة الفعل في الآية الأولىٰ نقول :

لقد بدأت هٰذه الآية الكريمة بفعل ، نستمد منه اسم فعل (المؤتي للحكمة) ، ولأن البحث هو في أسماء ٱلله تعالىٰ الحسنىٰ ؛ التي هي أسماء صفات وأسماء أفعال ، وكما سبق تبيانه في موسوعتنا : (موسوعة أسماء ٱلله الحسنىٰ وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض) التي بيَّنَّا فيها أن أسماء ٱلله معرَّفة بذاتها ، ولهٰذا فهي لا تُعرَّف ولا تُجرَّد ، بل كل ألف ولام هي من أصل الاسم بالنسبة لأسماء الصفات والأفعال الإلٰهية ، وهي ليست للتعريف ، فأسماء ٱلله تعالىٰ لا تُنكَّر . فأستغفر ٱلله أن يكون اسم من أسمائه منكراً ، حتىٰ يأتي من يأتي ليعرفه أو يُعرف به . ولذٰلك نلاحظ أن المؤتي واحد ، وهو معرفة (المؤتي ٱلله تعالىٰ) وفي هٰذا المعنىٰ جاءت الآية دالة علىٰ أن المؤتي للحكمة هو ٱلله ، ومن يؤتيه ٱلله الحكمة فقد آتاه المؤتي خيراً كثيراً ، فنحن نقول (المؤتي) دليلاً علىٰ أن الألف واللام من أصل الاسم ، ولا نقول : (مؤتي) فيكون منكراً ، ونحن نعلم أن ٱلله وأسماءه الحسنىٰ لا تُنكر بل هي معرفة علىٰ المطلق .

وعليه نتساءل :

ألا تكون الحكمة معرَّفة ؟

ألا يكون المعرَّف دالاً علىٰ محدد بذاته ، أو بخاصيته ، أو جنسه ، ولا تعميم فيه ؟

ألا يكون المعرَّف متخلصاً من اللبس والغموض ؟

لو كان الأمر كما سبق تبيانه في هٰذه التساؤلات ، لكانت الحكمة واضحة وجلية ، ونحن نقول :

الحكمة لا وضوح فيها ، بل هي في حاجة للتوضيح ، فأي حكمة هي ؟

الحكمة تتعدد وليست واحدة ، وإن كان مفهومها دالاً في ظاهره علىٰ معرَّف ، فمن الحكمة أن يتدبر الإنسان أمره وما يتعلق به ، ولذا فإن التدبُّر من الحكمة ، والتفكُّر من الحكمة ، والصدق من الحكمة ، والاستغفار من الحكمة ، وحسن التصرف من الحكمة ، والتزاوج من الحكمة ، والطلاق من الحكمة ، والتعاون من الحكمة ، والعدل من الحكمة ، والإيمان من الحكمة ، والاعتماد علىٰ ٱلله والنفس من الحكمة ، وكذٰلك الأخذ بالحكمة من الحكمة . ولهٰذا تساءلنا :

ما هي الحكمة ؟

هل هي الأخذ بالرأي أم عدم الأخذ به ، أم شيء آخر غير الأخذ وعدم الأخذ ؟

من الحكمة لا يمكن لنا أن نقول :

١ ـ الأخذ بالرأي هو الحكمة ، فمن يضمن أن الرأي كان علىٰ صواب ؟

٢ ـ وإن قلنا عدم الأخذ بالرأي هو الحكمة ، ألا يكون من الأفضل لنا بل ومن الحكمة ، أن نتعرَّف علىٰ مبررات من يقول لنا : لا تأخذوا بما سمعتم من رأي حتىٰ نتبيَّن لكي نتمكن من اتخاذ قرار واعٍ وسليم ومفيد .

٣ ـ وقد يكون من الحكمة البحث عن مخرج ثالث لا يتعلق بالأخذ وعدم الأخذ .

ولذا فلو كانت الحكمة عدم التعميم ، لكانت علىٰ تخصيص واحد ، ولهٰذا نحن نعتقد أن الحكمة منكَّرة المعنىٰ ، وليست معرَّفة بدلالة وخاصية معينة ، ولذٰلك فهي أحياناً تكون تحت مظلة الامتناع ، وتارة تحت مظلة الموافقة ، وأخرىٰ تحت مظلة أخرىٰ .

ٱلله الذي بيده الأمر ، يؤتي ما يشاء لمن يشاء كيفما يشاء ، ومن آتاه ٱلله

رزقاً فليتصدَّق ويزكِّ وينفق كل حسب استطاعته وما يملك من رزقٍ ، ولأن الرزاق ٱلله ، فهو المؤتي للرزق لمن يشاء ، وهنا وجب الإنفاق من الرزق الذي هو مؤتىً من الرزاق المطلق تعالىٰ ، ولذا فالمؤتي ، هو ٱلله تعالىٰ ، والمُنفق هو المؤتىٰ من عند ٱلله ، فليتق الإنسان ربَّه ولينفق مما آتاه من رزقه ، قال تعالىٰ : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق : ٧] .

بدون شك أن المؤتي هو ٱلله ، ولهٰذا فالمؤتي اسم من أسمائه الحسنىٰ لا ينبغي إهماله أو إغفاله بحثاً وكتابة وتدبراً وتعليلاً .

اللهُمَّ ! إنك المؤتي فآتنا رزقاً حلالاً ، ومُلكاً وحكمة ، وعلماً ورحمة ، وكل الخيرات التي أنت مولاها ومالكها ومؤتيها ، فآتنا منها متىٰ ما تشاء كيفما تشاء ، بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قدير .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

إيتاء الأجر مرتين دليل علىٰ مضاعفة الأجر الحسن من الاسم الحسن وهو المؤتي جل جلاله .

ولأن ٱلله هو المؤتي فهو الذي آتى الأنبياء والرسل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ ما آتاهم من أنباء ، ورسالات ، ولهٰذا نحن لا نفرق بين أحد من رسله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

تثُبت هٰذه الآية الكريمة أن المؤتي لإبراهيم ، هو المؤتي ليعقوب ، والمؤتي للأسباط ، والمؤتي لعيسىٰ ، وكل الأنبياء ، ولهٰذا لا وجود لمعطيات أو مبررات التفريق بين رُسُله عليهم السلام ، ولذا وإن تعدد الرُّسُل فالمؤتي

واحد سبحانه لا إلـه إلا هو ، صفاته تتعدد وأفعاله تتعدد ، وهو الواحد الذي لا يتعدد .

وفي مقابل أنَّ المؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله تعالىٰ ، لا يفرقون بين أحد من رُسُله طاعة واتباعاً ، فكذٰلك الكافرون لا يفرقون بين أحدٍ من رُسله كفراً وعصياناً ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ [القصص : ٤٨] .

مما تقدم يُفهم أن هناك ثلاثة أوجه :

الأول : الإيمان بالرُّسُل ولا تفريق بينهم (المسلمون الذين آمنوا برسول الكافة والرسالة الخاتمة) .

الثاني : الإيمان ببعض الرسل والتفريق بينهم (اليهود والنصارىٰ) .

الثالث : الكفر بالرُّسُل ولا تفريق بينهم (الكافرون) .

ولأنه لا إيتاء إلا من المؤتي تعالىٰ ، فالله تعالىٰ قال : ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ولهٰذا فقد آتىٰ قارون مطلبه في الحياة الدنيا ، قال تعالىٰ : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٩ ـ ٨٢] .

ولذٰلك فمن يؤتىٰ مطلبه في الدنيا ، ليس له في الآخرة من نصيب ، ومن يريد نصيبه في الآخرة ، فله فيها النصيب الأوفىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ مَن

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى : ٢٠] .

إذاً المؤتي في الدارين هو مالك أمر الدارين ، إنه ٱلله مؤتي الرزق والمُلك والحكمة لمن يشاء ، ولكل حسابه ثواباً أم عقاباً (جنة أم نار) ، قال تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة : ١٩ ـ ٣٤] .

وعليه فالإيتاء عطاء بلا مِنَّة ، ودون انتظار مقابل ، والإيتاء لا يكون إلا في الخيرات التي منها :

١ ـ **المُلك** : قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

٢ ـ **الحكمة** : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٣ ـ **الرزق** : قال تعالىٰ : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٧] .

٤ ـ **الكتاب** : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

٥ ـ **نصيباً من الكتاب** : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران : ٢٣] .

٦ ـ **الفضل** : قال تعالىٰ : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٧٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

٧ ـ **النصر** : قال تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام : ٣٤] .

٨ ـ **الإنذار** : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٤٦] .

٩ ـ **السلطان** : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر : ٣٥] .

١٠ ـ **فصل الخطاب** : ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٠] .

١١ ـ **الصحف** : قال تعالىٰ : ﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴾ [المدثر : ٥٢] .

١٢ ـ **المال** : قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل : ١٨] .

١٣ ـ **النبوة** : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

١٤ ـ **المغفرة والجنة** : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

١٥ ـ **الأجر** : قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

١٦ ـ الإتيان بلا حدود مما يشاء كيفما يشاء لمن يشاء ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ١٥ ـ ٢٢] .

مما تقدم يتضح أن المؤتي ـ عز وجل ـ يؤتي كل شيء من فضله لمن يشاء ، ولا يأخذ شيء في مقابل ما يؤتيه ، ولأنه مالك الملك ، وهو الملك المتعال فهو المؤتي وملكه لا ينقص ، بل هو في ازدياد بخلقه لما يؤتي ولمن يؤتىٰ خلقاً .

وعليه فإن إيتاء المؤتي باقٍ في الدارين من حيث كونه :

١ ـ نعمة في الدار الدنيا .

٢ ـ نعيماً في الدار الآخرة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧١] .

المؤتي ـ عز وجل ـ يؤتي من ملكه وحكمته وفضله ورزقه ، لكي يؤتي المؤتىٰ إلىٰ من هم في حاجة مما آتاه ٱلله من خيرات حسان ، ولذٰلك إذا حكم عدل ، وإذا امتلك الحكمة أرشد ونصح ، وبشَّر بالحق وحرَّض عليه ، وإذا أوتي مالاً فعليه بالزكاة والصدقات ، ولا يكون من الباخلين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وعليه لو سألك سائل :

من الذي يؤتي الحكم ، والملك ، والحكمة ، والرزق ، والعلم ،

والحياة ، والممات ، وكل شيء فيهما ومن بعدهما (البعث) ؟

ليس لك بدّ إلا أن تجيب بأنه ٱلله ، أو المؤتي جل جلاله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، ولهٰذا فإن قلت هو ٱلله كانت الإجابة الشافية والكافية ، وإن أجبت بأنه المؤتي ، فأنت علىٰ الإيمان بأن لله الأسماء الحسنىٰ .

ومع أن المؤتي للحكم والملك والرزق والحكمة والنبوة ٱلله تعالىٰ ، إلا أن بعض الناس يحسدون البعض الذين آتاهم ٱلله من فضله وقد يكيدون لهم كيداً ويمكرون بهم مكراً ، قال تعالىٰ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٥٤] .

ومع أن المؤتي بالمطلق هو ٱلله تعالىٰ ، إلا أن مترتبات من الأفعال تترتب علىٰ الإيتاء منها :

١ ـ **المترتب الموجب** : من طاعة ، وهداية ، وعدل ، وزكاة ، وصدقة ، وإحقاق حق ، وإزهاق باطل .

٢ ـ **المترتب السالب** : من حسد ، وكيد ، ومكر ، وفساد في الأرض ، وسفك دماء ، فيها بغير حق ، وكذٰلك من المترتب السالب تكذيب الرُّسُل ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ

أُذُنٌۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٍ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة : ٥٨ ـ ٦١] .

المؤتي المطلق ـ جل جلاله ـ يؤتي من يشاء مما يشاء ، وهو يريد من المؤتىٰ أن يؤتي مما آتاه تعالىٰ شيئاً ، لمن هو في حاجة للزكاة ، والصدقة ، والعون ، فيؤتي المال علىٰ حبه لمن وجب الإيتاء لهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

اللهُمَّ ! أيُّها المؤتي ! آتنا الحكمة ، والملك ، والعلم ، والرزق ، والقوة ، والقدرة ، والعزم ، والسلطان ، والهيبة ، والرحمة ، والكرم ، فأنت الكريم ـ جل جلالك ـ وإنك علىٰ كل شيء قدير .

اللهُمَّ ! إنك المؤتي للرزق ، فآتنا رزقاً حلالاً ، والمؤتي للبنين ، فاجعل أبناءنا مصلحين في الأرض ، لا مفسدين فيها ، ولا سافكي دماء بغير حق .

اللهُمَّ ! إنك المؤتي للنعم ، فاجعلنا من الذين يؤتون الزكاة علىٰ نعمك ، واجعلنا من الحامدين .

المــولىٰ

المولىٰ : هو الذي يعود الأمر والنهي إليه ، وهو من يتولىٰ العباد بالرعاية ، والعناية ، والسلام ، والأمن ، والرزق ، والهيمنة ، والحفظ .

المولىٰ : هو من يتولىٰ الأمر دون طلب ، ولذا فهو يرزق ، وينعم ، ويؤتي الملك لمن يشاء ، وينزعه ممن يشاء من عباده .

والمولىٰ : هو مولىٰ المخلوقات جميعها الذي لا يُفرِّطُ في شيء مما خلق ، فهو مولىٰ الإنسان ، كما هو مولىٰ الكائنات ؛ دقيقها وعظيمها ، قال
تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ
ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ
أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ
بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ
هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ
أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الملك : ١٥ ـ ٢٤] .

إذاً المولىٰ : هو من يعود أمر الولاية إليه بالمطلق ، فهو مولىٰ العبد ومولاه إن كان له مولىً من العباد .

المولىٰ : اسم ذات الجلالة ، ومولىٰ صفة لذات الجلالة ، ولذا فالمولىٰ مصدر الوجود للأمر والمأمور ، والفعل والمفعول ، والظاهر والباطن .

ولهٰذا ؛ فالمولىٰ هو العالم بالأسباب وعللها ووجوبية ظروفها ، وهو يغير ولا يتغير ، ويرىٰ ولا يُرىٰ ، ويحيط ولا يحاط .

وصفة المولىٰ ـ جل جلاله ـ تحتوي كل الصفات الحسنىٰ وتكمن فيها ، وإلا هل يمكن أن يكون المولىٰ إن لم يكن قوياً ؟

وهل يمكن أن يكون المولىٰ إن لم يكن عزيزاً ؟

وهل يكون المولىٰ إن لم يكن قادراً ؟

وهل يكون المولىٰ إن لم يكن كريماً ؟

وهل يكون المولىٰ إن لم يكن سلاماً ؟

وهل يكون المولىٰ إن لم يكن رحيماً ؟

وهل يكون المولىٰ إن لم يكن عليماً ؟

وهٰكذا كل الأسئلة السابقة تحمل أجوبتها فيها من مجموع الصفات الحسنىٰ ، التي يحتويها اسم الجلالة المولىٰ ـ عز وجل ـ ، أي بما أنه المولىٰ فهو الرحمـٰن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وكل أسماء الصفات الحسنىٰ ، وأفعالها التي نعرفها ونعلمها ، والتي لا نعرفها بعد ولا نعلمها .

وعليه لا مولىً بالمطلق إلا المولىٰ المطلق جل جلاله ، ومن يتخذ من دونه مولىً ، فهو كمن يتخذ من دونه رباً أو أرباباً ، ولذا فمن يتم اتخاذه مولىً أو رباً فهو في حاجة إلىٰ المولىٰ الذي خلقه ، وأوجده ، ويرزقه ، وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا مرَّ بِكُربَةٍ ، أو مجموعة كُرب لا مفرج لكربه إلا المولىٰ عز وجل .

المولىٰ هو من يتولىٰ العباد بالرعاية في أي وقت هم يتوقعونه ، وفي أي وقت هم لا يتوقعونه ، فعندما تشتد الظروف علىٰ الناس ، فمنهم من يفقد الأمل وقد ييأس إلا المؤمنين حقاً ، فهم لا يقنطون من الرحمة ، وذٰلك

لعلمهم أن لهم مولىً قريباً سميعاً عليماً ومجيباً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٣٩ ـ ٤٠] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ تفيد شيئين رئيسين :

١ ـ تفيد التنبيه كي لا ييأس المؤمنون من رحمة ٱلله الذي يعلم بحالهم وما هم فيه ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ـ ٥٤] . وكلما تيقَّنَ المؤمنون أن ٱلله هو المولىٰ لهم ، يعرفون يقيناً أنه نعم المولىٰ ونعم النصير ، ولهٰذا ستكون النتيجة تحقيق النصر والفوز ، بالقوة والقدرة التي شاءها المولىٰ أن تكون مناصرة للمؤمنين .

٢ ـ تفيد الطمأنة : فالذين يعلمون أن ٱلله مولاهم ، يثقون في أنفسهم وفي مولاهم الذي لن يخذلهم أبداً ، ولذٰلك فقوله تعالىٰ : ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ تفيد الاطمئنان الذي يحفِّز علىٰ تحقيق النصر ، قال تعالىٰ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٠ ـ ١٦٤] .

وعليه ؛ لن تكون للمؤمنين مشكلة ، أو أزمة بما أنَّ نفوسهم مطمئنة ، بل المشكلة والتأزم يكون ؛ للذين كفروا حيث لا مولىً لهم بظلمهم ، وكفرهم ،

وفسقهم ، وطغيانهم ، وشركهم ، ومفاسدهم في الأرض ، وسفك الدماء فيها بغير حق .

ولهٰذا ؛ فالمولىٰ هو النصير لمن اتخذه مولىً إيماناً وعقيدة ، أمَّا أولـٰئك الضالون في الحياة لا راعي لهم ، وإن استمروا دهوراً في ضلالهم ، وغيهم ، وطغيانهم ، وإفسادهم في الأرض ، فهم الأخسرون في الدارين ، ولذٰلك من ينصر ٱلله إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، فإن ٱلله هو ناصره وهو نصيره ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

إذاً من يتخذ ٱلله مولىً له فهو يعلم أنَّه نعم المولىٰ ونعم النصير ، ومن لم يتخذ ٱلله مولىً له سيندم يوم لا ينفعه الندم ، فالذي اتخذ المولىٰ مولىً له اطمأن به خيراً ونصراً ، والذي اتخذ من دونه مولىً ، لبئس المولىٰ الذي اتخذه فهو لن ينفعه شيئاً ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [الحج : ١١ ـ ١٣] .

تؤكد هـٰذه الآيات الكريمات علىٰ أن المؤمن الحق ، هو من يتخذ مولاه ولياً باقياً دائماً ، أمَّا أولـٰئك الذين يعبدون ٱلله ، وإن أصابتهم فتنة ينقلبون ، فأولـٰئك هم الأخسرون الذين يخسرون الدنيا والآخرة ، ولذا فمن يدعو ٱلله مولاه يجده نعم المولىٰ ونعم النصير ، أمَّا من يدعو من يتخذ مولىً من دون المولىٰ ـ جل جلاله ـ فمهما كانت درجة القربىٰ به فلن يكون نعم المولىٰ ، ولن يكون نعم النصير ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ .

وعليه فمن هو المولىٰ ؟

هو النصير لمن اتخذه مولىً ، وهو القادر بالقوة المطلقة لمناصرة من اتخذه نصيراً ، أمَّا الذين اتخذوا مولاهم ؛ من هو في حاجة لمولىً ، فهم من البداية اتخذوا مولىً منقوصاً بالحاجة ، ومنقوصاً من القوة والقدرة المطلقة ، ولهٰذا مثل هٰذا المولىٰ ؛ يمرض ، ويتعب ، ويسأم ، ويغفل ، ويضعف ، ويتألم ، ويضجر ، ويسخر ، ويُسخر منه ، وينام ، ويصحو ، ويتبدل ، وتتبدل مواقفه ، ويموت ، ولذٰلك فهو لن يصمد ولن يقدر علىٰ البقاء والديمومة ، ولهٰذا فهو فاقد لمعطيات من يجب أن يُتخذ مولىً .

المولىٰ : اسم مُعظَّم لمن يجب أن يُؤخذ مولىً ، ولذٰلك فالمولىٰ هو المُلِم ويعلم الكبيرة ، والصغيرة التي لن يلم بها مخلوق ، ولن يعلمها ، وهو المهيمن بعلمه ، وقوته ، وقدرته ، وملكه ، ونصره ، ومناصرته علىٰ ما خلق من مخلوقات ، ولأنه المولىٰ فهو في غير حاجة ، والحاجة به تُشبع .

قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٧ ـ ٧٨] .

يفهم من هٰذه الآيات الكريمات ، أن ٱلله مولىٰ الذين آمنوا من خلال ما يؤدونه من ؛ عبادات ، وفرائض ، وأفعال ، وأعمال منها :

١ ـ الركوع للمولىٰ المطلق تعالىٰ .

٢ ـ السجود لله تعالىٰ فهو نعم المولىٰ ونعم النصير .

٣ ـ العبادة التامة للمولىٰ جل جلاله .

٤ ـ فعل الخيرات من غير حدود بل إلىٰ النهاية .

٥ ـ الجهاد في سبيل ٱلله تعالىٰ .

٦ ـ إقامة الصلاة بكل معانيها ؛ تسبيحاً ، وعبادة ، وركوعاً ، وسجوداً .

٧ ـ إيتاء الزكاة .

٨ ـ الاعتصام بالله المولىٰ العظيم يحقق للمولين أمرهم إليه المناصرة بلا حدود ، ولذا فهو نعم المولىٰ ونعم النصير ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠١ ـ ١٠٣] .

وعليه فمن يركع ، ويسجد ، ويصلي ، ويزكي ، ويجاهد في سبيله تعالىٰ ، ويكثر من أفعال الخيرات ، ويؤمن حق الإيمان بالله تعالىٰ ، يجد نفسه في رعاية المولىٰ ، وحفظه ، وعزته ، ونصرته ، ولن يكون من الخاسرين ، أما الكفرة الفجرة والمشركون الضالون والطاغون فأولـٰئك لن يجدوا لهم مولىً أي لن يجدوا لهم نصيراً ، ولهـٰذا فهم الأخسرون في الدارين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات الله مولاهم فنعم المولىٰ ونعم النصير .

ولأن المولىٰ عز وجل رؤوف رحيم ، وسميع عليم ، ومجيب ، قال تعالىٰ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ولأن الكمال لله وحده ، قال تعالىٰ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ ، ولأن المؤمن يعتقد يقيناً أنه في حاجة وعلىٰ درجة من الاستعداد والقدرة ، والقوة التي مهما تعاظمت لن تبلغ الكمال ، لذا فإن المؤمن دائماً يطلب من مولاه تعالىٰ أن لا يُحمِّله ، ما لم يكن له طاقة به ، وأن يعفو عنه ، وأن يغفر له ، وأن يرحمه ، ولذٰلك فقد أظهرت هـٰذه الآية الكريمة أموراً منها :

الأمر الأول : رأفة المولىٰ تعالىٰ ورحمته بالمؤمنين ، فجاء تكليفه لهم حسب القدرة والحاجة .

الأمر الثاني : استجابة المولىٰ لِمَا يشبع الحاجة ، وفقاً للعمل ودرجة الإخلاص في تأديته من المؤمنين .

الأمر الثالث : علم المؤمنين بمحدودية قدراتهم ، ودرجات تحمُّلِهم في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع ، فتضرعوا لمولاهم تعالىٰ أن لا يؤاخذهم في حالتي النسيان والخطأ .

الأمر الرابع : لعلم المؤمنين بما عمل بعض السابقين من نقائص وطغيان وكفر وشرك ، جعلتهم يحسون بما هو مترتب علىٰ كل عبء ، لذا فهم يتضرعون لله تعالىٰ ؛ بأن لا يجعل عليهم أعباء إذا نسوا أو أخطأوا .

الأمر الخامس : طلب المؤمنون من مولاهم ـ عز وجل ـ أن لا يُحمِّلهم بشيء في غير الاستطاعة ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] حتىٰ لا يضعفوا وينحرفوا بغير طاقة فدعوا مولاهم ـ جل جلاله ـ أن لا يجعلهم ضعفاء ، بل يجعلهم علىٰ القوة ، والقدرة ، والطاعة التي بها يفوزون بنيل الرضا ، وليقينهم بذٰلك فهم دائماً يقولون : أنت مولانا لا إلـٰه إلا أنت .

الأمر السادس : ولأن المؤمنين هم دائماً يطمعون في وجه مولاهم تعالىٰ فبكل طاعة وتأدب ، التمسوا لأنفسهم العذر إذا أخطئوا في مطالبهم ودعواتهم التي التمسوها عنده تعالىٰ (وَاعْفُ عَنَّا) ، وهي كذٰلك تعني مما تعني نأمل منك اللهُمَّ ! أن تستجيب لما سبق أن قدمناه إليك ؛ من مطالب ودعاء فأنت مولانا ، ولأنهم علىٰ الإيمان هم مسلمون ، فلم يكتفوا بطلب العفو عنهم ، بل هم يطالبون بالمغفرة لهم والرحمة من مولاهم .

الأمر السابع : يقين المؤمنين بأن كل ما طلبوه ، لن يكون لهم فيه من نصيب إلا من المولىٰ تعالىٰ (أَنْتَ مَوْلاَنَا) .

الأمر الثامن : إيقان المؤمنين بأنه لن يتحقق لهم نصر إن لم ينصرهم

مولاهم تعالىٰ فقالوا ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقولهم : ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] تأكيد علىٰ قرب مولاهم منهم بالسمع والعلم والاستجابة ، فدعوه عن قرب بإيمانهم أنه الأقرب إليهم من حبل الوريد ، وهم في هٰذا الأمر يختلفون عن الذين كفروا والذين توسوس لهم أنفسهم في غير طاعة للمولىٰ ـ جل جلاله ـ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

بناء علىٰ هٰذه الآية الكريمة ، وما تقدم من آيات عظام ، نقول لكل قول ما يرشد إليه :

الأول : قول كافر ، ومشرك ، ومكيد ، وماكر ، وموسوس بما لا يجب ، ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ٣] .

الثاني : قول مؤمن طائع للمولىٰ ـ عز وجل ـ ، ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] .

يُفهم من الآية الكريمة ؛ ما قاله ٱلله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ بمعنىٰ : قل يا محمد ! لن يصيب قومك الذين آمنوا بك نبياً ، ورسولاً إلا ما كتبت لكم ، فأنا مولاكم الذي توكلتم عليه ، فلا تخافوا ولا تحزنوا ، وسيكون النصر حليفكم بإذني ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٣ ـ ١٠] .

ولذا فمن يطيع ٱلله تعالىٰ فهو مولاه وهو خير الناصرين ، ومن يطيع الذين كفروا ليس له بد إلا أن يكون من الخاسرين ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٩ ـ ١٥٠] . إذاً ٱلله هو المولىٰ للذين آمنوا ، ولهٰذا لن يردهم علىٰ أعقابهم ، ولن ينقلبوا خاسرين ، ولذا فمن يتخذ المولىٰ تعالىٰ ولياً له لن يُخذل ولن ينقلب علىٰ عقبيه كافراً ولا مشركاً ولن يضل أبداً .

ولأن ٱلله غفور رحيم فهو ربُّ العالمين ؛ مسلمهم وكافرهم ، ولهٰذا فهو الرحيم للجميع ، فالذين كفروا إن انتهوا مستغفرين تائبين عمَّا هم عليه من كفر وشرك ، فيجدون ٱلله غفوراً رحيماً ، وإن لم يستغفروا ويتوبوا إلىٰ ٱلله تعالىٰ ، فقتالهم علىٰ الحق حق ، حتىٰ لا تكون الفتنة بين الناس ، ويعم الفساد في الأرض وتسفك الدماء فيها بغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٣٨ ـ ٤٠] . ولٰكن إن أصرَّ الكافرون علىٰ ملاقاتكم وقتالكم ، فاعلموا أن ٱلله مولاكم ، ولهٰذا لا تخشوهم ولا تخافوا فالنصر حليفكم ، قاتلوهم حتىٰ لا تكون الفتنة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٤ ـ ١٥] .

وعليه فمن يكون ٱلله مولاه يكون له نصيراً ، ومن لا يكون ٱلله مولاه فلن يكون له نصيراً ، ولذا فبدون شك النصر حليف من له نصير بالمطلق ، أي من يتخذ له نصيراً في دائرة الممكن ، لا يتساوىٰ مع من يتخذ نصيره بالمطلق حيث لا دائرة تحوطه (يُحيط ولا يُحاط) .

قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٧ ـ ٧٨] .

الاعتصام بٱلله تمسُّك به مولىً ونصيراً ، ولهٰذا يقول المؤمن (نعم المولىٰ ونعم النصير) لعلمه بأنه الباقي والدائم للمناصرة بالحق علىٰ الحق ، ولعلمه بأنه الحفيظ والناصر له في كل مكان وزمان ، ولهٰذا لا يتردد المؤمن الذي أسلم وجهه لله مولىً في الإصلاح ومقاومة أسباب الفساد في الأرض والعمل علىٰ إحقاق الحق فيها .

فقوله : ﴿ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ تدل علىٰ أن ٱلله تعالىٰ هو مولىٰ المؤمنين ، ولأن هٰذا القول جاء من عند ٱلله ، فهو القول الحق واليقين الذي لا يتبدل ولا يتغير ، ولهٰذا المولىٰ هو الدائم الباقي سبحانه جل جلاله ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

وقوله : ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ تعود علىٰ حُسن الاختيار للمولىٰ الباقي ـ عز وجل ـ وذٰلك للتمييز عن من يتخذ مولاه هواه ، ولذا ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ تشير إلىٰ تحقيق الرضا من الخالق إلىٰ المؤمن الذي آمن به مولىً يعبده ولا يشرك به شيئاً ، فكان مولاه هو النصير الذي لا يهزم .

المولىٰ علىٰ دلائل لغوية منها :

١ ـ المولىٰ بالمطلق هو اسم لصفة الجلالة ٱلله تعالىٰ .

٢ ـ المولىٰ في دائرة النسبية من يتولاك مؤقتاً بالرعاية من الناس .

٣ ـ المولىٰ من يتولىٰ أمرك أمراً ، كالنار المأمورة بتولي الكافرين ، والمشركين ، والمفسدين في الأرض ، وسافكي الدماء فيها بغير حق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد : ١٥] .

إذاً الذين لم يركعوا ، ويسجدوا ، ويزكوا ، ويجاهدوا ، ويعملوا الخيرات في سبيل ٱلله تعالىٰ ، فلا مولىً لهم لينصرهم ويقيهم عذاب جهنم ، ولذا فمن أراد أن ينجو من النار والعذاب الشديد ، ليس له بدّ إلا الإيمان بالمولىٰ تعالىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التحريم : ٢] .

لو سألك سائل :

من هو ٱلله ؟

لكانت لك ثلاث إجابات من هٰذه الآية ، ولك المزيد بأسماء صفاته الحسنىٰ وأفعاله الحسنىٰ ، والإجابات الثلاثة هي :

١ ـ ٱلله هو المولىٰ .

٢ ـ ٱلله هو العليم .

٣ ـ ٱلله هو الحكيم .

وفي جميع الإجابات الثلاثة السابقة لو سئلت :

من هو المولىٰ ؟

لأجبت إنه ٱلله .

ولو سئلت من هو العليم ؟

لأجبت إنه ٱلله .

ولو سئلت من هو الحكيم ؟

لأجبت إنه ٱلله .

وعليه فأسماء الصفات الثلاثة السابقة تتقبل العبودية لله تعالىٰ ، ولذا لو سألك سائل :

أأنت عبد لله ؟

لقلت مؤمناً نعم !

ولو سألك أأنت عبد للمولىٰ ؟

لأجبت صواباً وصدقاً ، نعم ! عبد للمولىٰ .

وهٰكذا لكنت عبداً للعليم وعبداً للحكيم ، ومع ذٰلك لم يتعدد العابد ولا المعبود ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، ولهٰذا فٱلله واحد أحد لا شريك له ، وأسماء صفاته وأسماء أفعاله المتعددة فهي له وحده ، وهٰكذا بما أن العبد هو عبد لله تعالىٰ فهو لم يتعدد ، وإن تعددت صفات العبودية مع صفات وأفعال ٱلله تعالىٰ ، ولهٰذا قلنا المعبود واحد .

وعليه فمن يتخذ ٱلله مولاه كان ٱلله له نصيراً ، ومن يتخذ من دونه أو معه مولىً فمهما تعدد الموالي فلن يغني مولىً عن مولىً شيئاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان : ٤١ ـ ٤٢] .

ولذٰلك نقول :

مهما تعددت المناصرات علىٰ المستوىٰ البشري ، فهي لن تقوىٰ ولن تقدر علىٰ مناصرة المولىٰ ، فهو النصير بالقوة المطلقة ، والقدرة المطلقة ، والقرب المطلق ، والسمع المطلق ، والإجابة المطلقة ، وهو علىٰ كل شيء

قدير ، ولأنه كذٰلك فنعم المولىٰ ونعم النصير الذي يَقهَر ولا يُقهر .

ولأن الموالاة البشرية مهما تعددت هي في دائرة الممكن ، ولن تخرج عنها ، فهي مهما تعددت ، لن تكون علىٰ القوة التي عليها المولىٰ ؛ قوة ، وقدرة مطلقة ، ولهٰذا الذين آمنوا مولاهم ٱلله طاعة وتعبداً ووحدانية وهٰذه من معطيات امتلاك القوة والقدرة المُمكِّنة من تحقيق النصر ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أمَّا الذين كفروا فلا مولىً لهم ولهٰذا فهم الخاسرون ، قال تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد : ١١] .

اللهُمَّ المولىٰ ! تولنا برعايتك وحفظك من الحاجة والعوز ، وتولنا بنعيمك الوافر ، وتولنا بعلمك الواسع ، وتولنا بملكك الذي لا ينفد ، وتولنا بالغيث النافع ، وتولنا بالشفاء من كل ألمٍ وداء ، وتولنا سلامة وأمناً من كل خوفٍ وسوء ، وتولنا بهيمنتك التي تُظلنا عن هيمنة المفسدين في الأرض .

اللهُمَّ المولىٰ ! إنك أنت من يتولىٰ خلقه وأمورهم فتولنا بعنايتك ، وكرمك ، وجودك ، وغناك ، وحفظك ، وهب لنا من لدنك علماً من علمك ، وقوة من قوتك ، وقدرة من قدرتك ، ومن كل صفة حسنة هب لنا صفة .

اللهُمَّ المولىٰ ! أنت ولينا في الحياة فاجعل حياتنا خيراً ، وولينا عند الممات فاجعل موتنا راحة ، وولينا يوم البعث فاجعله بعثنا إلىٰ الجنة .

اللهُمَّ ! إنك المولىٰ الذي نزَّل الكتاب بالحق ، وإنك النصير لمن تتولاهم فتولنا ، وناصرنا علىٰ الحق ، فأنت المولىٰ وأنت النصير ، سبحانك لا إلٰه إلا أنت المولىٰ ، فنعم المولىٰ ، ونعم النصير .

✍ ✍ ✍

الفَـاطِرُ

الفِطْرةُ : « ما فَطَرَ ٱللهُ عليه الخلقَ من المعرفة به ، وهي الخلقة التي يُخْلقُ عليها المولود في بطن أُمه » (١) .

الفَاطِرُ : « الخَالِقُ المُوجِدُ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ » (٢) .

الفاطر : « هو الذي فطر الخلق أي ابتدأ خلقهم » (٣) .

ولذا فالفاطر هو المنشئ الأول لكل أول إنشاء ، نوعاً ، وجنساً ، فأنشأ تعالىٰ الحياة ، والموت ، والبعث ، والسمـٰوات السبع ، والأرضين السبع ، والجن ، والإنس ، والطير ، والحيوان ، والنبات، والبحار ، والأنهار ، فكانت الحياة في كل منها فطرة .

ولهـٰذا الفطرة أن تكون الأنواع ، والأجناس ، هي كما هي عليه خِلقة دون تدخل يؤدي إلىٰ التزوير ، والتقليل من أهمية الفطرة علىٰ المخلوق .

إذاً الفطرة هي الصبغة التي يصطبغ بها كل متميز بما مُيز به خلقاً ، ليكون النوع والجنس في حالة تفرُّد خلقي ، فالأنثىٰ لها صبغة تتميز بها عن صبغة الذكر ، الذي ميَّزه الخالق ، حتىٰ وإن كان الذكر ، والأنثىٰ من نوع واحد ، إلا أن لكل منهما فطرة .

---

(١) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد ، ج ١ ، ص ٤١٦٢ .

(٣) الأسماء والصفات ، للبيهقي ، ج ١ ، ص ٤٧ .

وعليه الفطرة هي ما تكون عليه الأنواع ، والأجناس ، طبيعة في الحركة والسكون ، والفعل ، ورد الفعل ، ودرجة التحمُّل ، والمستويات العقلية ، والإدراكية ، ومدىٰ تناسب الجينات الوراثية ، والفضائل الدينية ، والقيم الأخلاقية مع الجنس والنوع .

والفطرة : طبيعة لا تبديل فيها ، وذٰلك لاستمرار النوع والجنس ، ولذا فهي الأصل لكل أصل ، وهي البدء الأول ، ومحور إظهار الشكل والصورة ، والطبع الذي به تتميز الأشياء التي كانت علىٰ غير شيء ، إلىٰ أن شاء لها الخالق أن تكون أشياء .

والفطرة نشأت علىٰ مرتكزات منها :

المرتكز الأول : خلقي ؛ حيث خلق السمٰوات والأرض ، وخلق من كل شيء زوجين اثنين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧ ـ ٤٩] .

وخلق الحياة والممات والبعث فطرة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك : ١ ـ ٢] .

وخلق الفاطر الأنعام فطرة مذللة للناس ، ومنها ركوبهم ، ومنها يأكلون ، قال تعالىٰ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يسٓ : ٧١ ـ ٧٢] .

المرتكز الثاني : ديني ؛ أي إن الدين من عند ٱلله هو دين الفطرة ، الذي هو ناموس لحياة الإنسان ، الذي يُراد له أن يكون خليفة في الأرض ؛ يأمر بالمعروف ، وينهىٰ عن المنكر ، ويسارع في الخيرات ، ويُسبح بحمده طاعة واستجابة للحق ، قال تعالىٰ : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء : ٤٤] ، وقال

تعالىٰ : ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

المرتكز الثالث : سلوكي ؛ فهناك من يمشي سوياً (بنو آدم) وهناك من يمشي مكباً علىٰ وجهه (الحيوانات) وهناك الزاحف وهناك الطير وهناك ما نعلمه وما لا نعلمه وهو من المفطورين خلقاً ، قال تعالىٰ : ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الملك : ٢٢ ـ ٢٤] .

ولأن السلوك حركي فطري ، فهو علىٰ طبيعة كل نوع وجنس ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ومع أن السلوك حركي فطري ، إلا أن الأفعال ليست واحدة ، وليست فطرية ، ولذٰلك تتميز الأعمال الحسان ، من الأعمال غير الحسان ، قال تعالىٰ : ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام : ١٣٥] .

المرتكز الرابع : تنظيمي (قانوني فطري) وذٰلك لأن كل الأشياء مخلوقة علىٰ التوازن ، فكل في سبيله علىٰ نظام دقيق بديع منشأ هو الآخر إنشاء ، الكواكب والنجوم وحركتها بإدارة تُدار علىٰ الفطرة لا بالفطرة ، وهٰكذا يتعاقب الليل والنهار ، وتعيش الكائنات دقيقها وعظيمها كل في سبيله علىٰ الفطرة ، وهٰكذا الملائكة في سبيله ، والإنس في سبيله ، والجن في سبيله ، والطير في سبيله ، والسمك في سبيله ، وما من شيء إلا علىٰ سبيله بقوانين الفطرة التي تنظمه ، وتنظم غيره في دوائر الخصوصية ، وفي الدائرة الكلية (العامة) وكل شيء يعلمه العليم الفاطر للأشياء علىٰ المشيئة التي شاءها عليها . قال تعالىٰ : ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم : ٣٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا

لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ١٦ ـ ٣١] .

بناء علىٰ ما تقدم قد يتساءل سائل :

هل الفطرة فطرة في ذاتها ، أم أن من ورائها ذات أعظم فاطر لها ؟

نقول :

وبما أن الأشياء ـ كل الأشياء ـ مفطورة علىٰ ما فطرت عليه ـ كما سبق تبيانه ـ إذاً لابد وأن يكون من ورائها فاطر لها ، ولهـٰذا وراء كل سبب مسبب له ، وإلا هل يمكن أن تكون الأسباب لو لم يكن من ورائها من هو مسبب لها ؟

ولأن لكل شيء سبباً فلا يمكن أن يُمكِّن خالق الأسباب ومنشؤها أحداً من خلقه بدون سبب هو فاطرهُ لما يسببه من منافع أو أضرار ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا

ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾
قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا
سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟
أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف : ٨٤ ـ ٩٧] .

ولهٰذا كل طبيعة هي مجبولة علىٰ الفطرة التي أنشأها الفاطر ـ عز وجل ـ عليها ، فالإنسان الذي خلقه ٱلله تعالىٰ في أحسن تقويم ، هو مفطور اجتماعي علىٰ مجموعة من القيم منها :

- يُحب .
- يكره .
- يغضب .
- يثور .
- يتمرَّد .
- يظلم .
- يعدل .
- يحسن .
- يتعاون .
- يشارك .
- يكذب .
- يصدق .
- يعاشر .
- يفارق .
- يتأثر .

- يؤثر .
- يؤمن .
- يكفر .
- يشرك .
- يُفكر .
- يتدبر .
- يتذكر .
- يخطط .

كل هٰذه وغيرها كثير ، هي من الفطرة التي فطر الفاطر تعالىٰ الإنسان عليها ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٢٨ ـ ٣٢] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ﴾ المعنىٰ عائدا علىٰ الحنيفية ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ ولذٰلك فالدين فطرة ، ولأنه كذٰلك فما من شيء إلا ويسبح بحمده ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور : ٤١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء : ٤٤] .

إذاً لمن تُسبح السمـٰوات والأرض ومن فيهنَّ ؟

تسبح للذي فطرهنَّ علىٰ ما هنَّ عليه من فطرة .

ولذا فقوله تعالىٰ : ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم : ٣٠] إيضاح بأن الفاطر هو ٱلله ولا أحد غيره ، ولا فطرة إلا به .

ولأن ٱلله هو الفاطر للناس علىٰ ما هم عليه ، إذاً لا تبديل لفطرته التي فطرهم عليها ، ولأنه ٱلله تعالىٰ ، هو الذي فطر الناس علىٰ الحنيفية ، إذاً هـٰذه إجابة قاطعة بالحق أنَّ الفاطر هو ٱلله ، ولهـٰذا الفاطر هو من أسمائه الحسنىٰ التي نحن بصدد البحث فيها ، والبحث عنها ، من خلال آياته العظام في القرآن الكريم سبحانه جل جلاله .

وفي هـٰذا الأمر لا فرق في الإجابة علىٰ الأسئلة التي منها :

- من هو الرحمـٰن ؟
- من هو الرحيم ؟
- من هو الملك ؟
- من هو القدوس ؟
- من هو السلام ؟
- من هو الأعظم ؟
- من هو الفاطر ؟
- من هو المتصف بالصفات الحسنىٰ ؟
- من هو المتصف بالأفعال الحسنىٰ ؟

ولأنه ما من شيء إلا ويسبح بحمده ، وأن كل من في السمـٰوات والأرض يسبح باسمه وحمده ، نلاحظ شيئاً عظيماً جداً ألا وهو المتضمن في قوله

تعالىٰ : ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور : ٤١] ، فالذي يثير الانتباه في قوله تعالىٰ : ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور : ٤١] هو قوله ﴿مَن﴾ التي تعود علىٰ العاقل الذي لا استغراب فيه في الأرض ، ولـٰكن الاستغراب فيه في السماء ، فهل في السماء من هو علىٰ قيد الحياة من العقلاء ، ونحن لا نعلم من أمرهم شيئاً ؟

أم أن هـٰذا الأمر لإثبات حقيقة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي رفعه ٱلله إليه في السماء ؟

أمَّا قوله تعالىٰ : ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور : ٤١] فهو لإثبات علم خصوصية النوع بما يسبح ولمن يسبح ، ولهـٰذا قانون الفطرة الذي فطر الفاطر عليها كل ما خلق ، كفيل بتنظيم المخلوقات كل علىٰ فطرته ، ومع ذٰلك إذا أراد ٱلله شيئاً أن يكون ، يقول له كن فيكون ، ولهـٰذا مكَّن سليمان من معرفة منطق الطير ، وكلام النملة ، ولله في خلقه شؤون ، وبأسباب خصوصية الأنواع لا يعلم نوع بحال نوع إلا في دائرة النسبية التي يرتضيها ٱلله ، وبما لا يتعارض مع قانون الفطرة ، ولذا لا عالم بالمطلق إلا العليم الفاطر للأشياء ، علىٰ ما هي عليه من فطرة ، الذي وحده يعلم بالمطلق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي كل نوع قد أعلمه العليم ـ جل جلاله ـ بصلاته وتسبيحه ، وٱلله وحده هو العليم بما يفعلون ؛ من صلاة وتسبيح ، ويعلم ما نعلم وما لا نعلم ، وهو العليم الحكيم .

ولأن الفاطر هو العليم الحكيم ، فهو خير ولي للعباد ، ولهـٰذا المؤمنون اتخذوه ولياً في الدارين (الحياة الدنيا والآخرة) كما اتخذه النبي ﷺ ولياً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ١٤] .

بالمنطق والعقل ، فمن فطرك علىٰ ما أنت عليه من نوع أو جنس ، ليس لك بدّ إلا أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ، فالذي فطرك بشراً سوياً ، هو الفاطر

الذي بيده الأمر الذي به كنت بشراً سوياً ، وبيده الحق الذي عليه كنت بشراً سوياً ، وبيده الموت والحياة والبعث ، وكل شيء هو بيده ، فله الحمد والشكر علىٰ فطرته التي فطرنا عليها في أحسن تقويم ، فآمنا به واحداً أحداً لا شريك له ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

ولأنه الفاطر ؛ فنحن عبيده علىٰ الفطرة الكريمة التي بها تميزنا عن غيرنا مما خلق ، مستخلفين في الأرض إصلاحاً وإعماراً وإيماناً وعبادة ورحمة .

وكما اتخذ محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الفاطر ولياً ، اتخذ من قبله يوسف عليه السلام الفاطر ولياً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف : ١٠١] .

إذاً لو سألت أحداً عمن هو فاطر السمٰوات والأرض ؟

لأجابك بقوله : إنه ٱلله .

أي لو سألته من هو ٱلله تعالىٰ ؟

لأجابك بقوله :

إنه الفاطر العظيم الذي فطر السمٰوات والأرض .

أي لو سألت غيرك من المؤمنين :

من الفاطر للسمٰوات والأرض ؟

لأجابك إنَّه ٱلله جل جلاله .

ولهٰذا إذا قلت ٱلله كنت صائباً ، وإذا قلت الفاطر كنت صائباً أيضاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم : ١٠] .

أي قالت الأمم التي جاءتها الرُّسُل ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولأن كل أمة من الأمم لم تخلُ من نذير ، لذٰلك علم الجميع أن ٱلله هو الفاطر للسمـٰوات والأرض ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر : ٢٤] ، ولهـٰذا لا شك في أن العباد علموا بالذي فطر السمـٰوات والأرض ، أي عرفوا حقيقة السمـٰوات ومن بناها ورفعها بغير عمدٍ تُرىٰ ، ولهـٰذا فقد آمن من آمن وكفر من كفر ، فالذي آمن بالفاطر للسمـٰوات والأرض ، آمن بأنها المخلوقات ، والذي كفر ، ظن في وجودها وكأنها ذات بعينها ، ولهـٰذا فقد ضل الذين لم يؤمنوا بأن ٱلله هو الفاطر للسمـٰوات والأرض ومن فيهنَّ ، واهتدىٰ الذي آمن عقلاً ومنطقاً ، بأن وراء كل مخلوق خالقاً ، أي وراء كل موجود موجِدٌ له ، ولأن السمـٰوات موجدة والأرض موجدة إذاً لا شك في أن من ورائها مُوجداً عظيماً (خالق عظيم) ، ولأنه العظيم الذي فطر كل شيء علىٰ فطرته ، هو كما هو، أمام المشاهدة والملاحظة فطرة خلقية من لا شيء ، لذا خالق الأشياء أشياء هو فاطرها خلقاً ابتداء وإنشاء ، علىٰ الخصوصية النوعية والكيفية التي فُطر كل شيء عليها ، ولهـٰذا لم يكن في ٱلله شك فاطر السمـٰوات والأرض .

ولأنه الفاطر للسماوات والأرض ، فله الشكر والحمد علىٰ قدرته ، وخلقه لنا في أحسن تقويم صورة ومضموناً (جسداً وعقلاً ونفساً وروحاً) ، قال تعالىٰ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر : ١] .

فاطر الأشياء خالقها علىٰ ما هي عليه فطرة غير مسبوقة ، فله الحمد علىٰ ما خلق من أشياء ابتداءً وتنوعاً وتميُّزاً وخاصية .

ولأنه الفاطر للسمـٰوات والأرض ، فهو الفاطر لكل شيء ، أي لا شيء مخلوق أو يُخلق إلا من خلق السمـٰوات وخلق الأرض ، التي منها خُلِق آدم من أديمها ، فكان خلقاً آخر فتبارك ٱلله أحسن الخالقين ، قال تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر : ٤٦] .

الخطاب موجه لمحمد ﷺ أي : قل يا محمد ! اللهُمَّ ! فاطر السمٰوات والأرض ، فقالها محمد ﷺ طاعة تامة لله ربِّ العالمين ، ولذا كان قوله ذكراً لأسمه الفاطر ـ جل جلاله ـ ، وعليه نقول :

الفاطر للسمٰوات والأرض هو ٱلله تعالىٰ ، والصفة للفاطر هي فاطر ، فهي مثل الكريم اسماً ، وكريم صفة ، ومثل العليم اسماً، وعليم صفة ، ومثل القوي اسما ، وقوي صفة ، وهٰكذا لكل اسم حسن صفة حُسنىٰ تُستمد منه ، وعليه فمن أراد أن يكون من المستخلفين في الأرض، فعليه بأن يستمد صفاته في الحياة من صفات خالقه تعالىٰ ، ليكون من الوارثين في الدارين .

الفاطر للسمٰوات والأرض هو المهيمن عليها والمتحكم في أمورها ، فهو كما فطرها من لا شيء ابتداءً ، جعل من الأشياء المخلوقة علىٰ الفطرة أشياء أخرىٰ ، فجعل من الأنفس أزواجاً ، ومن الأنعام أزواجاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ : ١١ ـ ١٣] .

وبطبيعة الحال الفاطر للسمٰوات والأرض ، بيده مقاليدها ومقاليد الأمور كلها ، وهو الخلَّاق العليم ، ولأنه الخلاق للأشياء وخالق من الأشياء أشياء أخرىٰ ، فهو الرزاق لمن خلق ولكل ما خلق ، وهو الذي شرع لنا دين الفطرة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٣٠ ـ ٣١] ولذا فالدين الحنيف ، هو الذي علىٰ فطرته يُسبِّح لله ما في السمـٰوات وما في الأرض ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [التغابن : ١ ـ ٤] .

ولأن التسبيح مؤسس ابتداءً علىٰ دين الفطرة ، لهـٰذا ما من شيء إلا ويُسبِّح بحمد الفاطر للسمـٰوات والأرض ، وعلىٰ هـٰذا الأساس وجَّه إبراهيم وجهه للذي فطر السمـٰوات والأرض ، حنيفاً ولم يكن من المشركين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] ، ولأن محمداً علىٰ ملة إبراهيم حنيفاً عليه السلام جاء قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] ، أي فكما كان إبراهيم حنيفاً ، كذٰلك كان محمد علىٰ ملة إبراهيم حنيفاً ، أي حنيفاً علىٰ الدين الفطرة الذي فطر ٱلله العباد عليه ، ولذٰلك لله رجال من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا ٱلله عليه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

وعليه فالذين صدقوا ما عاهدوا ٱلله عليه هم المؤمنون حقاً ، الذين آمنوا بالفاطر تعالىٰ لكل شيء ، دون سابق لشيءٍ لم يخلقه الفاطر ـ جل جلاله ـ ، وبمراجعة مشاهداتنا اليومية نلاحظ ؛ العلاقات القوية للنحل والنمل والطيور والأسماك والنجوم والكواكب ، ونلاحظ تناسق الألوان في الطبيعة ، والتوازن البديع بين الأرض والسماء ، وبين اليابسة والماء ، ونلاحظ النظام البديع الذي تأسس علىٰ الفطرة لكل ما خلق علىٰ الحركة والسكون ، فسبحانه الفاطر ـ جل جلاله ـ الذي فطر كل شيء علىٰ الحق ، ولم يفطر باطلاً .

اللهُمَّ ! إنَّك الفاطر للأنواع والأجناس ، علىٰ ما فيه خير ، فاجعلنا علىٰ الفطرة التي ننال بها كل خير ، اللهُمَّ ! إنك الفاطر للأنفس ، والجاعل منها أزواجاً ، فأنعم علينا بنعمة الأزواج مودة ومحبة وألفة ، اللهُمَّ ! إنَّ فطرتك بقاء فلا تجعلنا من المتبدلين والمبدلين في ضلال وشقاء ، بل اجعلنا علىٰ النقاء والصفاء والرضا ، يا من فطرت الأرض والسمـٰوات العلىٰ .

اللهُمَّ ! الفاطر للسمـٰوات والأرض ، والفاطر لنواميس الحياة ، اجعل فطرتنا لا تتبدل عن أحسن تقويم ، وأن نستظل بفضائلك حتىٰ نكتسب مكارم الأخلاق ، وأن تتعاظم فطرتنا مع الإسلام دين الفطرة الذي لا يتبدل .

✍ ✍ ✍

المُـكيد

المُـكيد : هو من يمتلك القوة التي تغالب أية قوة ، وهو الأعظم في صفاته وأفعاله ، يَغلِب ولا يُغلَب ، يَقهَر ولا يُقهَر ، بيده الخير ولا يلحقه ضررٌ ، والغاية المطلقة من كيده الإصلاح ، والإعمار ، وإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل .

هٰذه الصفات الحسنىٰ المطلقة ، لا تكون إلا لله ـ عز وجل ـ ولذٰلك قال تعـــالـــىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق : ١٥ ـ ١٧] .

قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ آية كريمة ضميرها يعود علىٰ المُكيد الذي بيده أمر الكيد ، متىٰ ما شاء وكيفما يشاء ، ولأنه المكيد بالمطلق ، جاء قوله ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أمراً مطلقاً أي : يكيد أي كيد دون تحديده ، فمهما تنوع الكيد وتعدد الكائدون فهو المكيد جل جلاله .

في هٰذه الآيات الثلاثة ضمائر ثلاثة هي :

١ ـ الضمير العائد علىٰ الكافرين بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ .

٢ ـ الضمير العائد علىٰ المكيد الأعظم جل جلاله ، ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ .

٣ ـ الضمير العائد علىٰ الشاهد المُمهل (النبي محمد ﷺ) الذي سيشهد العاقبة ماثلة أمام عينيه ، أن الكافرين كيدهم مكاد وهم لا يمتلكون القوة ولا القدرة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ .

ولسائل أن يسأل :

كيف يكون الكافرون مكيدين ، ويكون ٱلله مكيدا ؟

نقول :

ـ كيد الكافرين (كيد) .

ـ كيد المكيد تعالىٰ (كيد الكيد) .

ـ كيد الكافرين تعزيز باطل .

ـ كيد المكيد ـ عز وجل ـ مناصرة حق .

ـ كيد الكافرين غايته ، فسح المجال أمام من يشرك ويكفر .

ـ كيد المكيد ـ عز وجل ـ إبطال غاياتهم ، بفسح المجال أمام من يؤمن ويسلم وجهه لله ربِّ العالمين ، واحداً أحداً لا شريك له بيده الملك وهو علىٰ كل شيء قدير .

ـ كيد الكافرين تعويق سبل النجاح .

ـ كيد المكيد الأعظم إعاقة معوقاتهم ليفسح سبل النجاح .

ـ كيد الكافرين إفسادي .

ـ كيد المكيد تعالىٰ إصلاحي .

ـ كيد الكافرين ضلال .

ـ كيد المكيد جل جلاله هداية .

ـ كيد الكافرين تقليل شأن .

ـ كيد المكيد تعالىٰ رفعة شأن .

ـ كيد الكافرين تفريق شمل .

ـ كيد المكيد تعالىٰ جمع شمل .

ـ كيد الكافرين تحقيق ألم .

ـ كيد المكيد إزالة ألم .

بناء علىٰ ما تقدم ، يتضح الفارق بين (الكيد) الذي لا يتم إلا علىٰ يد كافرٍ أو مفسدٍ ، أو ضالٍّ وظالمٍ ، وبين (كيد الكيد) الذي لا يكون إلا علىٰ يد القادر المطلق ، علىٰ إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

ولذا قلنا :

١ ـ الكيد إفسادي .

٢ ـ كيد الكيد إصلاحي .

أي إن الكيد أفعاله قصدية ، لتحقيق الألم لمن يسلك سبل النجاح ، وكيد الكيد أفعاله قصدية ، لتحقيق الطمأنينة لمن يسلك سبل النجاح ، أو يهدي إليه .

إذاً (الكيد) معابة لا يقدم عليه إلا من هو علىٰ عيب (علىٰ باطل) ، و(كيد الكيد) لا يقوم به إلا الحق ، أو من يتبع الحق .

وعليه أتساءل :

من هو المُكيد ؟

نقول :

هو من بيده قوة المغالبة ، وهو بالمطلق ٱلله تعالىٰ ، وفي دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع هو الإنسان ، وفي هـٰذا الأمر وجهان يتضحان :

الوجه الأول : مغالبة المطلق هي مغالبة حق .

الوجه الثاني : مغالبة النسبي علىٰ نهجين :

١ ـ مغالبة مُصلِح في الأرض (مغالبة حق) وهـٰذه المغالبة راسخة .

٢ ـ مغالبة مُفسِد في الأرض (مغالبة باطل) وهـٰذه المغالبة ليست براسخة ، ولهـٰذا فهي تتطلب فاعلاً وفعلاً لإبطالها كيداً .

وعودا علىٰ الآيات الكريمة السابقة في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ نقول :

هناك اختلاف وفارق موضوعي من حيث :

١ ـ إن الكائدين هم الذين يصطنعون مواقف الكيد اصطناعاً وترتيباً وإعداداً وإخراجاً وتبييتاً وتنفيذاً ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي بدون وجه حق هم ينسجون خيوط التآمر علىٰ العباد ، الذين يسلكون سبل الصلاح والإصلاح ، والعمل الإعماري ، ولا يقترفون ذنباً أو يسببون ألماً ، فيكاد لهم كيداً بليَّة دون وجه حق ، والمكيدون ـ عليهم اللعنة ـ قلوبهم علىٰ الخير تشتتاً وقلوبهم علىٰ الشر تمركزاً .

٢ ـ إن المُكيد هو الذي يكيد كيد الكائدين ، فيبطله ويدمغه حتىٰ يزهق ، وفي هٰذا الأمر يتحقق كيد الكيد ، فلا تتحقق غاياته ، وينجو من الألم من كان مكادا له بكيد الكائدين ، أي إن المكيد يريد للظلم أن تسقط رايته ، وللحق أن تُرفع ، ولذٰلك نقول :

إنَّ المُكيد هو من يبطل الباطل الذي هو كيد كائدين ، ومن يسقط كيد الكائدين يزيل ألماً ، ويحق حقاً ، ويزيح ظلماً ، ويطفئ نار فتنة ، ويسلِّم مصلحاً بفك أيدي المفسدين ، وقبضاتهم من رميه بغير حق ، فينجو ليستمر الإصلاح والإعمار وينتهي الإفساد وسفك الدماء في الأرض بغير حق .

وعليه : ألا يحق لنا أن نخلص بنتيجة مفادها ، أنَّ الكيد فتنة ، وأنَّ كيد الكيد إطفاء نارها . ولأن الأمر بالتمام هو كذٰلك ، ألا يحق لنا أنْ نصف من يكون سبباً ، في كيد العباد بأسوأ الصفات ، وأن نصف المكيد للكيد بأحسنها ؟

ولأن الإجابة لا تكون إلا بنعم ، إذاً المكيد بالمطلق هو صاحب الصفة الحسنة بالمطلق ، والمكيد في دائرة النسبية هو صاحب الصفة النسبية ، ولهٰذا لا مجال للمقارنة ، وعلىٰ المستوىٰ البشري ؛ فمن أراد ثواباً وجنةً ، عمل علىٰ

كيد الكائدين ، ومن أراد ظلماً ونار جهنَّم ، ليس له بدّ إلا كيد العباد .

وباستقراء النص السابق نتبين مجموعة من القيم السالبة التي تؤسس المكائد عليها منها :

- التضليل .
- الاستغفال .
- الغدر .
- المخادعة .
- التحايل .
- المكر .
- الاستدراج في غير محله .
- التشكيك .
- قلب الحقائق .
- الغش .
- تبييت لأمرٍ عن سوء نية .
- الكذب والافتراء .

أمَّا المترتب علىٰ كيد الكائدين مجموعة من الأفعال منها :

- إنزال الضيم .
- التشويه .
- الإسقاط .
- إنهاء الدور أو الوظيفة أو الرسالة .
- الإيذاء .

- الإذلال .
- التسفيه .
- تقليل الشأن .
- إيقاد نار الفتنة .
- القتل .

ولتبيان أهمية هٰذه القيم في ارتكاب أفعال الكيد ، يتم تناول مجموعة من الآيات العظام من القرآن الكريم ، ذات العلاقة بالتحليل والتفسير ، استمداداً للقوة الفكرية ، والمنطقية ، والقيمية ، والفضائلية ، التي ترشد إلىٰ كشف مكائد الكائدين وكيدها من المكيد المطلق جل جلاله .

قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : ٤ ـ ٥] .

قوله تعالىٰ : ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ الكيد جاء نكرة ، بحيث يدل علىٰ أي كيد في دائرة الممكن ، مما يجعلك أحياناً متوقعاً له ، ويجعلك أحياناً متفاجئاً بأسباب عدم توقعك له ، ولهٰذا يقول يعقوب لابنه يوسف عليه السلام لا تستغرب من إخوتك إن كادوا لك كيداً ، وهٰكذا هم فعلوا ما هو متوقع من قبل يعقوب ، وإن كان غير متوقع من قبل يوسف لصغر سنه .

وعليه الكيد : هو العمل الذي يؤسس علىٰ المخادعة ، وسوء النية المبيتة في دائرة غير المتوقع ، ولذٰلك يترتب عليه الاستغراب ، والمفاجأة ، وأحياناً نقص التصرف تجاهه ، مما يجعل البعض يقعون بأسبابه في الفخ ، وقد لا يُفك عنهم بسهولة ويسر ، ولذا يجدون أنفسهم بين أيدي الكائدين ، حيث لا قدرة ولا قوة ، فتكون المساومة أحياناً في غير موضوعية ومنطق ، ويكون الثمن المترتب علىٰ ذٰلك غالياً إن لم يحدث التدخل الذي به يكاد كيد

الكائدين ، وتكون ساعة الفرج بمفاتيح من المكيد المطلق ؛ قوة وقدرة وعزة ونصراً .

ولهٰذا فالكيد : هو فعل وعمل ممن نتوقع غير المتوقع .

ولأن المكيد هو ٱلله تعالىٰ ، فهو بكيده المتين يكيد كيد الكافرين ، والمشركين ، والضالين ، والمنافقين ، والحاسدين ، والظالمين ، ويجعلهم في أسفل سافلين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٢ ـ ٧٢] ، ولأن كيد الكائدين مُكاد من المكيد المطلق ـ جل جلاله ـ فكانت النتيجة المترتبة علىٰ كيد الكائدين لإبراهيم ، سلامة إبراهيم ونجاته من النار ، التي كانوا يظنون بأنها القاضية علىٰ إبراهيم وعمله الذي هو في مرضاة ٱلله تعالىٰ ، ولهٰذا فالمكيد هو الناصر والنصير لعباده الصالحين ؛ من صديقين ، وأنبياء ، ورُسُل كرام ، صلوات ٱلله وسلامه عليهم .

إذاً أراد الكفَّار إهلاك إبراهيم فكانت النتيجة إهلاكهم ، ولهٰذا فالمكيد هو نعم المولىٰ ، ونعم النصير الذي ناصر إبراهيم ونصره علىٰ الكافرين والمشركين ، الذين دسَّوا له الدسائس والمكائد ، والحمد لله ربِّ العالمين المكيد لكيد الكائدين ، مهما تعدد وتنوع وكثر أصحابه ظلماً وبهتاناً .

وبنجاة إبراهيم من النار التي كانت عليه برداً وسلاماً ، بأمرٍ من ٱلله تعالىٰ أصبح إبراهيم في عليين ، محفوظاً من الهلاك وكيد الكائدين ، وأصبح الكائدون في أسفل السافلين سفلة في حسرة وألم شديد .

ومع أن الكيد نكرة إلىٰ أن يُعرَّف بنوع العمل أو الفعل أو السلوك ، إلا أنَّ الكافرين هم دائماً يكيدون كيداً ، والكافرون : هم الذين يكفرون بٱلله تعالىٰ ، ويكفرون بما نهىٰ عنه وحرَّمه ، ويكفرون بالحق وأصحابه ، ويكفرون بأنبيائه ورُسُله الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ ويكفرون بالعدل وميزانه ، ولهٰذا فهٰؤلاء دائماً هم المكيدون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور : ٤٢] أي هم المغلوب أمرهم ، ولذا فهم لا يستطيعون قدرة ولا قوة ، وليس لهم مفر من الهزيمة ، ومغالبة ما يكيدون به المؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين .

من طبيعة المكيدين من الكفرة والمشركين ، أنهم يتألمون إذا أصابت المؤمنين حسنة من الحسنات ، ويفرحون إذا أصابتهم سيئة ، وفي مقابل ذٰلك المؤمنون لا يتمنَّون مكروهاً لمؤمن بٱلله تعالىٰ ، ولا لإنسان خُلق في أحسن تقويم ، ولهٰذا فهم لا يُكرِهون أحداً علىٰ الإيمان ، حيث لا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي ، ولٰكنهم يعلمون أن المكيدين لا خير فيهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

ولهٰذا فهم صابرون ، وهم يعلمون حقاً أن كيد الكائدين لا يضرهم شيئاً ، وذٰلك لعلمهم بإحاطة المهيمن المحيط ، بما يعملون ويكيدون من ضلال ونكران ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ أي مهما كاد الكائدون ، يكادون بكيدٍ من المكيد المطلق جل جلاله .

ولهٰذا فالذين يسعون إلىٰ كيد العباد في الحياة الدنيا ، يكادون في الحياة الآخرة أشد مما يكيدون به العباد ، وذٰلك يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور : ٤٦] .

ولذا فالمكيد تعالىٰ ؛ هو المكيد في الحياتين بالمطلق ، والمكيدون من

الناس ليس لهم كيد إلا مؤقتاً ، وليس لهم نتيجة موجبة ، ولهٰذا فهم المكادون حيث لا ناصر لهم سوىٰ ما يخبئون ويُبيِّتون من سوء نية .

وعليه ؛ الكيد يُدبَّر من مدبِّر مسبقاً ، ليحدث الكيد ويقع المكيد في المصيدة ، ولهٰذا الكيد نسيج ممزوج بسوء النية ، وعمل يدبَّر لإيقاع من يُراد كيده في المصيدة ، ولذٰلك فالكيد من أعمال التآمر الظالمة .

الكيد لا يكون إلا مع من هو علىٰ القوة ، أمَّا الضعفاء فالمواجهة كافية لإزاحتهم من الطريق ، وإنهائهم دون تأسف ، ولذا عندما لا يستطيع المكيد في دائرة الممكن المتوقع ، وغير المتوقع علىٰ المغالبة ، يميل ويتجه إلىٰ التحايل والمخادعة ، وإظهار ما لم يُبطن لأجل الالتفاف علىٰ من يراد كيده حتىٰ يغدر به .

ولذٰلك فمن الناس من لا يحب الخير لغيره ، وإن رآه في خير تضيق الدنيا برحابة وسعها عليه ، ولأن المكيد من الناس لا يستطيع المغالبة في الحق ، يلتجئ إلىٰ كيد الناجحين والمتميزين والصادقين والمصلحين المسلمين ، كما التجأ الكافرون والمشركون إلىٰ كيد الأنبياء والرسل الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ وكذٰلك كيد المؤمنين الذين اتبعوهم علىٰ الهدىٰ والوحدانية .

ولأن المُكيد تعالىٰ واسع الفضل ، فكان لكيدهم المكيد بالمرصاد ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

لقد ظن أصحاب الفيل بكيدهم ، أنهم قادرون علىٰ تدمير الكعبة وإزاحتها من الوجود كفراً وطغياناً بغير حق ، فأعدوا عدتهم وأفيالهم ليهجموا علىٰ الكعبة ومن فيها من المسلمين ، ولٰكن المكيد العظيم كادهم بالقوة والقدرة ، التي لم يمتلكوا منها إلا القليل ، فبقيت الكعبة ـ بقوته تعالىٰ ـ شامخة إلىٰ اليوم وستكون إلىٰ أبد الآبدين قبلة للمسلمين ، ولهٰذا دائماً كيد الكافرين في ضلال ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا

وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [غافر : ٢٣ ـ ٢٥] ، فمع أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبي ورسول مرسل بآيات وسلطان مبين ، إلا أن فرعون وهامان وقارون قد كفروا وقالوا هٰذا ساحر كذَّاب ، ومع أنه قد أتاهم بالدليل ، إلا أنهم أصروا علىٰ أن تُقتل أبناء الذين آمنوا معه ، وأمروا المفسدين منهم في الأرض بأن يستحيوا نساءهم ، ولٰكن المكيد لكيد الكائدين حفظه وحفظ أبناء ونساء المؤمنين من كل سوء وشر وألم ، ولهٰذا كان كيد الكائدين في ضلال، أي في غير محله (إنه كيد الضعفاء) .

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] .

الكيد مكوَّن قيمي سالب ، مما يجعل كيده (كيد الكيد) مسبباً قيمياً موجباً ، ولهٰذا في كل كيد مسببات البطلان والفساد والإفساد ، ولذا فإن الكيد لا يصمد أمام الحق مهما تعاضد المتعاضدون في سبيله كيداً .

لو كان الكيد قادراً علىٰ أن يصمد ، لصمد كيد فرعون وهامان وقارون لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي بُعِث نبياً ورسولاً ، إلىٰ أن توفاه ٱلله ورفعه إليه باقياً في المقامات العظام .

كل المكائد البشرية التي علىٰ غير حق ، هي مكائد شيطانية ، سواء كانت من شياطين الإنس أو الجن ، وهي ضعيفة لا تخيف المؤمنين الذين أسلموا وجوهم لله طائعين ، ولهٰذا المؤمنون يقاتلون في سبيل ٱلله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٧٦] .

وعليه الكيد قد يكون علىٰ أيدٍ منها :

ـ يد رجل شيطاني .

ـ يد امرأة شيطانية .

قال تعالىٰ : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف : ٢٣ ـ ٢٨] ، كل من يقرأ هـٰذه الآيات الكريمة ، يتعرف علىٰ المكيدة التي حاولت أن تكيد بها امرأة العزيز يوسف عليه السلام الذي حفظه ٱلله من مكائدها .

ـ يد جن شيطاني .

أمَّا كيد الكيد فلا يكون إلا علىٰ يد ٱلله تعالىٰ ، أو الذين أمنوا به واحداً أحداً ، وأطاعوه بالمطلق عباداً مُصدِّقين صالحين ومصلحين ، لا مفسدين ولا مبدلين ولا سافكي دماء بغير حق .

اللهُمَّ المكيد ! الذي لا يكيده كيد الكائدين ، اجعل كيد الكائدين في نحرهم ، واجعل كيد الساحرين والمشعوذين في سحرهم، يختنقون ويتخبطون فلا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .

اللهُمَّ ! إنك المكيد الذي لا يكيده كيد ، فكد كيد من أراد بنا كيداً ، اللهُمَّ ! إن كيدك رحمة فارحمنا بكيد من كيدك نكيد به كيد الكائدين ، اللهُمَّ ! إنك المكيد فمدنا بكيد نكيد به أقاويل من قال فينا كيداً ، ومن فعل بنا كيداً ومن عمل لنا كيداً ، سبحانك إنك المكيد أولينا أمرنا إليك .

النصـير

النصير بالمطلق : هو ٱلله ـ جل جلاله ـ المعزز للقوة بقوته ، عند كل حاجة وشِدَّة في سبيل حق ، دون أن يكون منتظراً لتُقدِّمَ له الدعوة أو العون ، فهو المُقدِّر للأمر الذي يعلم به قبل وقوعه ، وأثناء وقوعه ، وما سيترتب عليه ، ولذا فهو القادر علىٰ المناصرة في أي وقت من الأوقات ، لمن نصره طاعة وعبادة وإيماناً خالصاً ، وفي ذٰلك يقول الحق تعالىٰ : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

النصير من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، ورد اسماً مرتين في القرآن الكريم ، مرة في سورة الأنفال ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠] ومرة في سورة الحج ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وورد في تسع آيات ؛ صفة مباشرة ، وغير مباشرة ، كما هو مبيَّن في السور والآيات الآتية :

١ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٤٥] .

٢ ـ قال تعالىٰ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٢] .

٣ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥] .

٤ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٨٩] .

٥ ـ قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

٦ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

٧ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧٣] .

٨ ـ قال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٥] .

٩ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

النصير اسم صفة للملازمة الداعمة بالقوة والقدرة ، مع من يستوجب المناصرة ، ولِذا عندما يعلم المناصر بأن النصير المطلق معه أينما يكون ، تشتد قوته وتتعاظم بشدة وقوة النصير ـ جل جلاله ـ ، فيُهزم التردد ويقلع الخوف وتطمئن الأنفس ، وتتضاعف المحبة لدخول ميادين القتال في سبيل إحقاق الحق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٣ ـ ٩] .

النصير اسم من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠] .

وبتحليلنا لهٰذه الآية الكريمة التي جاءت بداية بضمير عائد علىٰ الكافرين

الذين ورد ذكرهم في الآيتين السابقتين عليها ، بمعنىٰ فإن أدبر أولـٰئك الكفرة والمشركون عما دعوتموهم إليه من سلام ، تجنب لقتالكم ظلماً وعدواناً وما دعوتموهم إليه إيمان بٱلله ورسوله ، فإن أبوا وعصوا إصراراً علىٰ الكفر وقتالكم ، فقاتلوهم ، واعلموا يقيناً أنّ ٱلله معكم نصيراً .

ولذا فالقتال في الإسلام لم يكن غاية في ذاته ، بل هو لأجل تحقيق السلام والأمن ، كي لا يعم الفساد في الأرض، وسفك الدماء فيها بغير حق ، وكي لا تكون الفتنة التي بها تسود المظالم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، فالغاية إذاً من القتال هي أن يكون الدين لله تعالىٰ ، فالدين به يتحقق السلام ، وتعمر الأرض ، ويكون الإنسان عليها متوجاً خليفة .

ومع أن القتال حق في سبيل إحقاق الحق ، إلا أن الإقدام عليه ليس بالأمر الهين ، ولهـٰذا جاءت المؤازرة المحققة للطمأنينة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ فقوله ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ بمعنىٰ : فثقوا يقيناً أن لكم مناصرة من الذي لا يُهزم أبداً ، فلا تترددوا في إعداد العدة وأقدِموا ولا تخافوا ، فالذي يجب أن يخاف هو من لا نصير له ، أما أنتم أيها المسلمون حقاً ! فلكم النصر في كل معركة حق ، ومن يستشهد منكم يصبح مع الأحياء الذين هم عند ربِّهم يُرزقون ؛ إذاً قوله تعالىٰ : ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ إخبار بما لم يكن لديهم من علم ، وهـٰذا الإخبار من ٱلله تعالىٰ بالنسبة للمؤمنين حقاً مُحفِّزٌ لهم علىٰ دخول المعارك ، وهم متيقّنون من الفوز والنصر المؤزر .

إذاً النصير يحقق مما يحقق لمن يقاتل في سبيله أموراً منها :

أ ـ النصر علىٰ الذين يودون أن يعم الفساد في الأرض ، ولا يودون إصلاحاً فيها ، وهم يسفكون الدماء بغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٤٠] .

ب ـ الاستشهاد الذي به تُكتب الحياة السرمدية ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ

ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧٣] .

وعليه نقول :

النصير : هو الذي يمتلك مقاليد القوة والقدرة ، ويعلم مكامن الضعف في المعتدين والظالمين ، فيزيدها ضعفاً علىٰ ضعفها ، ويعلم مكامن القوة في المدافعين عن الحق ، فيزيدها قوة علىٰ قوتها ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران : ١٢٤ ـ ١٢٧] .

أمَّا النصير علىٰ المستوىٰ البشري ؛ فهو المتأهب غير المتردد ، والمستعد غير المتأخر عن الإقدام علىٰ مناصرة الحق وأصحابه ، وهو من يمتلك القوة ويوظفها عن إيمان راسخٍ ، لا عن عاطفة مؤقتة .

والعبد النصير : هو من يستمد صفته وقوته ، من صفة النصير المطلق ـ جل جلاله ـ فلا يتأخر عن موعد مناصرته ، وهو علىٰ بيِّنة وإرادة من أمره والأمر الذي من أجله كان نصيراً ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء : ٧٥] الخطاب التساؤلي في هٰذه الآية الكريمة ، موجَّه للمؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، أي لماذا لا تقاتلون الظالمين الذين يعتدون علىٰ الضعفاء منكم ؛ من النساء ،

والرجال ، والولدان ، الذين يدعون ٱلله سراً وعلانية ، بأن يجد لهم مخرجاً من هٰذه القرية التي طغىٰ فيها الكفرة ، والمشركون علىٰ المستضعفين الذين لا قوة لهم سوىٰ دعائهم ٱلله تعالىٰ بأن يجعل لهم من يناصرهم علىٰ الأعداء ، ويخرجهم من هٰذه القرية ، لذا جاءت المخاطبة لأنصار ٱلله وهم المؤمنون حقاً ، فقاتلوا في سبيله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٧٦] .

يُفهم من هٰذه الآية أن الذين يقاتلون في سبيل ٱلله هم الأنصار ، والذين يقاتلون في سبيل الطاغوت هم الكفرة الفجرة ، ولهٰذا فالنصير المطلق يناصر من ناصره ، ويتولاه رعاية وعناية وحفظاً ، حتىٰ يخرجه من الظلمات إلىٰ النور ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

النصير لا يمكن أن يكون بعيداً ، فإن كان بعيداً يكون من الغائبين عند الضرورة والحاجة ، ولا يمكن أن يكون جاهلاً ، فإن كان جاهلاً فقد المعرفة التي بها يتمكن من اتخاذ قراره عن وعي وإرادة حرة ، متىٰ شاء كيفما شاء أينما شاء مع من يشاء ، إذاً لابد أن يكون النصير قريباً ويكون عالماً ، ولهٰذا كان النصير المطلق أقرب إلينا من حبل الوريد ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [قٓ : ١٦] ، وقربه إلينا أقرب من حبل الوريد ، يدل علىٰ حضوره الدائم ، وعلمه الدائم الذي لا يحتاج لمن يُنبهه أو يدعوه أو يناديه ، فالمناداة لا تكون إلا للبعيد ، أمَّا القريب فهو الذي يرىٰ ويسمع قبل أن نرىٰ ونسمع ، قال تعالىٰ : ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة : ١] .

بطبيعة الحال إن لم يكن النصير سميعاً بصيراً ، فكيف له أن يكون

مناصراً ، فالمناصرة تُطلب في كل كبيرة وصغيرة ، فهي لا تقتصر علىٰ الأشياء الظاهرة فقط بل تتعداها إلىٰ الباطن ، وإلىٰ ما كان متناهياً في الصغر والدقة ، ولهٰذا لا يمكن أن تتحقق المناصرة علىٰ أرض الواقع ، إن لم تكن صفات وأفعال المناصر علىٰ الإطلاق ، حتىٰ يستطيع أن يعلم وينبأ بكل كبيرة وصغيرة ، قال تعالىٰ : ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : ١٦] .

ولأن ٱلله نصير لمن ينصره فلِمَ لا نقيم له الصلاة ؟ ولِمَ لا نؤتي في سبيله الزكاة ؟ ولِمَ لا نعتصم به واحداً أحداً ؟ قال تعالىٰ : ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج : ٧٨] .

ولأنه نعم المولىٰ ونعم النصير ، فنعمه تتعدد ، ومناصرته تتعدد ، علىٰ أوجهٍ منها :

١ ـ أنَّ ٱلله نصير لمقيمي الصلاة ، قال تعالىٰ : ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣] .

٢ ـ نصير لمؤتي الزكاة ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة : ١١٠] .

٣ ـ نصير المعتصمين به واحداً أحداً لا شريك له في الملك والأمر ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١٤٦] .

٤ ـ نصير لِمن يُحق الحق ويُزهق الباطل ، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٧ ـ ٨] .

٥ ـ نصير لِمن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن النكر ، قال تعالىٰ : ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٣ ـ ١١٥] .

٦ ـ نصير لِمن استغفره وتاب إليه ، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

٧ ـ نصير للصائم طاعة لله تعالىٰ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥] .

٨ ـ نصير لمن حجَّ إلىٰ بيته الحرام ، ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧] .

٩ ـ **نصير لمن جاهد في سبيله تعالىٰ** ، ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٨٨ ـ ٨٩] .

١٠ ـ نصير لِمن آمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

١١ ـ نصير لمن آتىٰ المال علىٰ حُبِّهِ ذوي قربىٰ ويتامىٰ ومساكين وأبناء سبيل ، والسائلين وفي الرقاب ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

١٢ ـ نصير لِمن أوفىٰ بعهده إذا عاهد ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

١٣ ـ نصير للصابرين في البأساء والضراء ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

١٤ ـ نصير لِمن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتمه ، ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٢] .

١٥ ـ نصير لِمن يستجيب له ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

١٦ ـ نصير لِمن يقرضه قرضاً حسناً ، ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٦ ـ ١٧] .

١٧ ـ نصير لمن يتصدَّقُ من حلاله ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف : ٨٨] .

وعليه أقول :

النصير ـ جل جلاله ـ سُمِّي نصيراً لأنه كثير المناصرة دون انتظار مقابل .

قال تعالىٰ : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠] ، مطلب من رسول كريم إلىٰ من اصطفاه وبعثه نبياً رسولاً ، بأن يجعله علىٰ الحق في كل بداية ونهاية ، وفي كل حركة وسكون ، وفي كل تنقل وإقامة ، ولأن الأمر متعلق بمحمد ﷺ فقد فسَّر المفسرون أن هـٰذا الأمر الذي بشأنه طلب الرسول من ربِّه أن يدخله مُدخل صدق ويخرجه مُخرج صدق ، هو متعلق بهجرة محمد ﷺ من مكة إلىٰ المدينة ، ولـٰكن في مفهوم الآية الكريمة السابقة معنىٰ يسمح لنا بالقول : إنَّ الأمر يتعلق بكل أمرٍ فيه خير ، ولهـٰذا فهـٰذه الآية تُعد فاتحة لأبواب الفلاح ، والصلاح ، والإصلاح ، وأبواب الخير ، لمن أراد أن ينجو من ظلمٍ أو عقبةٍ أو مكيدةٍ ، ليكون في حفظ ٱلله ورعايته .

أمَّا قوله تعالىٰ ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠] بدون شك لله جنود السمـٰوات والأرض، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٧] ، وعندما كان رسول ٱلله ﷺ في حاجة وهو يعلم أنَّ لله جنود السمـٰوات والأرض ، طلب من ربِّه أن يجعل له سُلطاناً يناصره علىٰ مغالبة الباطل ، وإبطال كيد الكائدين ومكر الماكرين ، فجاءته المناصرة استجابة لدعائه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١] .

ولأن النصير مالك الملك ، فهو يناصر بالمطلق ، أي لو لم يكن له الأمر وله المُلك وله القوة والقدرة وله الهيمنة وله العزة ما كان نصيراً بالمطلق ، ولأنه يملك كل شيء بأمره فهو النصير ـ جل جلاله ـ ، ولأنه كذٰلك فلا مناصرة ولا نصر إلا من عنده ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران : ١٢٦ ـ ١٢٧] .

وهـٰكذا فهو دائماً نصير للأنبياء والمرسلين والصديقين والمخلصين له الدين ، فقد ناصر موسىٰ بهارون ، وناصرهما معاً بسلطان من عنده ، أي ناصرهما بالحُجَّة التي كان يفتقدانها مناصرة حتىٰ كانت لهما الغلبة ، مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص : ٣٥] .

إذاً النصير هو ٱلله تعالىٰ ، الذي لا شك في مناصرته لك إن كنت من عباده الصالحين ، ولهـٰذا كان اسمه النصير ـ جل جلاله ـ ملازماً لأجل تحقيق أفعال المناصرة ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء : ٤٥] ، بدون شك ، ٱلله أعلم منَّا بأعدائنا ، فهو يعلم السرَّ والجهر ، ويعلم بما يكن الأعداء قبل أن يكنوه ويعلمه مكنوناً ، وقد نقع في منافقتهم لنا ونحن لا ندري ، ولهـٰذا ليس للمؤمن بدّ من أن يولي أمره إلىٰ ٱلله قائلا ما قاله تعالىٰ لمحمد ﷺ ليقوله لأعدائه :

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

وعليه نقول : المناصرة علىٰ أوجه منها :

أ ـ المناصرة بسلطان الحُجَّة كما هو حال موسىٰ وهارون ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ .

ب ـ المناصرة بسلطان من جنده ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٤٠] .

ج ـ المناصرة من المؤمنين المحبين للحق والعاملين علىٰ إحقاقه ، كما هو حال محمد ﷺ والأنصار بالمدينة ، الذين ناصروه علىٰ الحق وإحقاقه ، ومن قبله عيسىٰ الذي ناصره الحواريون مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

د ـ المناصرة بالإمداد والعدة : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] .

وعليه المناصرة حق بين المؤمنين الذين أسلموا وجوههم لله تعالىٰ واحداً أحداً لا شريك له ، له الملك وبيده الأمر ، لذا يجب علىٰ العبد أن يكون نصيراً للحق وأصحابه ولأجل بلوغه ذٰلك فعليه بأمور منها :

أ ـ العلم الذي به يتعلَّم الحُجَّة .

ب ـ العمل الذي به يكتسب الخبرة .

ج ـ الإيمان الحق الذي به يصبر حتىٰ يكون أسوة حسنة .

د ـ الحكمة حتىٰ يتصف بها في قوله وفعله .

ولذا فمن لا يكون علىٰ هٰذه الفضائل ، لا يمكن له أن يكون نصيراً ، ومن يستمد صفاته من النصير المطلق يوصف بأنه نصير .

اللهُمَّ ! إنك النصير الذي نصر عبده بالرسالة الخاتمة ، فاجعل الرسالة الخاتمة محققة لكل نصر ، ومدَّنا بالعزَّة والقدرة ، لنكون متهيئين ومستعدين لصناعة النصر ، وقادرين علىٰ إلحاق الهزيمة بأعداء الدين .

اللهُمَّ ! إنك النصير بالأمر (كن) فاجعل لنا (بكن) سلطاناً نصيراً ، وإنك النصير بقول الحق فاجعل لنا لسان صدق نصيراً ، وإنك النصير بالفعل الحق فاجعل لنا مَقْعَدَ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ .

✍ ✍ ✍

النَّـاصِرُ

الناصر : من أسماء ٱلله الحسنىٰ وهو : « الناصرُ وليَّه ، الخاذل عدوه ، الهادي إلىٰ الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه» [١] .

الناصر : هو من ينصر مُحقي الحق بدون سبب ، وذٰلك لأنه الحق ذاته ، ولذا فمن ينصرن ٱلله ينصره ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

ومع أن ٱلله تعالىٰ ينصرنَّ من ينصره إلا أنه لم يكن في حاجة للمناصرة في ذاته ، فهو مالك الملك وهو الكريم المتعال ، بل الناس ـ دون استثناء ـ هم الذين في حاجة لنصره تعالىٰ ، ولهـٰذا فمن عباده المسلمين من هم في حاجة ، فيتوجهون إليه بالطَّلب والدعاء فيكون لهم خير ناصرٍ ، أي عندما يقاتل المسلم في سبيل إحقاق الحق، لابد وأن يكون الناصر له ـ جل جلاله ـ قريباً سميعاً مجيباً فيتحقق النصر بأسباب الإخلاص في المقاتلة في سبيله (في سبيل إحقاق الحق) ولهـٰذا فالناصر ينصرنَّ من ينصره .

النصر : هو المترتب علىٰ ما يُقدَّمُ من جهد في سبيل تحقيقه ، وهو لا يتحقق إلا بامتلاك القوة والقدرة ، ولا يكون علىٰ المستوىٰ البشري إلا علىٰ يد من يمتلك الإرادة مع الاستطاعة من حيث :

أ ـ التهيؤ :

الذي هو تطلُّع ، ورغبة ، وتأهب ، لتلبية النداء متىٰ ما صدر من مصدره

---

(١) تفسير الطبري ، ج ١٥ ، ص ٣٢٠ .

الحق ، ومن لم يكن متهيئاً يكون متثاقلاً إلىٰ الأرض ، وهو راضٍ بالحياة الدنيا ، ولا يكون من المتطلِّعين إلىٰ الحياة العليا التي فيها فوز ونصر كبير ، قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ ـ ٤٠] .

ب ـ الاستعداد :

إعداد العدة التي تُمكِّن من دخول الميدان دون خسائر ، أو بأقل ما يمكن من الخسائر ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

ج ـ الفعل :

دخول ميادين القتال ، وميادين العمل ، بعزيمة وقوة مع تيقُّن بأن النصر حليف لمن يقاتل في سبيل الله تعالىٰ ، كما جاء في الكتاب الحكيم : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩١ ـ ١٩٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال : ١٥ ـ ١٦] .

وعليه نقول :

يتحقق النصر بتوفر أمور منها :

ـ الإيمان بأن النصر حق وليس للمرء بدّ إلا بلوغه ، طاعة في سبيل الله عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧ ـ ١٠] .

ـ انتزاع الخوف من النفس انتزاعاً ، قال تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥ ـ ١٢٧] .

ـ قبول التضحية بالأموال والأنفس ، قال تعالىٰ : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥ ـ ٩٦] ، ولذلك الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم هم أولياء بعضهم بعضاً ، والذين آمنوا ولم يهاجروا لا ولاية لهم حتىٰ يهاجروا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [الأنفال : ٧٢ ـ ٧٥] .

ـ إظهار القوة دون تردد ولا رأفة علىٰ المعتدين ، إلا إذا جنحوا للسلم ، قال تعالىٰ : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٤ ـ ١٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] .

ـ القدرة علىٰ المغالبة وهي لا تكون إلا بغرس الثقة في النفس ، لتطمئن بما هي عليه من قوة إيمانية صامدة ، وهي غير قابلة لأن تهتز ، فلا تهزها الرياح متىٰ ما هبَّت عليها من قريب أو بعيد .

ـ الصبر علىٰ الألم دون مقابل استسلام لضغوطه المؤلمة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

والنصر كما جاء في لسان العرب هو : « إعانة المظلوم ، نصَره علىٰ عدوّه ، ينصُره ، ونصَره ينصُره نصْراً »[١] .

والمؤمن من المسلمين يعلم يقيناً ، أن النصر سيكون حليفه في كل مُدخل أو مُخرج ، بما أنَّ الناصر ـ جل جلاله ـ مناصر له ولن يخذله ، ولن يغالبه أحدٌ بما أنَّه بمناصرته مناصر ، وفي مقابل ذٰلك من يخذله الناصر تعالىٰ فلن يجد له ناصراً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] . أي لو يخذلكم الناصر بخذلانكم له فمن بإمكانه أن ينصركم ؟

سؤال لا إجابة له بتحقيق النصر إلا بنصره ، وهٰذا الأمر أمر تسليم بالمطلق ، حيث من لا ينصره الناصر ـ عز وجل ـ لن ينتصر . ولذٰلك قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] ، أي لو

---

(١) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٢١٠ .

لم تنصروه لن ينصركم ، بمعنىٰ إن خذلتموه بعدم الطاعة وارتكاب الفواحش وعدم تجنب ما نهىٰ عنه ، وتكفرون به أو تشركون فلن يكون مناصراً لكم ، ولذا عندما تشتد عليكم دوائر السوء ، لن تجدوا مناصراً لكم غيره ، فناصروه ينصركم .

الحياة جميعها مترتبة ؛ علىٰ سببٍ ، ومسبِّبٍ ، ومسبَّب ، وهو المترتب علىٰ وجود الأسباب وفاعليها ، (المسبِّبين لها) ولأن الحياة هـٰكذا ، هـٰكذا يكون النصر فهو لا يمكن أن يكون إلا وان تكون من ورائه أسباب ، وأن يكون من وراء الأسباب مسبِّب لها ، ليكون النصر هو النتيجة وهو (المسبَّب) ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران : ١٢٦] ، وإلا هل هناك من يظن في أن النصر الذي يفوز به ، لم تكن من ورائه أسباب ومسبِّبٍ للأسباب ؟

إن كان هناك من يظن فعليه أن يفكِّر جيداً لكي يعرف الحقيقة التي مفادها في هـٰذه الآية الكريمة ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ .

وليعلم الجميع عندما تشتدُّ بهم الأحوال ، وتتأزم عليهم في ميادين المواجهة والقتال ، ويفاجئون بِعُدَّة وشراسة الأعداء وبلائهم في المقاتلة ، حينها لا ملجأ لهم إلا إليه ، فإن كانوا مؤمنين تكون لهم الاستجابة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : ٩ ـ ١٠] .

ولأن الناصر تعالىٰ ينصر بنصره من يشاء من عباده ، فكان نصره سبباً لنُصرةِ من شاء ، ولهـٰذا كان نصره تعزيزاً ورحمة علىٰ الذين شاء ٱلله أن ينصرهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم : ٥] .

قال تعالىٰ : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ

مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

يُفهم من هٰذه الآية الكريمة مما يُفهم منها ؛ أنَّ العباد المؤمنين يخافون ٱلله ويتقونه ويسعون دائماً لمرضاته تعالىٰ ، ويتضرعون إليه ملاطفة ، وتأدبا ، ومحبة ، ومودة ، أن لا يحمِّلهم ما لم يستطيعوا حمله ، حتىٰ لا يفشلوا فيما يُحمَّلونَ به ، ولذا فكانت لهم أربعة مطالب في الآية الكريمة السابقة ، كل مطلب منها يُستمد من صفة مستمدة من اسم من أسمائه الآتية :

أ ـ من اسمه العفوّ ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا﴾ .

ب ـ من اسمه الغفور ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ .

ج ـ من اسمه الرحمٰن ﴿ وَٱرْحَمْنَآ﴾ .

د ـ من اسمه الناصر ﴿ فَٱنصُرْنَا﴾ .

وفي كل هٰذه الصفات السابقة نصر ، وإلا هل هناك من لا يعرف أن في صفة العفو محققات للانتصار ؟ فالذي طلب العفو من العفوّ المطلق واستجاب له في طلبه ، ألا يعد من الذين ناصرهم ونصرهم ٱلله في تحقيق مطالبهم ؟

وهٰكذا بالتمام بالنسبة لمن طلب المغفرة من الغفور المطلق ـ جل جلاله ـ واستجاب له في طلبه ، ألا يُعد هو الآخر قد فاز بنصرٍ من الغفور الذي جازاه غفراناً ؟

وكذٰلك نيل الرحمة ، فهي لا تنال بالمطلق إلا من الرحمٰن تعالىٰ الذي إن استجاب وهب رحمة من رحمته الواسعة ، لمن تضرَّع إليه في طلبه ، وبنيل العبد الرحمة استجابة لطلبه ودعائه الذي أخلص فيه الدعاء إليه تعالىٰ ، يكون من الفائزين والمنتصرين باستجابة الرحمٰن لدعائه .

ولذٰلك نقول :

في كل صفة من صفات ٱلله تعالىٰ تتداخل بقية صفاته الكريمة ، وإلا هل يمكن أن يكون كريماً لو لم يكن قوياً وقادراً ، ومالكاً للملك وفعَّالاً لما يُريد ؟

وهٰكذا الرحمٰن هل يمكن أن يكون الرحمٰن ، لو لم يكن قوياً وقادراً ومالك للملك وعزيزاً وودوداً وكريماً ، وهٰكذا كل الصفات تتداخل كما سبق أن بينَّا ذٰلك في موسوعتنا « أسماء ٱلله الحسنىٰ ، وأثرها علىٰ استخلاف الإنسان في الأرض » .

ولأن لله تعالىٰ الأسماء الحسنىٰ ، ولأن لكل اسم من أسمائه الحسنىٰ صفة مطلقة في حسنها ، فالرحمٰن بالرحمة رحيم ، والكريم بالكرم كريم ، والناصر بالنصر ناصر ، وهٰكذا في كل اسم صفة ، أو فعل منه تستمد القوة ، والقدرة ، والنصر والمناصرة ، لذا جعل ٱلله تعالىٰ في كل صفة من صفاته الحسنىٰ استجابة لمن دعا ربَّه وتضرع إليه ، وفقاً لما يشبع حاجة أو كربة أو داء ألم به ، وهو مؤمن مسلم ، ولهٰذا نقول : لولا اسمه الناصر ، ما كان لنا في النصر من نصيب ، ولأننا نؤمن به ناصراً فهو الناصر لنا بمناصرتنا له إيماناً ، وطاعة ، واتباعا واحداً أحداً لا شريك له ، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير . قال تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

وقد يتساءل البعض :

هل يمكن أن يتحقق النصر إن لم يكن من ورائه مناصر مطلق ؟

بطبيعة الحال لا يمكن أن يتحقق النصر بدون صفاء نية ، وإخلاص في العمل ، ومجاهدة نفس ، والقبول بدفع الثمن بإرادة ، فالإنسان وإن جاهد بكل ما لديه من قوة في دائرة الممكن المتوقع ، وغير المتوقع ، قد تواجهه قوة أخرىٰ من إنسان آخر ، تفوق قوته قوة فتهزمه ، بثمن أو بدون ثمن ، ولٰكن المؤمنين حقاً هم الذين لا ييئسون ولا يقنطون من بلوغ الغايات العظام ، ولهٰذا نفوسهم مطمئنة لما يلم بهم ابتلاءً ، أو يلم بهم انتصاراً .

ولأن الإنسان وإن امتلك القوة المادية ، فهو لن يبلغ القوة المطلقة ، وإن كان قوياً فهو في دائرة النسبية يدخل مجالات المقارنة ، مما يجعله مرة أقوىٰ ،

وأخرىٰ أقل قوة ، وثالثة متوسط القوة ، ولهـٰذا فهو معرض للهزيمة مع كل مقارنة من المقارنات الثلاثية السابقة ، ولن يتحقق له النصر إلا بانبعاث القوة فيه من قوة الناصر المطلق ، الذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

ولأن الناصر هو القريب ، وهو السميع المجيب ، والعليم الحكيم ، فهو مالك الملك ، والقوة ، والقدرة ، وكل الصفات الحسنىٰ ، لذا لا استغراب في مناصرته لمن يناصر الحق إحقاقاً ويزيح الظلم حقاً .

وقد يتساءل سائل رغبة لاطمئنان قلبه :

هل الناصر ناصر للعامة أم للخاصة ؟

نقول :

إنه الناصر لكليهما ؛ ولـٰكن لكلٍ سبيله في المناصرة .

فالعامة الأبواب مفتَّحة أمامهم ، إن شاؤوا وعملوا ، ولذٰلك فالناصر ربُّ العامة والخاصة ، وإن لم يشاؤوا ولم يعملوا ، فلن يكون لهم النصر ملازماً .

أمَّا الخاصة هي الفئة المتهيئة والمستعدة والعاملة علىٰ نيل النصر وانتزاعه بالقوة ، إرادة دون ظلم أو إفساد في الأرض ، وسفك الدماء فيها بغير حق ، وهـٰؤلاء هم أنصار الحق لله تعالىٰ ، ولأنهم كذٰلك سيجدون الناصر الذي بيده الأمر والنهي ميسِّراً لهم النصر الذي لن يتحقق إلا علىٰ أيديهم ، ولهـٰذا المتثاقلون إلىٰ الأرض فئة لا يتحقق علىٰ أيديهم النصر ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ ـ ٤٠] .

النصر لا يتحقق إلا بامتلاك الحُجَّة والإخلاص في العمل ، ولأن الأمر متعلق بامتلاك الحُجَّة والإخلاص في العمل ، فإن الحُجَّة مهما عظمت لن تكون بيد الإنسان ، إلا في دائرة الممكن ودائرة النسبية ، ولهٰذا كل إنسان هو في حاجة لمن يناصره لأجل بلوغ النصر ، ولذا جاء الرُّسُل الكرام عليهم السلام مناصرين للحق وأهله ، وجاء العلم مناصراً لمن ألم به ، ولٰكن مهما ألمَّ الإنسان من العلم علماً ، فلم يؤت منه إلا قليلاً ، ولهٰذا فهو في حاجة لمن يمتلك مقاليد القوة التي بها يتحقق النصر ، قال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

يُفهم من الآية الكريمة السابقة أن أنصار الحق هم أنصار ٱلله ، ولهٰذا بعث ٱلله تعالىٰ الرُّسُل مناصرين للحق ، وأنزل الكتاب مناصراً للحق ، وجاء العدل إحقاقاً للحق ليقوم الناس بالقسط ، وأنزل الحديد قوة وفيه منافع كبيرة للناس الذين أُلِين لهم ، والذين نوَّعُوه وسيلة مصنوعة للدفاع والحماية وتحقيق النصر ، وعليه أقول لا نصر إلا بالإقدام والعمل وقوة الإرادة وشدة العزيمة ، لا بالتثاقل أو الانسحاب من ميادين العمل الحق ، ولهٰذا جاء قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

ولأن الناصر هو القوي العزيز القادر ، إذاً كيف لا يتحقق النصر إن أراده نصراً متىٰ ما يشاء وكيف يشاء لمن يشاء وأينما يشاء ؟

أقول : القرآن خير دليل وخير شاهد علىٰ تحقيق النصر لمن يشاء ، كيفما يشاء ، ومتىٰ ما يشاء ، وأينما يشاء ؟ قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

هـٰذه الآيات الكريمة خير شاهدٍ علىٰ ما تحقق من نصر للعاملين عليه بجنود مُسَخَّرة من الناصر ـ جل جلاله ـ ، وهي الطيور التي ناصرت أصحاب الحق في ٱلله تعالىٰ ، وكانت سبباً مسخراً من الناصر تعالىٰ في هزيمة أصحاب الفيل المعتدين ظلماً وبهتاناً ؛ وبهـٰذه الآيات العظام ازداد المؤمنون إيماناً مع إيمانهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ٤] .

بدون شك إنَّ لله جنود السمـٰوات التي رئيت في معركة أصحاب الفيل وله جنود أخرىٰ لم تُرَ بعد ، وهي الجنود المسخَّرة لمناصرة الذين يصلحون الأرض ولا يفسدون فيها ، ولا يسفكون الدماء بغير حق ، وهم المؤمنون بالناصر لمن شاء كيفما شاء ، متىٰ ما يشاء ، وهم المنتهون عمَّا نهىٰ ، والمحرمون لما حرَّم ، والمجتنبون لما أمرهم اجتنابه ، والداعون للخيرات ، ولهـٰذا الطيور التي بعثها الناصر لمناصرة أصحاب الحق ، هي غير المألوفة في الأرض ، إنها الجنود المقاتلة ، هـٰذه الطيور قد تمت رؤيتها ، وهناك من الجنود المسخرة بإذنه وأمره لمناصرة من يشاء من عباده ، كما ناصر رسوله محمداً ﷺ بجنود لم تُرَ فجعل كلمة الذين كفروا هي السفلىٰ ، وكلمة ٱلله هي العليا ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

ولأن الناصر هو ٱلله كما جاء في هـٰذه الآية الكريمة ، إذاً الناصر اسم من أسمائه الحسنىٰ ، ولذا فهو مثل أي اسم من أسماء صفاته ، أي كما أن الرحمـٰن هو ٱلله ، والرحيم هو ٱلله ، والكريم هو ٱلله ، والنصير هو ٱلله ، كذٰلك الناصر هو ٱلله ـ جل جلاله ـ ولا فرق في شيء من صفاته الحسنىٰ ،

ولأن رسول ٱلله ﷺ مناصر لله فيما يشاؤه أن يُحق ، لذا كان ٱلله هو الناصر له بجنود لم يروها .

وعليه مع أن الناصر هو ٱلله تعالىٰ ، إلا أن الناصر لن ينصر من لم ينصره ، فهو الناصر للحق ، والمبطل للباطل ، ولهٰذا لن يكون مناصراً لأصحاب الباطل بل هو مناصر لأصحاب الحق ، كما ناصر رسوله الكريم محمداً ﷺ يوم أخرج من قريته بغير حق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٣] .

والذين ليس لهم قوة معنوية ومادية ، في سبيل إحقاق حق ، وإبطال باطل أولـٰئك لا ناصر لهم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] .

يُفهم من هـٰذه الآية الكريمة أمران :

١ ـ القوة وتتمثل في :

أ ـ قوة العقيدة .

ب ـ قوة الإيمان .

ج ـ قوة العزيمة والإصرار .

د ـ قوة الإرادة .

هـ ـ قوة التهيؤ .

و ـ قوة الاستعداد (العدة والمناصرين سواء كانوا من ذوي قربىٰ أو من الأحلاف) .

ز ـ قوة الفعل (تخطيط مع وضوح الغايات) .

ح ـ قوة العمل (الإقدام) .

٢ ـ الناصر : هو ٱلله ـ جل جلاله ـ ، ولهـٰذا يتحقق النصر بأحد

السببين ؛ قوة تُحق الحق وتُزهق الباطل ، أو استجابة من الناصر لعباده الذين أخلصوا وجوههم إليه ، واحداً أحداً ، لا شريك له ، بيده الخير ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

وعليه لا تناقض في الأمر بين توفر القوة في مرضاة ٱلله تعالىٰ ، وبين أن يعمل الإنسان ويخلص في سبيله ، فيكون له الناصر ولياً يوم لا وليَّ إلا هو ـ عز وجل ـ ، ولهـٰذا المسلم وهو يجاهد في سبيل ٱلله يؤمن بأن نصر ٱلله قريب ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ، بدون شك إنَّ الناصر هو ٱلله تعالىٰ ، ولأنه ٱلله ، فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ومن خلال استخراجنا السؤال القرآني ، ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ ؟ :

يتم التعرف علىٰ الإجابة بأن الناصر هو ٱلله ، ولهـٰذا نحن دائماً نقول إن الناصر اسم من أسمائه الحسنىٰ .

ولأن صيغة السؤال جاءت ظرفية (زمنية) جاءت الإجابة أيضاً ظرفية (زمنية) بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

الناصر في الوقت الذي يناصر فيه عباده الصالحين والمصلحين في الأرض ، وهم مؤمنون في الوقت ذاته ، ينتقم من الذين يظلمون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] . ولهـٰذا فالناصر جاء اسماً من أسمائه الحسنىٰ ، محققاً للرحمة علىٰ الوجهين :

١ ـ وجه النصر : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٢ ـ وجه الانتقام : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ ﴾ .

وعليه ؛ لقد جاء ت الرحمة نصراً متراتباً في دائرة المنطق ، من حيث جاء

الانتقام من الذين أجرموا أولا ، فكان النصر من بعده محققاً ثانياً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بتحقيق الانتقام من المجرمين شُفيت قلوب المؤمنين ، واطمأنت فكان لهم النصر بأسباب المناصرة من الناصر المطلق جل جلاله .

ولأن الناصر هو ٱلله ، قال تعالىٰ : ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف : ١٣] ، أي عندما يكون الناصر هو ٱلله ـ عز وجل ـ فبشِّر المؤمنين بأن الفتح الذي ينتظرونه قريب ، ولإيمانهم بأن الناصر هو ٱلله ، الذي جاءت منه البشرىٰ فهم لا يشكون في تحقيق النصر علىٰ أيديهم ، فيزدادون إيماناً مع إيمانهم ، ويزدادون ثباتاً ، ولذٰلك كان لهم النصر محققاً يوم الفتح العظيم لمكة ، الذي يوم مجيئه هلل المسلمون مع رسولهم الكريم محمد ﷺ بحمد ٱلله واستغفروه وهم تائبون إليه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر : ١ ـ ٣] .

وعليه نسأل :

النصر ممن ؟

لا شك في ذٰلك ؛ إنه النصر من ٱلله تعالىٰ .

ولأن الناصر هو ٱلله تعالىٰ ، إذاً لا شك في أن النصر فعل من أفعاله المطلقة ، وهٰذا الأمر يجعل في اسمه الناصر صفته التي بها يوصف جل جلاله .

ولأنه الناصر ـ عز وجل ـ بالمطلق لذا لا محقق للنصر غيره ، فالذين يتخذون من دونه أرباباً لن ينصروا متخذيهم أرباباً ، فأولـٰئك هم القاصرون عن تحقيق النصر ، حتىٰ لأنفسهم ، فما بالك بأن يحققوا نصراً لغيرهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٢] .

ولأن الناصر هو ٱلله تعالىٰ ، قال في كتابه الحكيم : ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا

عَزِيزًا﴾ [الفتح : ٣] ، أي لا ناصر غيره ، ولهٰذا فهو الناصر جل جلاله .

وعلىٰ خليفة ٱلله في أرضه أن ينصر الحق بالحق ، وينصر المظلوم من الظالم ، حتىٰ يفك القيد عنه ، ويمكنه من ممارسة حريته بإرادة، وأن ينصر من يستنصر به من المسلمين ، وعليه أن يعلم أنَّه لا نصر إلا من عند ٱلله الناصر فليتقِ ٱلله ربَّه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فإن نصر الخليفة ربَّه يجده خير ناصرٍ له في كل مكان وزمان ، فلا يتردد الخليفة في أداء الخير الذي به يتحقق النصر لمن هم في حاجة إليه .

اللهُمَّ ! إنك قد نصرت رُسُلك الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بإتمام رسالاتهم ، فانصر رسالة الإسلام وانصرنا مسلمين ، ولا تجعلنا متثاقلين إلىٰ الأرض ، ولا مستعجلين فيها ، بل من المتدبرين لأمرهم وما يتعلق به من أمر .

اللهُمَّ ! إنَّك الناصر العزيز فانصرنا نصراً عزيزاً ، وثبت أقدامنا علىٰ الحق حتىٰ ننتصر علىٰ أعداء الحق ، اللهُمَّ ! إنك الناصر بالقوة فمدنا بقوة من قوتك ، بها تتهيأ الأنفس ، وتقوىٰ الإرادة ، ويتم الاستعداد ، وينجز العمل والفعل ، ويصدق القول ويُصنع التاريخ .

✍ ✍ ✍

أحكمُ الحاكِمينَ

أحكمُ الحاكمين : هو مطلق الحُكم والحكمة والعدل ، فلا حكم عدل إلا من حُكمه وحكمته وعدله .

أحكم الحاكمين : هو ٱلله الذي أنزل الحكم بين الناس عدلاً .

أحكم الحاكمين : هو مصدر الحكم الذي به توازن الخلق في سمٰاواته وأرضيه وما بينهما .

أحكم الحاكمين : اسم ليس للتفضل ، بل لعدم المشابهة والمماثلة ، ولهٰذا فهو أحكم الحاكمين الذي لا يخضع للمقارنة .

المؤمن الحق يولي أمره إلىٰ ٱلله ، وهو متيقِّن أنَّ حكمه فيه عدل ، فبما يحكم ٱلله هو الحق ، ولذا فلا اعتراض لحكمه ولا احتجاج ، بل تأييد وقبول والتزام ، كما هو حال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا نادىٰ ربَّه ليحكم في ابنه الذي كان يعتقد أنه من أهله ، إلىٰ أن حكم أحكم الحاكمين فيه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود : ٤٥] .

أحكم الحاكمين : هو الذي في حكمه الخير للمتحاكمين ، فهو لا يظلم أحداً من خلقه ، فالذين لم يؤمنوا بما أُرسل به الرُّسُل الكرام عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ والذين آمنوا بما أُنزل علىٰ الرُسُل هم أمام حكم أحكم الحاكمين متساوون ، فٱلله سيحكم فيهم وهو خير الحاكمين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٧] .

ولأنه أحكم الحاكمين ، وحكمه خير بعدله وحكمته فكان حكمه لرسول ٱلله محمد ﷺ أن يتبع ما يوحىٰ إليه ويصبر ، حيث ما أوحي إليه هو الحق الذي هم فيه مختلفون ، ولذا فكان اتباع النبي محمد ﷺ للوحي وصبره حقاً ، حتىٰ حكم ٱلله بينه وبينهم ، إنه خير الحاكمين ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٩] .

ولأن الدين من عند ٱلله ، والحكم به من ٱلله تعالىٰ ، فكيف يقبل بالتكذيب به وهو أحكم الحاكمين سبحانه ؟ قال تعالىٰ : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [التين : ٧ ـ ٨] .

ولذا كلما قيل : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ .

ليس لك بدّ إلا أن تقول : بلىٰ ! إنَّه أحكم الحاكمين .

ولأن ٱلله هو أحكم الحاكمين ، فهو يرىٰ ما لا يرىٰ المخلوق في أمره وأمر من حوله ، فعندما بُعِثَ محمد ﷺ رسولاً مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، ليحكم بينهم بما أنزل ٱلله وهو أحكم الحاكمين ، كان أمره تعالىٰ لنبيه محمد أن لا يتَّبع أهواء المختلفين في أمرهم ، وأن يحكم فيهم بما أنزل ٱلله في كتابه الحكيم ، الذي لا انحياز فيه إلا للحق ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة : ٤٨] .

ولأنه أحكم الحاكمين ، وحكمه الحق بالمطلق ، فالحكم بما أنزل يعد اتباع وطاعة لأمره ونهيه ، ولذا فعلىٰ الذين يلتزمون بما أنزل في أحكامهم بين الناس هم من المستخلفين في الأرض بالحق ، فمن تبعهم كان منهم ، ومن ضل عمَّا يحكمون به وهو الحق ، فلعل ذٰلك لازدياد ذنوبهم وفسقهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ

بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة : ٤٩] .

أمَّا الذين يحيدون عمَّا أنزله خير المنزلين في كتابه الحكيم ، فهٰؤلاء هم الذين علىٰ أحكام الجاهلية منتهجون ، أي هم الذين لا يريدون الإصلاح في الأرض وإعمارها ، بل هم للإفساد متخذون ، بظلمهم وإنكارهم للحكم الحق الذي فيه الناس يتساوون أمام أمر أحكم الحاكمين جل جلاله ، قال تعالىٰ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠] .

أحكم الحاكمين : هو الذي يحكم بالحق ، ولذا فمن يحكم بالحق يكون من الذين استمد صفاته من صفات أحكم الحاكمين ، قال تعالىٰ : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ١١٢] .

أحكم الحاكمين : هو الذي لا تأخذه العاطفة التي تجعله يميل عن الحق وإحقاقه ، فهو الذي يحكم شدة علىٰ أصحابها ، أو شدة علىٰ الشدة الظالمة فيكسرها ، ويفك الشدة عن المظلومين ، فالذين قالوا وهم يظنون أنهم قتلوا المسيح عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حكمهم فيه باطل ، فهو لم يُقتل ولم يُصلب بل رفعه أحكم الحاكمين إليه عدلاً وحقًا ، فالذين اتبعوه بالإيمان هم الذين حكم لهم أحكم الحاكمين ، بجعلهم فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران : ٥٥ ـ ٥٧] .

وعليه فالذين لا خير فيهم هم السمَّاعون للكذب ، والآكلون للسحت ، فهٰؤلاء حكم أحكم الحاكمين فيهم بيِّن ، فلا خوف أن تصدر ضدهم الإدانات الصريحة ، ولهم في الآخرة عذاب شديد ، ولهٰذا أمر ٱلله رسوله محمداً ﷺ

أن يحكم بينهم بالعدل ، وهو التأكيد علىٰ الحق الظاهر ؛ في التوراة بالنسبة لليهود والذين أمنوا منهم هم الذين يحكمون بالحق فإن أُخذ بحكمهم فحكمهم الذي هو من التوراة حق ، قال تعالىٰ : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة : ٤٢ ـ ٤٥] .

إذاً من يحكم بحكم أحكم الحاكمين ، لا يمكن أن يشتري بآيات ٱلله ثمناً قليلاً ، ومن لا يحكم بما أمر أحكم الحاكمين ، فأولـئك من الكافرين ، ولذا قد جاء في التوراة كما نزل في الكتاب الحكيم الحكم العدل الذي منه :

- النفس بالنفس .
- العين بالعين .
- الأنف بالأنف .
- والأذن بالأذن .
- والسن بالسن .
- الجروح قصاص .

وعليه فمن لا يحكم بما أمر أحكم الحاكمين ـ جل جلاله ـ فهو من الظالمين ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

ولأنه أحكم الحاكمين ؛ فحكمه واحد (الحق) ولذا فما أنزله في التوراة هو الحق ، وكذٰلك ما أنزله في الإنجيل هو الحق ، وما أنزله في القرآن هو الحق ، ولذا ٱلله أحكم الحاكمين واحد ، وعدله الحق واحد ، سبحانه إنه أحكم الحاكمين ، ومن لا يحكم بما أنزل ٱلله في التوراة والإنجيل والقرآن هم الفاسقون ، ولهٰذا أنزل الكتاب مصدِّقاً لما جاء في التوراة والإنجيل ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧ ـ ٥٠] .

ولأنه أحكم الحاكمين ، جاء عدله مبدأ باعتباره الأول بذاته ، وغاية باعتباره الآخر بذاته ، ومصدراً باعتباره الأول والآخر ، ولذا فالعدل اسم فعل في ذاته ، واسم صفة حسنة في ذاته ، وهو من حيث اللغة : مصدر يشتق منه اسم الفاعل « العادل » وغيره من المشتقات ، والعادل المطلق : هو ٱلله أحكم الحاكمين ـ جل جلاله ـ ، ومن يتبع هٰذه الصفة الحسنة يوصف بها ، ويستخلف بها في الأرض ليصلح ولا يفسد ولا يسفك الدماء بغير حق ، ولهٰذا تكون الإضافة إلىٰ العدل الذي هو فعل من أفعال العدل المطلق وصفة كاملة له ، به يتصف بالكمال والجمال ، ولهٰذا فخلفاؤه في الأرض هم المضافون إلىٰ العدل الذي هو من عنده عز وجل .

ولأن العدل هو المرتكز للحكم ، جاء العدل اسم صفة حسنى من صفاته تعالىٰ ، وهو أصل العدل ومصدره ، الذي تستمد منه أفعال العدل ، فلو لم يكن العدل أصلاً لكل عدل ، ما كان العادلون من بعده مستخلفين فيها

باستمدادهم صفاتهم من العدل أحكم الحاكمين .

والمضاف إلىٰ العدل هو الخليفة : ولأن العدل صفة حسنة فلا يتصف به إلا عادل مُحسن ، والعادل المُحسن هو الخليفة الذي أخذ بصفات العدل التي تُرضي ٱلله أحكم الحاكمين ؛ قال تعالىٰ : ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] . فالخليفة هنا هو المضاف في قوله ذوي عدل منكم ، والعدل بصيغة المصدر صفة من أسماء ٱلله الحسنىٰ ، ولأنه ـ جلّ وعلا ـ القادر علىٰ تحقيق العدل المطلق ، في كافة الأماكن والأزمنة في آن واحد ، فلا تحدُّه حدود ، ولا تقيده قيود . فقدرته مطلقة وعدله يحيط بملكه وملكوته ، لذا فقد احتفظ لذاته باسم أحكم الحاكمين (العدل) مصدراً لا اشتقاقاً ، ولأنه أحكم الحاكمين ؛ فهو مصدر لا يظلم ولا يجور ، حيث لا تناقض فالعدل المطلق ليس عنده ظلم ، وحتىٰ يُبَسِّط لنا معنىٰ العدل ، ألقىٰ علىٰ مسامعنا في القرآن الكريم ألفاظاً تدل علىٰ العدل وتهدي إليه منها :

- الصراط المستقيم .
- القسط .
- الميزان .
- مثقال ذرة .

وقد وضع الموازين القسط للحكم بين الخلق في الدنيا ، وبيّنها في المنهج الذي ارتضاه لمن أراد أن يحقق الخلافة ، ولمن أراد أن يكون من الخلفاء لهٰذا الاسم .

إذن أحكم الحاكمين في ملكه هو ٱلله ـ عز وجل ـ وهو العدل المطلق ، والعادل بالإضافة هو المضاف لصفة العدل جل جلاله .

ولذا فالخليفة في الأرض هو ؛ من اندمج عدلاً في قوله وفعله وسلوكه وأحكامه ، كما اندمج داوود عليه السلام حاقاً للحق ، ودامغاً للباطل ، وعادلاً بين الناس في حكمه في قومه ، ولنأخذ قصة داوود في العدل الذي جعله أحكم الحاكمين خليفة في الأرض ، وليحكم بين المتخاصمين . نأخذ قصته وعدله مثالاً للتحليل القصصي لإظهار مكامن القوة التي يمكن أن يتخذها الخليفة في أحكامه عدلاً .

وعليه فمن العدل :

أ ـ الحث عليه .

ب ـ العمل به في كل مكان وفي كل زمان .

ولأن العدل هو عدل أحكم الحاكمين ، فهو عدل واحد لا عدلان ، ولذا فالعدل هو اسم صفة لأحكم الحاكمين ، لا يقتصر علىٰ مجال من مجالات الحياة ، بل يمتد ليشمُل التعامل الحسن في كل المجالات ؛ الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والنفسية ، والثقافية ، والذوقية ، التي امتد التعامل بها في زمن داوود عليه السلام كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ : ١٧ ـ ٢٦] .

الخطاب موجه إلىٰ سيدنا محمد ﷺ لأجل أن يصبر علىٰ ما يقوله الكفرة ، والمشركون ، والضالون من أقاويل وصفوه فيها بالجنون ، كما وصفوا غيره من الأنبياء من قبله ، وداوود ليس ببعيد ، الذي صبر علىٰ ما قاله قومه فيه من أقاويل وافتراءات ظلماً وبهتاناً ، داوود ذو الأيد التي صنعت خير ما صنعت من لبوس حربٍ ، وقت وحفظت المقاتلين في سبيل ٱلله من ضربات الكفرة والمشركين في زمانه ، وسلِم من ارتداها في سبيل ٱلله مقاتلاً ومجاهداً .

فقوله : ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ علىٰ احتمالات منها :

- ذا القوة في البطش الشديد .
- ذا القوة في العبادة طاعة لله تعالىٰ .
- ذا القوة في صناعة لبوس الحرب .

ومع ما يمتلكه من قوة وشدة ، فهو يعلم أن قوته من أحكم الحاكمين ، فيزداد قوة في تعبده تعالىٰ ، ولهٰذا وصف بأنه ﴿أَوَّابٌ﴾ أي كثير الطاعة والتعبد مستغفر ٱلله في كل شيء ، حتىٰ ولو كان مجرد ظن ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ .

ولأن داود من الأنبياء المقربين والمفضلين عَلَيْهِ السَّلَامُ سخَّر ٱلله معه الجبال والطير تناصره بالدعاء والتسبيح ، الذي فيه الاستجابة من ذكر ٱلله أحكم الحاكمين ، وله أن يستخدمها كيفما يشاء ، وهي طائعة له في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ودمغه عدلاً في الأرض ، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ .

ولأن مُلكه مؤسس علىٰ العدل ، زاده ٱلله قوة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي جعلناه ملكاً متماسكاً علىٰ القوة وإحقاق الحق عدلاً بين الناس ، وقوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ آتىٰ أحكم الحاكمين داود

الحكمة التي تؤدي إلىٰ حُسن الفهم وحُسن التفهُّم ، ومُقدِّرة للمعرفة استنباطاً واستقراء واستنتاجاً ، إنها الحكمة التي بها تمكَّن داود من الاختيار وحُسن التصرف في المواقف المختلفة ، والظروف مهما صعبت ، وفقاً لدائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع ، أمَّا حُسن الخطاب فهو حُسن الفصل في القضايا والشكاوىٰ التي تُعرض عليه ليفصل فيها ، ويحكم بالعدل حيث اتصافه به عادلاً ، وفصل الخطاب مؤسس علىٰ معطيات منها :

ـ الاستماع (للمشتكي) تأسيساً لفصل الخطاب .

ـ الاستماع (للمشتكىٰ فيه) تأسيساً لفصل الخطاب .

ـ دعوة الشهود من كلا الطرفين والاستماع لأقوالهم ، تأسيساً لفصل الخطاب .

ـ استشارة الآخرين بعد أن يستمعوا لكل طرف من أطراف القضية ، أو يطلعوا علىٰ حيثياتها المدونة .

ـ الاعتصام بٱلله تجنباً لأهواء النفس التي تميل في بعضٍ من الأمر .

ـ إنصاف المتخاصمين .

ـ إصدار الحكم (فصل الخطاب) بعد التبيُّن دون غفلة .

ـ أخذ الحق من الظالم وإعطاؤه لمن أُخِذَ منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [صٓ : ٢١] أي هل بلغك الخبر المنبأ به الذي تضمَّن قصة الخصم الذين تسوَّروا المحراب ، أي دخلوا دون استئذان ودون علم مسبق بهم ، وبطبيعة الحال من يدخل مُتسوِّراً ولم يدخل من الباب أمره يخيف، ولهـٰذا تُوجِبُ الحيطة والحذر ، كما فعل داوود حيطة وحذراً تخوفاً مما سيحدث ، وقد لا يحمد عقباه ولهـٰذا قال المُتسوِّرون ﴿قَالُواْ﴾ جاءت علىٰ صيغة الجمع ولم تأت علىٰ صيغة المثنىٰ ، ولهـٰذا اعتمدنا في تحليلنا هـٰذه الصيغة ، كما نزلت في القرآن الكريم الذي

لا يأتيه الباطل أبداً ، وحتىٰ لا يتصرف داوود تصرفاً بأسباب الحيطة وأخذ الحذر ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۖ﴾ وهنا يأتي تأكيد الجمع بقوله : ﴿قَالُواْ﴾ ولـٰكن ماذا قالوا ؟

قالوا : ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [صٓ : ٢٢] لسان حال الجمع قال : ﴿لَا تَخَفۖ﴾ أي وكأن حال لسانهم يقول : نحن غير معتدين ولا مفسدين ولا نريد أن نعتدي عليك ، بل نحن لثقتنا في عدلك جئنا لنَحتكِمَ إليك فاحكم بيننا بالعدل . قالوا : ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ يُفهم من هـٰذه الآية الكريمة الخصمان تعني : طرفان ، ولا تعني اثنان ، مصداقاً لقوله ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ فلو كانا اثنين لقال بغىٰ أحدنا علىٰ الآخر ، ولم يقل بعضنا علىٰ بعض ، ولذٰلك فالبعض من البعض دائماً جمعي وليس بمفرد ، ولذا فالخصمان يجوز أن يكونا بني قبيلة وبني قبيلة أخرىٰ ، أو أسرة وأسرة أخرىٰ ، أو جماعة وجماعة أخرىٰ ، أو قوم وقوم آخرين ، ولهـٰذا لا يمكن أن يكون تبعيض البعض من البعض إلا جمعاً .

ولأنهم متخاصمون قالوا ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي اعتدىٰ بعضنا علىٰ البعض ، ولأن الاعتداء ليس بحق قالوا : ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ يُفهم من هـٰذه الآية الكريمة ميزة عظيمة ألا وهي : قبول الخصمين (الطرفين) الحكم بالحق ، وهـٰذا يدل علىٰ أن المُتخاصمين من العباد المهتدين ، ولهـٰذا فهم اهتدوا إلىٰ داوود لثقتهم أنه يحكم بالعدل من جهة ، ولكرههم للظلم ، وحبهم لإظهار الحق من جهة أخرىٰ .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا﴾ تأخذ احتمالات منها :

أ ـ لا ترفض طلبنا إليك واختيارنا لك حكماً ، حتىٰ وإن انزعجت من طريقة دخولنا عليك بأسباب الاختلاف ، التي يجوز هي التي أظهرتهم عن التأني والدخول من الباب كما هو المعتاد ، واستعجلت بهم لتسوُّر المحراب سرعة واستعجالاً كي لا يسبق أحدهما الآخر ، فيكون هو الطرف الوحيد المشتكي ، ولذا فتسوُّرُ المحراب الذي يدل علىٰ العجلة ، جعلهما يدخلان

علىٰ داوود في وقت واحد مما جعلهما (الطرفان المتخاصمان) يشتكيان معاً في ذات الوقت الواحد .

ب ـ قبلناك حكماً عادلاً فلا تمل لأحدٍ علىٰ حساب الآخر .

ج ـ لا نبغي منك ظلماً لأحدٍ منَّا .

هـ ـ نريد منك إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

و ـ نريدك أنْ تهدينا الطريق المستقيم البيِّن ، الذي لا يلاحقه بعد حكمك بيننا شك ولا ظن ، ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [صٓ : ٢٢] إلىٰ العدل ولا تخالف بنا سواء الصراط .

وصلب القضية التي بشأنها تسوَّر الخصمان المحراب استعجالاً ، هو قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ : ٢٣] كلمة أخي لا تقتصر علىٰ الأخ من الأب والأم ، بل عند العرب تعني مما تعني :

ـ **أخي في الدم** : من قرابة وعمومة يعود كلٌ من المتخاصمين إليها وفقاً لما يؤول الآل إليه .

ـ **أخي في النسب** : من قرابة الأهل مصاهرة فهي المكونة للعلاقات الاجتماعية والإنسانية .

ـ **أخي في الدين** : الذين يدينون بما هداهم داوود إليه وهو الإسلام .

ـ وقد تتجاوز كلمة أخي إلىٰ كل من يستوجب الاعتراف به وتقديره تقديراً عالياً .

ـ كلمة أخي تدل علىٰ من لا يكون عدواً .

وبناء علىٰ ما تقدم ، فإن كلمة أخي كما جاء ورودها في الآية الكريمة السابقة دالة علىٰ أنه لم يكن العدو لي (أخي) أينما صُنِّفت أو اندرجت تحت النقاط السابقة الذكر .

وقوله تعالىٰ : ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [صٓ : ٢٣] مجموع النعاج مائة نعجة يملك البعض تسعاً وتسعين نعجة ، ويملك واحد منهم نعجة واحدة ، ونحن نقول نعاج ونعجة ولا نقول غير ذٰلك ، حيث لا يحق لنا التأويل فيما جاء نصاً صريحاً في القرآن الكريم ، ولا نرىٰ أن تحُمَّل المعاني اللغوية ما لم تُحمَّل . وقوله تعالىٰ : ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ أي لا تخف علىٰ نعجتك اتركها مع نعاجي ترعىٰ وكن مطمئناً عليها حفظاً ورعايةً .

وقوله تعالىٰ : ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [صٓ : ٢٤] السؤال مطلب يستوجب إجابة ، والسؤال لا يتضمن الأخذ بغير حق ، ولٰكن يدل علىٰ الأخذ بالحق ، كأن تقول لمن يمتلك نعجة واحدة أتتركها ، مع غنمي أشتريها منك ؟ أي أتبيعها بعد أن عاشرت نعاجي الكثيرة ، وأنت لا تمتلك غيرها ؟ ألا يكون من الأفضل أن تتركها لي ترعى علىٰ حسابي أشتريها ؟ يجوز هٰذا السؤال أن يترتب عليه انزعاج من صاحب النعجة باعتباره لا يقبل ذٰلك وهو بين أمرين :

ـ أمر الفضل الذي به قبل صاحب النعاج أن تُترك النعجة ترعىٰ دون مقابل مع نعاجه حُرة لمالكها .

ـ أمر السؤال الذي يلغي عودتها إلىٰ صاحبها الأول إن قَبِل ، ونحن نقول : إن قَبِلَ لأن المتخاصمين وفقاً لما تقدم لا يطالبون إلا بالحق ، وفي اعتقادنا تطوير هٰذا الأمر علىٰ مستوىٰ القضية ، هو لأجل إظهار الحق وإن صغر ، ولأجل عدم التسرع بإصدار الحكم قبل التبيُّن ، ولأجل أن يكون الحكم الحق قاعدة بين الناس المستخلفين في الأرض ، وهو ما أقره أحكم الحاكمين جل جلاله .

ومع أن داوود كان محقاً في حكمه وفقاً لِما سمعه من (صاحب النعجة) إلا أن اكتمال القضية لا يكون إلا بالاستماع للطرف المشتكىٰ فيه ، ولهٰذا جاء استغفار داوود مسرعاً ، كما جاء حكمه السابق مسرعاً ، ونظراً لِحُسن النية

وصفائها عند داوود ، وصدقه في إحقاق الحق وحكمه بالعدل ، غفر ٱلله له وقرَّبه منه مقامات عظاماً ، وجعله خليفة في الأرض ليحكم بين الناس بالعدل ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ : ٢٤ ـ ٢٦] .

وعليه أقول العدل واحد لا يتعدد ، وإن تعددت مجالاته القيمية في الحياة التي منها :

مجال العدل الاجتماعي :

هٰذا المجال العدلي هو الذي جعل لداوود مكانة بين بني قومه الذين آمنوا به رسولاً ونبياً كريماً ، يقول الحق ، ويعمل علىٰ إحقاقه ، ويتجنب الظلم ، ويتقي شره ، يخاف ٱلله ويطيعه ويستغفره ، حتىٰ ولو كان ظاناً في أمر من الأمور التي يقدِمُ عليها ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ : ٢٤ ـ ٢٦] ، ولذا فإن مجال العدل الاجتماعي مجال بنائي ، يكوّن الشخصية الاجتماعية المتفاعلة والمتعاونة كلما تم تشرُّب هٰذه القيم بإرادة ومعرفة واعية ، وإذا لم يتم ذٰلك بإرادة ، فإن السلوك المناقض للبناء قد يكون هو سلوك الصدارة ، ولهٰذا فإن التفاعل الموجب يحق الحق والعدل ويقوي عاطفة الانتماء الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ، ويجعل الضمير (نحن) هو السائد بينهم بدلاً للضمير (أنا) الذي في كثير من الأحيان يؤدي إلىٰ الصدام والفرقة والاختلاف الذي يستوجب الآتي :

ـ عدلاً .

ـ عادلاً .

ـ شرعة ومنهاجاً .

وعليه فالنظر في القضايا الاجتماعية التي تستوجب عدلاً وعادلاً وشِرعة ومنهاجاً تتطلب الآتي :

ـ علائق قيمية طبيعية تستوجب العدل : كالعلاقة الأسرية ، والعلاقة العائلية ، والعلاقة القبلية ، وعلاقة الأمة التي تكوّن الذات العامة المشتركة للأفراد والجماعات ، وتغرس في نفوسهم عاطفة الحب وروح الانتماء .

ـ علائق قيمية ضرورية تستوجب العدل : كالعلائق بين رفاق العمل ، ورفاق الحرف والمهن ، ورفاق التعليم والتعلم ، وهـٰذه العلائق قد تكون بين بني الأمة أو مع الآخرين ، فعندما تكون بين أبناء الأمة أو الوطن تحتويها عاطفة الأصل والانتماء ، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المهنة وعاطفتها المؤقتة .

ـ علائق قيمية اختيارية تستوجب العدل : كالعلاقة مع رفاق المناشط الرياضية ، والفنية ، والمسرحية ، والموسيقية ، والثقافية ، أو رفاق الحفلات والرحلات السياحية . أيضا عندما تكون هـٰذه العلائق الاختيارية بين أفراد الأمة وجماعاتها ، فإن عاطفة الأصل والانتماء هي التي تسودها ، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المناشط المتنوعة وعاطفتها المؤقتة .

مجال العدل الإنتاجي :

الإنتاج سواء أكان إنتاجاً مادياً (إنتاج السوق) الذي تترتب عليه قيم البيع والشراء ، وارتفاع مستوىٰ الدخل أو انخفاضه ، أم كان إنتاجاً معرفياً (إنتاج المعلومة والفكرة) التي تثري ما سبق ، وتدعم ما في الآن ، وتسعىٰ لصناعة المستقبل . ولذا فإن التقنية (مولود الفكرة) تتطور وتتنوع وتتجدد مع كل جديد ، ففي زمن داود عليه السلام كانت التقنية قيمة عالية في تفادي ضربات

المقاتلين ، وحافظة للذين يقاتلون في سبيل ٱلله ، كما فعل داود بالعلم الذي علَّمه له ٱلله تعالىٰ ، وهو العلم الذي لم يؤت منه الإنسان إلا قليلاً ، وإلا هل يظن البعض أن ما وصل إليه العقل الإنساني ، هو أعلىٰ مرتبة علمية من الذي آتاه ٱلله تعالىٰ من آيات لداوود عليه السلام ؟ ، قال تعالىٰ : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

في خماسي تحليل القيم الذي قدمناه ، إضافة جديدة للقراء والذي سجلت براءته الفكرية باسمنا [١] ، يعتبر هٰذا المجال العلائقي مجالاً لتحقيق المنفعة القابلة للقياس بالإنتاج ، الذي يتطلب إدارة ملاحِقة (تلاحق المنتجين لتمدهم بالخدمة التي تمكنهم من زيادة الإنتاج) ، وإدارة تتفهم ظروفهم ومتطلباتهم كما تتفهم احتياجات المستهلكين ، ولذا فالحكم في هٰذا المجال القيمي يتطلب مستشارين متخصصين في المهن ، والحرف ، والقياس الكمي ، الذي به يُحسن إصدار الأحكام العادلة .

إن مبدأ المنفعة جعل الإنسان في حالة منافسة مع الآلة بدلا ، من منافسته للآخر من بني جنسه ، ولذا أصبحت الآلة تحل محل الإنسان غير القادر علىٰ المنافسة في العملية الإنتاجية ، فإذا كان الجهد المبذول يقل قيمياً عن العائد منه لابد وأن تكون الخسارة هي المبعدة عن ميادين المنافسة الحرة .

ولذا فإن تحليل مجال العلائق القيمية الإنتاجية ، يمكّن العادلين في أحكامهم من التعرف علىٰ حالات المنتجين بحق من حيث الجهد ، الإنتاج ، والإشباع والمنفعة ، وفقاً للآتي :

- جهد يؤدي إلىٰ الإنتاج يؤدي للإشباع ويحقق منفعة .
- جهد يؤدي إلىٰ الإنتاج ولا يؤدي للإشباع لا يحقق منفعة .

---

(١) عقيل حسين عقيل ، خماسي تحليل القيم ، دار الكتاب الجديد بيروت ، ١٣٥ ، ص ، ٢٠٠٣ .

- جهد يؤدي إلىٰ الإنتاج ، يؤدي إلىٰ الزائد عن الإشباع ، يحقق الفائض عن المنفعة .

- جهد لا يؤدي إلىٰ الإنتاج ، لا يؤدي للإشباع ولا يحقق منفعة .

- لا جهد يؤدي إلىٰ الإنتاج ، لا إشباع ولا منفعة .

وعليه فمن العدل أن يكون الإنتاج العام ملكاً عاماً ، وتوزيعه حق عام وفقاً للحاجة والجهد المبذول ، ووفقاً لحقوق القُصَّرِ علىٰ من لهم حق عليهم ، مع مراعاة الحقوق العامة والخاصة والواجبات والمسؤوليات علىٰ المستوىٰ الفردي والجماعي والمجتمعي .

مجال العدل السياسي :

مكانة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ التي استمدها مما آتاه ٱلله من حُكم ، ومُلك ، وحكمة ، وعلم ، جعلته بين الناس الذين آمنوا به ، رسولاً ونبياً كريماً محقاً للحق ومزهقاً للباطل ، وجعلته ملجأ لهم في كل أمر يحتكمون إليه ونفوسهم مطمئنة ، ولذٰلك في مجال العدل السياسي ، تكمن عناصر القوة الداعمة للإرادة ، والقامعة لها في وقتٍ واحدٍ ، وهـٰذا ما يجعل السلوك البشري في حالة تماثل مع الفعل أو في حالة تناقض معه ، مما يؤدي إلىٰ التفاعل والمشاركة والوحدة ، أو يؤدي إلىٰ الرفض والتمرد والصدام ، أو أن يؤدي إلىٰ الخنوع والإذعان والنفاق السياسي ، ولذا ففي كل الحالات الأمر يستوجب عدلاً ، وعادلاً ، وشِرعة ، ومنهاجاً لأجل إحقاق الحق بين الناس ، ولا يُظلم أحد وهـٰذا الأمر هو الذي يجعل حكم أحكم الحاكمين هو السائد بين الناس المستخلفين فيها .

ولذٰلك تتباين اختيارات الناس من مجتمع لآخر ومن موضوع لآخر ، فما يراه البعض مناسباً أو مفضَّلاً في اختياراتهم ، قد لا يراه البعض الآخر كذٰلك ، أو إنهم يرون ما هو أفضل ، ولذا فمن العدل أن لا يجبر الأفراد علىٰ

ما لا يرغبون ، وإن أجبروا فلا مفر من الصدام ، والخصام الذي يُفرِّق بين المرء وزوجه .

ونظراً لوجود الفروق الفردية في القدرات ، والاستعدادات ، والمهارات ، فإنه بالضرورة أن يكون لكل فرد من الرغبات التي من العدل أن تُحترم ويقدَّر أصحابها ، ولا يفرض عليهم ما لا يرغبون أو ما لا يفضِّلون ، ومن العدل أن تراعىٰ قدرات الأفراد وميولهم وحاجاتهم المتنوعة والمتطورة .

ولأن هـٰذا المجال علىٰ صلة بالقرار وأساليب اختياره ، وبالتنفيذ وطرق اعتماده ، فإنه بلا شك ذو صلة بالإرادة التي تتميز من خلالها كل شخصية ، وكل جماعة ، ومجتمع مما يستوجب التعرُّف علىٰ القيم الأخلاقية التي يمكن الاستئناس إليها ، ومراعاتها قبل استصدار الأحكام ، لكي يكون العدل قيمة بين الناس في كل ما يختلفون فيه مع مراعاة الآتي :

- روابط اجتماعية طبيعية ، تؤدي إلىٰ مجتمع الذاتية ، تحقق الشخصية العاطفية .

- روابط منفعية تؤدي إلىٰ مجتمع الأنا تحقق الشخصية الفردية (الشخصانية) .

- روابط فكرية ، تؤدي إلىٰ مجتمع الفكرة ، تحقق الشخصية الموضوعية (العقلية) .

- روابط سياسية تؤدي إلىٰ مجتمع الاختراق تحقق الشخصية الانسحابية .

- روابط إنسانية تؤدي إلىٰ المجتمع الإنساني تحقق الشخصية الاقترانية (المنطقية) .

مجال العدل النفسي :

رضا المتخاصمين بالعدل ، وعدم رغبتهم في ظلم بعضهم للآخر إحقاقاً

للحق ، هو الذي دفعهم إلىٰ داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، فهو بعدله لا يحكم في شيء إلا بعد مراعاته لمجموع القيم النفسية التي تؤثر في علائق أخرىٰ وتتأثر بها ، ولذا فمن أراد أن يحكم بالعدل بين الناس ، فعليه أن لا يغفل عن معرفة اتجاهات الأفراد ، والجماعات ، والمجتمعات ، وميولهم ، ومعتقداتهم ، والقيم التي يتمسكون بها ، أو التي يحيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقف وأدواراً متباينة تختلف من وقت لآخر .

وللحكم بالعدل في هـٰذا المجال ، ينبغي أن يستعين العادل بمن يعرفون علم الخفايا ؛ استقراء ، واستنباطاً ، وفهماً ، وتفهُّماً ، حتىٰ معرفة المتفائلين من اليائسين ، ومعرفة المتفاعلين من المنطوين .

إن معرفة علم الخفايا يُمكِّن الحاكم العادل من معرفة العلل ، والأسباب الكامنة ، وراء الأفعال المرتكبة ، ولذا فهو علم معرفة الباطن (الجوهر) ، الذي يتطلب تحليل شخصية المبحوث ، تحليلاً نفسياً غير مباشر ، فالسلوك الظاهر قد لا يُعبِّر عن حقيقة الكامن ، ولذا يلتجئ المحتكم إليه ، أو الباحث إلىٰ الاستعانة بذوي الخبرة في هـٰذا المجال النفسي ، قبل أن يَقدِم علىٰ استصدار الحكم ، لأجل معرفة الحقيقة ـ هي كما هي ـ مما يجعل المتخصصين يلجؤون إلىٰ استخدام الأساليب الإسقاطية في دراسة بعض المواضيع المتعلقة بالشخصية ، دون تسرع في إصدار الحكم .

إن النفس البشرية تقوىٰ وتضعف بالكلمة ، أو بالفعل ، أو بالسلوك ، وتتأرجح بين الخيال الممكن ، والخيال غير الممكن تارة ، وبين المتوقع وغير المتوقع تارة أخرىٰ ، عندما تضعف تضطرب ، وعندما تقوىٰ تطمئن ؛ مثل هـٰذه الشخصية معايير اختياراتها القيمية في بعض الأحيان ، تتمركز علىٰ الأفعال الأنانية ، وفي بعض الأحيان الأخرىٰ تتمركز علىٰ الذاتية أو الموضوعية ، وفي حين آخر تتشتت الذات بين الميول إلىٰ الأنانية ، أو الميول إلىٰ الموضوعية ، وهـٰذا يعني أن مجال العلائق القيمية النفسية ، قد تندمج فيه

مكوِّنات الشخصية مما يجعل عناصر الذاتية جزءاً لا يتجزأ من عناصر الأنانية ، أو عناصر الموضوعية .

إن القيم التي يحتويها مجال العلائق النفسية ، تنصهر في بوتقة الاعتراف والتقدير التي يتمركز عليها التفكير الإنساني ، حيث الكل يسعون إلىٰ نيل الاعتراف والتقدير، وعلىٰ جميع المستويات ، مستوىٰ الحاكم ، ومستوىٰ المشارك ، ومستوىٰ المحكوم ، ومستوىٰ الحر ، ومستوىٰ العبد ، فالعبد كغيره من البشر ، يبحث عن قيمة الاعتراف والتقدير ، فيجدَّ في عمله وطاعته لسيده لأجل أن يعترف له سيده بأنه مخلص ، مما يزيده إخلاصاً في الطاعة ، لينال التقدير علىٰ ما يقدمه من طاعة وإخلاص ، والابن الذي يطيع والديه في غير معصية ٱلله ، أحكم الحاكمين يريد أن ينال منهما الاعتراف والتقدير ، لكي يستمر في هـٰذه الطاعة ، وهـٰكذا الحاكم العدل يسعي إلىٰ أن ينال الاعتراف والتقدير ممن اختاروه حكماً بينهم ، وأن يكون في طاعة ٱلله أحكم الحاكمين .

وعليه العادل في حكمه بين الناس ، هو من لا يغفل عن معرفة السلوك البشري بما يحقق لهم وله الرضا والتقدير والعرفان وفقاً لما يأتي :

ـ سلوك يعترف بالحاجة ويقدّرها ، يحقق الرضاء ويؤدي إلىٰ إثبات الذات .

ـ سلوك لا يعترف بالحاجة ولا يقدّرها ، يحقق الاضطراب ويؤدي إلىٰ الانسحابية .

ـ سلوك يعترف بالزائد عن الحاجة ويقدِّره ، يحقق الرضا ويوصف بالعقلية .

ـ سلوك لا يتدخل في ما لا يعنيه ، يحقق الرضا ويوصف بالمنطقية .

ـ سلوك لا يُفعل إلا لمصلحة ، يحقق الرضا ويوصف بالشخصانية .

وعليه فالعدل : هو المحقق للاتزان النفسي ، والوجداني ، والبدني ، وذٰلك بمراعاة ما يجب والأخذ به ، ومراعاة ما لا يجب والابتعاد عنه ، وذٰلك

لأن كل شيء يزيد عن حده ينقلب إلىٰ ضده ، وفي المجال النفسي تطمئن النفس برجوعها إلىٰ أحكم الحاكمين العادل المطلق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٣٠] ، ورضا النفس لا يتحقق إلا بالعدل ، ولذٰلك فمن يظلم العباد يشقىٰ في الدارين ، ومن يعدل بما يحقق له الاتزان النفسي والبدني ، يتحقق له الرضا بعمله الصالح في الأرض ويفوز بالجنة ، ولذا فإن العادل المطلق يخاطب النفس المطمئنة مباشرة بقوله : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ ثم يأمرها بالرجوع إلىٰ بارئها ـ جل جلاله ـ فتطيعه عدلاً ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ ـ ١٠] .

تسوية النفس اعتدالها ، وسوَّاها عدَّلها ، وبعدله لها أطمأنت ، وبالاطمئنان ألهمها ٱلله فجورها وتقواها ، حتىٰ إنها تبيَّنت أمرها ورشدت بمعرفة ما يجب فتزكت ، وعرفت ما لا يجب فانتهت عنه ، وبهٰذا فهي النفس العادلة التي تحيد عن الشيء ، وتبتعد عنه اتباعاً لأمر العادل المطلق ، وهداية بما جاء به ـ عز وجل ـ ، لأجل أن تأخذ بما أمر أحكم الحاكمين ، كما أخذ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

مجال العدل الذوقي :

العدل : هو أحكم الحاكمين ، وهو اسم صفة لله تعالىٰ ، فيه صفات الجمال تتعدد مودة ، ومحبة ، وذوقاً ، وكل الفضائل الرائعة التي يرتضيها ٱلله مصدر قيم بين العباد ، ففي عدله الحق ، وفي عدله ؛ المحبة ، والمودة ، والتقدير ، والاعتراف ، واللَّطافة ، والعزة ، والكرامة ، والرحمة ، وكل شيء جميل يتبادر إلىٰ الذهن ، وكل هٰذه الصفات الحسان تجسدت في أقوال وأفعال وأعمال داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أي بعد أن استمد داود صفاته من صفات خالقه ؛ أحكم الحاكمين كان علىٰ الجمال واللَّطافة التي حببته إلىٰ العباد في زمانه ، حتىٰ اتخذوه مثالاً وحكماً عادلاً بينهم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ

إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [صۤ : ١٧ ـ ٢٠] ، آيات عظيمة مملوءة بالجمال الرفيع في الخطاب ، والعطاء الكريم الذي أعطي لداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قيم الجمال تتعدد من شخص لآخر ، ولذا فهي لا تقتصر علىٰ النظر إلىٰ المشاهد فقط ، بل تتعداه إلىٰ الإحساس بقيمة الجمال المجرد (الذي يكمن في الجميل) ، ولهٰذا الذوق رفعة في الحس ، تؤدي إلىٰ سمو عقلي ومعرفي يُمكّن الإنسان من الاطلاع علىٰ الكامن والإحساس به ، مثل كمون النغمة في المعزوفة وكمون الصور البلاغية في المقطوعة الشعرية ، وكمون السيناريو في النص ، وكمون القصة في اللوحة الفنية ، وكمون النشوة في السعادة ، وكمون الإعجاز في آيات الخالق جل جلاله .

وعليه فإن مجال العلائق القيمية الذوقية ، قيمة تتمّم بعضها البعض في تفطين العقل الإنساني من الغياب إلىٰ الحضور ، ومن المشاهد إلىٰ المجرد (من النظر إلىٰ المخلوق إلىٰ النظر إلىٰ الكيفية التي خلق بها وخلق عليها) مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢١] . وردت تساؤلات أربع في هٰذه الآيات الكريمة ، فيها من الاستغراب ما يلفت إلىٰ الانتباه وهي :

- لِم هٰؤلاء لا ينظرون إلىٰ الكيفية التي بها خُلقت الإبل ؟
- لِمَ لا ينظرون إلىٰ الكيفية التي بها رفعت السماء ؟ ،
- لِم لا ينظرون إلىٰ الكيفية التي بها نصبت الجبال ؟
- لِمَ لا ينظرون إلىٰ الكيفية التي بها بُسطت الأرض ؟

أي لم هٰؤلاء يُقصِرون نظرهم علىٰ المشاهد فقط التي تراها أبصارهم ، ولا يمدون تفكيرهم وعقولهم إلىٰ معرفة الكيفية التي بها تمت هٰذه

المعجزات ؟ مما جعل الخلفاء يمدون تفكيرهم من المشاهد إلىٰ المجرد حتىٰ آمنوا واتقوا وأدركوا أن وراءها خالقاً عظيماً قادراً علىٰ الفعل كيف يشاء متىٰ ما شاء ، سبحانه لا إلـٰه إلا هو ، الذي جعل داوود خليفة في الأرض ليحكم بين الناس بالحق ذوقاً ورفعة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ﴾ [ص : ٢٦] .

ولذا فإن للذوق أثراً علىٰ السلوك والفعل ، حيث يجعل الإنسان في حالة ؛ بهجة ، وإيمان ، وتفاؤل ، وعطاء ، أو في حالة ؛ راحة ، وتعجُّب ، واستبصار ، أو في حالة ؛ تقرّب ، وخضوع ، وترويح ، والذوق كمحقق للرفعة الحسية والروحية ، يتطلب التذكُّر والتفكُّر والتأمُّل ، وعليه لكي تحكم بالعدل عليك بعدم الإغفال عن مراعاة كل ما من شأنه أن يحقق رفعة ذوقية ، تُرضي الخالق تعالى والمخلوق .

مجال العدل الثقافي :

الثقافة وعي بما يجري في الظرف الآن ، ومعرفة تُمكِّن من استقراء المستقبل في ضوء ما جرىٰ عبر التاريخ ، من قصص في الحياة البشرية ، والإنسانية ، والأخلاقية ذات الفضائل والقيم العالية ، ولذا فباستقراء التاريخ ، لا يمكن لعاقل أو متعلم أو مثقف أن يغفل عن تجربة داود ، في ممارسته العدل الذي به تمكَّن من إحقاق الحق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص : ٢١ ـ ٢٥] .

ولأن لكل مجتمع ثقافة وخصوصية ، فمن العدل أن لا يتم طغيان ثقافة علىٰ أخرىٰ إلا بالحق ، ولذا فإن قيم هـٰذا المجال العلائقي ، هي دائماً في

حالة حركة وامتداد قيمي ، حيث إنها تتأثر بالمزيد المعرفي الذي يثريها ، ويجعلها قادرة علىٰ أن تثري السلوك المصاحب لها في كل ظرف ، ولهـٰذا فإنْ تفاعل الإنسان مع القيم الثقافية تجعله في حالة تميّز ، كلما تمكّن معرفةِ وسلوكاً ، ومع أن الإلمام بالقيم الثقافية يفتح آفاقاً واسعة أمام امتداد التفكير الإنساني ، إلا أنه قد يشكل عائقاً أمام سرعة الامتداد غير الواعية ، التي كانت قبل المزيد المعرفي ، وذٰلك لأن المزيد المعرفي يؤدي إلىٰ الإحجام عن السلوكيات غير الموضوعية (التي كانت تُفعل علىٰ حساب الآخرين) ، فبالثقافة العادلة تفك القيود ، وبها توضع قيود (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به) ، والإلمام بمجال قيم العدل الثقافية يؤدي إلىٰ حُسن الفعل ، ورفعة السلوك ، واستيعاب الآخر بإرادة كما هو ، لا كما ينبغي أن يكون عليه .

مجال العدل الثقافي ، مجال امتدادي تمتد فيه القدرات والملكات العقلية الإنسانية ، من حالة السكون إلىٰ حالة الحركة الواعية ، التي تُمكِّن الإنسان من التمييز والتفضيل ، وتُمكِّنه من الممارسة السلوكية ، عندما تتطابق المفاهيم مع الأفعال المرغوبة التي تؤدي إلىٰ ظهور الأنموذج ، وتبرز الاتجاهات المعرفية والأفكار الخاصة والعامة (المنغلقة والمنفتحة) ، فتبرز الشخصية علىٰ المستوىٰ الاجتماعي أو علىٰ المستوىٰ الإنساني .

بناء علىٰ ما تقدم ، فإن العدل المطلق هو لله أحكم الحاكمين ، أما العادل النسبي فهو الخليفة الحاكم بما أنزل أحكم الحاكمين في كتابه العزيز ، والسبب أن العدل المطلق ، لا يتحقق علىٰ يد بشر ، فهو صفة إلـٰهية لا تقارن بقول عادل ، ولا فعل عادل ، ولا سلوك عادل ، فالعادل هو الفاعل بما يرىٰ ويسمع ، ولأنه كذٰلك فهو لا يمكن أن يرىٰ أو يستمع بالمطلق ، ولهـٰذا كانت النسبية متلازمة في جميع أحكامه ، وأفعاله ، وأقواله ، وسلوكياته ، والمُلك لله وحده ، والعدل لله وحده ، والصفات الحسنىٰ بالمطلق لله وحده ، وبالنسبية للعادل المستخلف في الأرض . ولأنه أحكم الحاكمين خلق الذكر

والأنثىٰ عدلاً ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٩] . وقوله تعالىٰ : ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم : ٤٥] . ولأنه أحكم الحاكمين ، جعل الحق في مواجهة الباطل حتىٰ يدمغه فيزهق ، ولأنه أحكم الحاكمين ، خلق الليل ، والنهار ، والأشجار ، والثمار ، والجنة، والنار ، والرحمة والاستغفار ، ولأنه أحكم الحاكمين ، جعلنا مستخلفين في الأرض ، ولأنه أحكم الحاكمين ، يعلم الغيب بعدله ، فهو العالم بالغيب وما تخفي الصدور ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، وهو الذي يعلم بالمطلق ما لا نعلم ويحكم به عدلاً ، ونحن لا نعلم إلا ما هو ممكن ، ونحكم به إيماناً إنه أحكم الحاكمين جل جلاله .

اللهُمَّ ! إنك أحكم الحاكمين ، تهب لمن تشاء حكماً ، وتنزع ممن تشاء حكماً ، فهب لنا حكماً نكون به علىٰ الحق طائعين لأمرك ونهيك ، وفاعلين للخير وله مكثرين ، اللهُمَّ ! إنك أنزلت حُكمَك العدل في كتابك المبين ، لتسود المودة بين الناس ، فاجعل لنا المودة في حُكمك الذي به نكون من المستخلفين الوارثين .

اللهُمَّ ! أحكم الحاكمين ! احكم بيننا وبين الذين عليهم صبرنا وهم يدَّعونَ بما ليس فينا ، فأنت خير الحاكمين ؛ علماً ، وحكمة ، وعدلاً ، وحكماً ، وقوة ، لا إلـه إلا أنت سبحانك أولينا الأمر إليك ، فإن تعذبهم فهم عبادك ، وإن تعفو فأنت خير الحاكمين .

خير الماكرين

خير الماكرين : هو خير من يفعل الخير بالمطلق ، وهو الذي لا يمكر إلا بماكرٍ (فاعل السوء) ولذا فمن يمكر بالماكرين يفعل خيراً .

الماكر : هو من « ينزل المكروه بالممكور به من حيث لا يعلم ، والمكر في اللغة التدبير علىٰ العدو» (١) .

المكر هو : « الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ، ليورِّطه الماكر به مكروهًا من الأمر» (٢) .

إذاً الماكر : هو صاحب الأقوال والأفعال المزورة للحق والحقيقة ، وهو الذي يرشد بالأعمال المموهة عن ارتكاب المحاسن ، والمبعدة عن الأخذ بالقيم واتباع الفضائل الحسان .

والمكر لا يُدعم إلا بالتحايل الذي يستدرج الناس إلىٰ الوقوع في الفخ ؛ نكاية ، ووقيعة ، وتشمتاً ، وتشفياً، بغير حق .

ولذا فالمكر ؛ إظهار مقابح الأعمال والأفعال عن قصدٍ وسوء نية ، ومن أنواعه ؛ إعانة خصوم الخصوم بطلب أو بدون طلب .

المكر عمل ضعيف يسهل كشفه ، وتسفيهه ، وإبطاله ، فمع أنَّ المكر من

---

(١) الفروق اللغوية ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) تفسير الطبري ج ١٢ ، ص ٩٥ .

بنات الأفكار الباطنة في النفس ، إلا أنه استعجالي الظهور مما يجعل أمره ميسراً ، وظاهراً وأصحابه بدون سترة .

وفي المكر يقول الشاعر :

وأَمِنْتُـه فـأَتَـاحَ لـي مـن مـأْمَنـي مكْـراً كـذا مَـنْ يَـأْمَـنُ الأيـامـا [١]

ونحن نقول :

المكر علىٰ مستويات ثلاث :

المستوىٰ الأول :

ما يقوم به الماكر من مكر سيئ بالعباد ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر : ٤٢ ـ ٤٤] .

الذين أقسموا هم الكفرة والمشركون بأنه ؛ إن بعث ٱلله لهم نبياً رسولاً ليكوننَّ من المهتدين ، فلما بعث ٱلله تعالىٰ محمداً ﷺ رسولاً مبشراً ومنذراً ، ازدادوا تمسكاً بكفرهم وشركهم وإفساداً في الأرض ، ولٰكن النتيجة التي لحقت مكرهم السيئ ، هي إحلال المكر بهم من خير الماكرين ـ جل جلاله ـ ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ ﴾ وهٰذه سنة الحياة عبر الزمن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ، ولذا فالذين يمكرون بالعباد ، هم الذين يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء فيها بغير حق ، وهم الذين يقدمون علىٰ أداء مجموعة من الأعمال والأفعال السيئة التي منها :

---

(١) تفسير القشيري ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

١ ـ الظلم .

٢ ـ الكيد .

٣ ـ الدس .

٤ ـ التحايل .

٥ ـ المخادعة .

٦ ـ المراوغة .

٧ ـ الانقلاب .

٨ ـ التقلُّب (التبدل) حيث لا ثوابت .

٩ ـ إظهار غير الباطن .

١٠ ـ النصب والاحتيال .

١١ ـ الغدر .

١٢ ـ الخيانة .

١٣ ـ الكذب والافتراء .

١٤ ـ الاستكبار والإفساد في الأرض ، وسفك الدماء فيها بغير حق .

المستوىٰ الثاني :

ما يقوم به العباد الصالحون والصدِّيقون والذين أسلموا وجوههم لله ربِّ العالمين ، من مكر بالماكرين السيئين وهم يتلون آيات ٱلله آناء الليل وهم يسجدون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا

يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٣ ـ ١١٥] ، إنهم المتقون حقاً الذين يسعون في الخيرات والأعمال الحسان التي منها :

١ ـ إذا حكموا بين الناس عدلوا .

٢ ـ إذا قالوا صدقوا .

٣ ـ إذا عاهدوا أوفوا .

٤ ـ إذا عملوا أحسنوا .

٥ ـ يحبون الخير ويعملون عليه .

٦ ـ يحقون الحق ويزهقون الباطل .

٧ ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

٨ ـ مؤتمنو الجانب .

٩ ـ مؤمنون بٱلله خير الماكرين .

١٠ ـ مؤمنون بكل أمر ونهي وتحريم ، ومجتنبون لكل ما يجب اجتنابه طاعة لله ربِّ العالمين .

المستوىٰ الثالث :

ما يقوم به خير الماكرين ـ جل جلاله ـ من إبطال لمكر الماكرين السيئين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ويسفكون الدماء فيها بغير حق ، مصداقا لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ ـ ٥٥] .

أي مَكَرَ بنو إسرائيل بعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيراً ، حتىٰ بلغ بهم الأمر الإقدام

علىٰ صلبه ، فظنوا أنهم قد قتلوه صلباً ، والحق تعالىٰ شبّه لهم صلبه وقتله تشبيهاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨] .

وعود علىٰ الآية الكريمة ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ يُفهم منها ثلاثة أمور :

١ ـ أنهم قد مكروا ، أي إن فعل المكر كان متحققاً من بني إسرائيل لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فهم الذين قد بدؤوا بمكرهم دون مبرر (بدون وجه حق) ، وفي هٰذا المعنىٰ ، إنهم لم يتركوا سيئة ـ كبيرة كانت أم صغيرة ـ إلا وقد فعلوها .

٢ ـ إنَّ ٱلله قد مكر بمكرهم الذي هو صلب عيسىٰ فأبطله بالشبه حتىٰ إنهم ظنوا قتل عيسىٰ يقيناً ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ ولأن إبطال الباطل حق جاء المكر بمكرهم حقاً ، وفي غير مقارنة ولٰكن لتبيان الحق من الباطل ، فإن الفرق كبير بين من يزرع مكراً ، وبين من لا يجعله نباتاً ، فالمزروع لا خير فيه ، لذا كان عدم إنباته خيراً ، فلو نبت لكانت المفاسد ونار الفتن منتشرة وموقدة ، ولهٰذا كان الخير كل الخير في عدم انتشارها وعدم إيقاد نارها .

٣ ـ ولأن المكرَ بالمكرِ خير ، فإن فاعله هو خير الماكرين ، ولذا فخير الماكرين هو فاعل الأفعال الحسنىٰ ، وقد يتساءل البعض :

من الذي يفعل الخير ؟

نقول :

خير الماكرين (من يمكر بالماكرين) إنه مُحِق الحق جل جلاله .

ومع أن الآية الكريمة جاءت بصيغة الماضي إلا أن الباقي ـ جل جلاله ـ

علىٰ الخير باقٍ ، ولهٰذا فمتىٰ ما يمكر الماكرون يمكر ٱلله بمكرهم فيبطله ، ويلحق أصحابه الضرر ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وكذٰلك يفهم من هٰذه الآية الكريمة أن مكر ٱلله مترتب علىٰ مكر سابق من الماكرين الذين كفروا ، فيمكر ٱلله بهم وبمكرهم ، ذٰلك لأنه هو خير الماكرين .

وخير الماكرين ـ عز وجل ـ علىٰ دلالة من المعنىٰ حيث قد يفشل البعض من العباد في إبطال ما يكيده الكائدون من مكائد ، وما يمكرون به من مكر ، ولٰكن قد لا يُوفّقون في بعض الأحيان ، ولهٰذا فخير الماكرين هو القادر دائماً ، ولأنه القادر فهو ٱلله ـ جل جلاله ـ وهو خير الماكرين .

إذاً خير الماكرين هو القادر علىٰ المكر بالمطلق ، أمَّا الماكر فهو القادر في دائرة النسبية ولا قدرة له بالمطلق ، ولهٰذا لا قادر علىٰ المكر الذي هو خير إلا ٱلله تعالىٰ ، أمَّا المكر الذي هو سيئ فالمفسدون في الأرض قادرون عليه ، ولذا يُزين لهم مكرهم تزييناً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ [الرعد : ٣٣ ـ ٣٤] .

ولأن صفات الخالق ثابتة وصفات المخلوق متبدلة لذا لا تبديل لمكر خير الماكرين ، ولا صعوبة في تبديل مكر الماكرين ، أي أن مكر خير الماكرين هو المبطل لمكر الماكرين ، ولذا كل مكرٍ ينهار ويتلاشىٰ وينعدم أمام خير الماكرين ـ جل جلاله ـ ، وعليه الصفات المتبدلة في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع ، سهلة التغيير والصفات الثابتة باقية بالمطلق لا تتغير .

ولأن الماكر قادر علىٰ عدم إظهار ما يكنه من مكرٍ إلىٰ حين وقته ، فحين يأتي وقته لا يتأخر في إظهاره بأسوأ الأساليب وأقبحها ، أمَّا خير الماكرين (الماكر العظيم) بيده الأمر إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، وهو يعلم بكل

باطن قبل ظهوره ، ويعلم بكل علانية وهو علىٰ كل شيء قدير ، ولذا فلله المكر جميعاً ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : ٤٢] .

قوله تعالىٰ : ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تدل علىٰ شواهد في التاريخ الذي هو خير شاهدٍ علىٰ ما فعل النمرود من مكرٍ بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وخير شاهد علىٰ ما فعل فرعون من مكرٍ بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وما عمل اليهود من مكرٍ بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهٰكذا من قبلهم مكر قوم نوح بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكل الأنبياء تعرضوا للمكر السيئ من السيئين عليهم اللعنة ، ولٰكن بقيت الحياة بشواهدها شاهدةً علىٰ ما أحقه خير الماكرين من حق ، حيث يريد ٱلله أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، والمجرمون المفسدون في الأرض ، وسافكو الدماء فيها بغير حق ، قال تعالىٰ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ٣٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٧ ـ ٨] .

أمّا قوله تعالىٰ : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾ تدل إثباتاً علىٰ أن كل شيء بالمطلق هو بأمر ٱلله تعالىٰ ، ولذٰلك لا شيء يفلت من يديه سواء أكان مكر الماكرين وما تكنه صدورهم أو تعلنه ، أم كان تلك الأقوال والأفعال الحسان التي يؤمن المسلمون بها اتباع تنزيل من العزيز الحكيم .

ولأن للهِ الْمَكْرَ جَمِيعًا ، إذاً لا خوف إلا من ٱلله ، ولهٰذا تقواه واجبة وطاعته عبادة ، والمؤمن يقول الحق ويفعله ولا يُفسد في الأرض ، ولا يسفك دماً فيها بغير حق ، وهو متيقن أنه لن يصيبه شيء إلا ما قد كُتب له ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ٥١] .

وعليه بما أن لله المكر جميعاً ، فلماذا الخوف ؟

لا خوف بما أنهم يمكرون والله خير الماكرين ، الخوف فقط إن لم يُؤمن بخير الماكرين ، ولذا المؤمن بخير الماكرين إن آمن حقاً لا يضره كيدهم ولا مكرهم ولا سحرهم شيئاً ، فمن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] .

وحيث لا مقارنة ولـٰكن للتوضيح نقول :

الفرق كبير بين من يمكر بعد أن يعلم بالأمر الذي كان سبباً في إقدامه علىٰ أفعال وأعمال المكر ، وبين من يعلم بالأمر قبل وقوعه أو حدوثه ثم يُظهره في بواطن الماكرين الذين يظنون أن أمرهم غير معلوم لدىٰ أحدٍ ، ثم يُظهره في أقوالهم وأعمالهم وأفعالهم ليكون شاهداً عليهم يوم لا ينفعهم مال ولا بنون ، قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝١٣ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ١٠ ـ ١٥] .

يُفهم من هـٰذه الآيات الكريمة أن خير الماكرين هو أرحم الراحمين ، ولهـٰذا مكره خير ورحمة علىٰ العباد ، فلولا مكره تعالىٰ بالماكرين لفسدت الأرض وعمَّت المظالم وهلك الناس ، ولـٰكن بواسع رحمته جعل الخير رحمة من جانبين :

الأول :بالرغم مما يفعله الماكرون من مكرٍ ، فالحق دائماً يعلو ولا شيء يعلو عليه .

الثاني : بالرغم من المكر المتنوع والمتعدد الذي يمكره الماكرون ، إلا أن خير الماكرين خير مبطل له .

فالحمد لله ربِّ العالمين خير الماكرين .

ولأن خير الماكرين هو علام الغيوب ، فكل ما يمكره الماكرون فهو عند ٱلله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم : ٤٦] .

ما قام به الماكرون من مكرٍ ، ٱلله يعلمه فهو ليس بمخفي عنه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ لا شيء مخفيٌ عنه فهو العالم بحاله وحالهم ، ويعلم ما يجب اتجاهه واتجاههم ، والمؤمنون هم بذٰلك يؤمنون فيُسلِّمونَ أمرهم إليه ، وعليه يتوكلون في مواجهة كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وكلهم ثقة أن الحق سيحق ولو كره الكافرون ، والمشركون ، والمجرمون ، والفاسقون ، والكاذبون ، والضالون . قال تعالىٰ : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل : ٥١ ـ ٥٣] .

أي انظر إلىٰ الدليل الذي تركناه شاهداً علىٰ ما فعلوا من مظالم ومكايد ومكر عظيم ، فكانت العظمة بما فعل خير الماكرين من مكر بمكرهم تدميراً شاملاً لهم ولقومهم أجمعين ، فبقيت بيوتهم أثاراً خاوية بأسباب ما اقترفت أيديهم من مفاسد في الأرض ظلماً وعصياناً ، وبهٰذا المكر الخيِّر من خير الماكرين ، تحققت النجاة للذين آمنوا وكانوا متقين في كل قول وعمل عملوه وهم للحق فاعلون .

ولأن خير الماكرين محق للحق ، فالماكرون للعباد هم في حقيقة أمرهم

لا يمكرون إلا بأنفسهم ، وذٰلك بأسباب العاقبة التي لابد وأن تلحق بهم ؛ (الكافرين والمجرمين والمفسدين في الأرض وسافكي الدماء فيها بغير حق ، والكائدين والماكرين من شياطين الإنس والجن أجمعين) قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٣ ـ ١٢٤] . يُفهم من هاتين الآيتين أنَّ أكابر المجرمين هم أشد مكراً وأشد إفساداً في الأرض ، ومثل هٰؤلاء هم في كل قرية ، ولهٰذا القرىٰ التي يُراد لها أن تُدمر بأسباب ما تُقدِّم أيدي سكانها ، يأمر ٱللهُ مترفيها فيفسقوا فيها فتُدمَّر تدميراً ! مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦ ـ ١٧] ، ولذٰلك تكون النتيجة عودة المكر علىٰ رؤوس أصحابه ، وينجي ٱللهُ الذين آمنوا من مكرهم ، كما نجي نوح ومن تبعه من المؤمنين من الطوفان في الفلك المشحون ، وكما نجي موسىٰ والرسل الكرام عليهم السلام من كل كيد ومكر عظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس : ٧١ ـ ٨٨] .

بناء علىٰ ما تقدم من آيات عظام نقول : الحمد لله إنه خير الماكرين ، ولذا جاء اسمه خير الماكرين في مقابل تلك الأفعال التي يقوم بها شر الماكرين في الأرض ، الذين بأسباب مكرهم تدمر قراهم ، وبأسباب مكرهم يخسرون ويفوز الذين آمنوا في الدارين ، فيكونوا هم الوارثين حقاً بما آمنوا وعملوا من الصالحات .

ولذا نقول علىٰ المستوىٰ البشري يظهر أشر وأسوأ الماكرين ، وفي مقابل ذٰلك يكون ٱلله هو خير الماكرين ـ سبحانه ، جل جلاله ـ نعبده ونحن مؤمنون ولا نشرك به شيئاً ، ومن يتخذ من دونه أرباباً فهو من الخاسرين ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٠ ـ ٣١] ، وقال تعالىٰ : ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ

وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد : ١٦] .

ولأن ٱلله ـ عز وجل ـ هو خير الماكرين ، فهو لا يظلم أحداً من خلقه ولـٰكن أنفسهم يظلمون ، ولهـٰذا جعل الذين أجرموا صغاراً عنده ولهم عذاب شديد بما كانوا يمكرون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

ولأن المكر عمل شيطاني ، فهو يُنسج من الأقارب والأباعد علىٰ السواء ، كما نسج أخوة يوسف مكرهم به ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف : ١٠٢] .

والمكر عادة تُنسج خيوطه في الغياب ، ليفاجأ بها من نُسجت إليه أو نُسجت من أجله عند الحضور ، ولهـٰذا في المكر تكاد المكائد التي فيها مغالبة من يمكر به ، ولولا فضل ٱلله بخير مكره لهلكت الأرض ، وهلك العباد ، وعمَّ الأرض الفساد ، ولـٰكن بحمد خير الماكرين يبطل كل مكرٍ وينتصر المؤمنون ، ولهـٰذا فالصبر مفتاح الفرج ، ومزيل الكرب فمن يصبر علىٰ الإيمان بالحق ينتصر ويفوز ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٧ ـ ١٢٨] ، في هاتين الآيتين الكريمتين مخاطبة لرسول ٱلله محمد ﷺ بالصبر ، فالصبر لا يكون إلا من عند ٱلله تعالىٰ ، ولهـٰذا لا مخافة مما يمكرون ، فالصبر علىٰ الإيمان كفيل بمغالبتهم ، ولذٰلك لا تحزن عليهم يا محمد ! ولا تكن في ضيق مما يمكرون فٱلله ناصرك ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل : ١٢٧] ، فالذين تضيق بهم الأحوال هم الأخسرون ، فاصبر وما صبرك إلا بٱلله تعالىٰ ، هو وليك فتوكل عليه وثق أنَّ الذين يمكرون ليس لهم

إلا السيئات، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر : ١٠] ، بدون شك الذين يمكرون السيئات هم في ضلال بعيد ، فعمل السيئات كفيل بقلب السحر علىٰ الساحر ، ولذا فارتكاب السيئات كفيل بتحقيق المكر لمن يعملها .

إذاً فمن كان يريد العزة ، فعليه بالإيمان بٱلله تعالىٰ وطاعته ؛ أمراً ونهياً وتحريماً وتجنباً وابتعاداً وأخذاً ، وعليه بالكلم الطيب في مرضاته ، والعمل الصالح الذي به تزداد الرفعة إلىٰ بلوغ المقامات العظام ، ولا يلتفت إلىٰ ما يعمل الماكرون من سيئات ، فأولـٰئك لهم عذاب شديد يوم لا ينفع مال ولا بنون : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩] .

قال تعالىٰ : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف : ٢٣ ـ ٣٢] .

وعليه ؛ في المكر إكراه بأساليب ملتوية عن الحق والصواب ، وفيه تآمر علىٰ الأبرياء والأوفياء ، وفيه الخدعة في الظرف المتوقع وغير المتوقع ، وفيه التزيين في غير محله ، وفيه التغرير والتزوير ، وفيه الإغراء والإغواء ، وفيه التسفيه وإلحاق الهلاك ، وفيه الكيد والظلم والسوء .

اللهُمَّ ! إنك قلت وقولك الحق ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ اللهُمَّ ! خير الماكرين ! إنهم مكروا بنا فامكر ، وأساؤوا لنا بدسائسهم فامكر ، اللهُمَّ ! إنَّك خير الماكرين فاجعل لنا من خير مكرك ما نمكر به مكرهم .

اللهُمَّ ! خير الماكرين ! قد أبطلت مكر الماكرين بنبيِّك محمد ﷺ فأبطل عنَّا مكر الماكرين . اللهُمَّ ! خير الماكرين ! إننا نتقيك فاجعل لنا من كل مكرٍ مخرجاً وارزقنا من حيث لا نحتسب .

✍ ✍ ✍

ذو الفـضل

ذو الفضل : هو ٱلله تعالىٰ وهو مصدر كل فضل ، وهو المعطي دون انتظار مقابل ، فمن فضله كان بعباده رؤوفاً رحيماً ، وكان لِما خلق رزَّاقاً كريماً .

ذو الفضل : اسم من الأسماء الحسنىٰ التي سمىٰ بها نفسه ـ جل جلاله ـ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة : ١٠٥] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي صاحب الفضل الواسع الذي لا يساويه فضل مهما تعدد .

وجاء الفضل معرَّفاً للتخصيص والتحديد ، فهو لم يكن فضلاً مجهولاً أو نكرةً ، بل هو الفضل الذي من عند ٱلله ، ولهٰذا لا فضل للمقارنة مثل فضل ذي الفضل العظيم .

إذا قوله تعالىٰ : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ تدل هٰذه الآية الكريمة علىٰ ما في نفوس الكافرين والمشركين ؛ من حسد وحقد علىٰ الذين آمنوا ، فهم لا يحبون الخير الذي أفاض به ذو الفضل علىٰ الذين اسلموا وجوههم إليه واحداً أحداً ، ولأنه ذو الفضل العظيم أمدَّ علىٰ وجه الخصوص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالخيرات الحسان ، ولذا فإن ذا الفضل العظيم لا ينتظر من أحد رأياً ليؤتي من

رزقه لمن يشاء ، أو لم يؤته ، إنه مالك الملك والأمر يؤتي الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣٠] .

إذاً لو لم يكن ذا الفضل العظيم ، ما كان له أن يؤتي الملك والرزق لمن يشاء بغير حساب ؟

بدون شك إيتاء المُلك والحكمة والرزق والعلم والسلطان ، لا يكون إلا من ذي الفضل العظيم جل جلاله .

قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران : ٧٣ ـ ٧٤] .

في مضمون هٰذه الآية الكريمة تنبيه علىٰ أن الإيمان بٱلله لا فرق فيه سواء أكان في رسالة موسىٰ أو عيسىٰ أو محمد أو الذين سبقوهم من الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام ، ولهٰذا فمن آمن بأي من الأنبياء السابقين ، عليه أن يؤمن برسول الكافة محمد ﷺ وبرسالة الإسلام الخاتمة ، وأن لا يكون من المشركين أو الضالين .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ﴾ أي الهداية باتباع الرسول والرسالة الخاتمة ؛ هي الهداية التي هي من عند ٱلله فلا يحق الاعتراض أو الاحتجاج ، أي لا يحق للمخلوق أن يحتج أو يعترض علىٰ مشيئة ٱلله واصطفائه للأنبياء والرُّسُل ، ولذا فالمؤمنون لا يفرِّقون بين أحد من رسله ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران : ٨٤ ـ ٨٦] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقوله : ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ أي إن لا دين حق إلا من الحق تعالىٰ ، ولهٰذا الربُّ واحد والدين واحد ، وإن تعدد الأنبياء والرُّسُل ، فالدعوة واحدة لواحد أحد لا شريك له ، ولأن الأمر كذٰلك فلماذا إذاً الاعتراض والاحتجاج والكفر والشرك ؟ بل يفترض أن تعم الفرحة كل الذين سبق لهم أن آمنوا بالنبي أو الرسول السابق للاحق من بعده .

وقوله : ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تعود هٰذه الآية علىٰ سيدنا محمد ﷺ ليقول إن ما آتاه الله تعالىٰ هو من فضله تعالىٰ ولذا فالفضل يستوجب الحمد والشكر ، خاصة لمن عمَّه الفضل العظيم ، ليكون رسولاً بالكتاب الحكيم للناس كافة ، ولأن الأنبياء والرُّسُل يصطفون من الله اصطفاء ، فكيف للبعض كفراً وشركاً لا يعقلون !! أم علىٰ قلوب أقفالها ؟ قال تعالىٰ : ﴿أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد : ٢٣ ـ ٢٩] .

وقوله : ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ولأن الله

يصطفي الرُّسُل والأنبياء اصطفاء ، فالأمر فيه اختصاص بالرحمة والفضل لمن يشاء من عباده الصالحين ، ولأن الأمر بيده تعالىٰ فلماذا إذاً الكفر والشرك وعدم الطاعة لله ذي الفضل العظيم ؟

قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩ ـ ٣٠] ، من غير شك من يتقِ ٱلله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ويحفظه من كل مكروه وسوء ومكر وكيد ، إنه علىٰ كل شيء قدير .

إذاً ما هو الفضل العظيم ؟

الفضل العظيم لا يحصىٰ ؛ ومنه :

ـ إيجاد المخرج من كل ضيق .

ـ الحفظ من كل مكروه وسوء .

ـ المكر بمكر الماكرين .

ـ كيد الكائدين .

ـ الرزق من غير احتساب .

ـ إيتاء العلم .

ـ إيتاء المُلك .

ـ إيتاء الحكمة .

ـ إيتاء السلطان .

ـ منح القوة والقدرة في دائرة الممكن .

ـ نعمة العقل .

ـ الخلق في أحسن تقويم .

ـ نعمة السمع والبصر .

ـ نعمة التدبر والتفكر والتذكر .

ـ نعمة الاستغفار .

ـ نعمة التوبة .

ـ نعمة الطاعة .

ـ نعمة الإيمان .

ـ الإسلام .

ـ نعمة الصبر .

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ـ الأمر بالعدل .

ـ الإحسان بالوالدين .

ـ اتخاذ الأنبياء والرُّسُل الكرام أسوة حسنة .

ـ عدم التفريق بين أنبيائه ورُسُله .

ـ التراحم بين الناس .

ـ إغاثه الملهوف .

ـ قول الحق وفعل الحق .

ـ الجزاء بالجنة .

قال تعالىٰ : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد : ٢١] . قوله ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ جاءت للجمع غير المحدد ، أي

سارعوا أيها الناس ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ توجب لكم نيل المغفرة منه ، وتحقق لكم الفوز بالجنة التي أعدت للذين آمنوا بٱلله ورُسُله عَلَيْهِمْ السَّلَامُ ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ، وهـٰذه المغفرة والجنة فضل يؤتيه ٱلله من يشاء من عباده ، وٱلله ذو الفضل العظيم ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي إن المغفرة والفوز بالجنة هما الفضل من ذي الفضل العظيم يؤتيه لمن يشاء ، ولهـٰذا الجنة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢٨ ـ ٢٩] .

الذين آمنوا هم من أهل الكتاب الذين يُراد لهم أن يتقوا ٱلله ويؤمنوا بمحمد كما آمنوا من قبله بموسىٰ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فإن آمنوا يضاعف لهم الثواب ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ الكفل الأول بسبب إيمانكم بموسىٰ وعيسىٰ ، والكفل الثاني بسبب إيمانكم بمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكذٰلك يدل معنىٰ الكفلين من بين ما يدل عليه هو فوزكم في الدارين ، حيث طاعة ٱلله واتباع الرُّسُل دون تفريق بينهم في الحياة الدنيا ، ثم الفوز بالجنة في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ نور الهداية واليقين والطاعة واتباع الرُّسُل الكرام عَلَيْهِمْ السَّلَامُ أنه النور الذي يُمكن المؤمن من دخول الجنة ليزداد المؤمن نوراً علىٰ نور ، وهـٰذا النور كان بأسباب الإيمان والطاعة والمغفرة ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يغفر لكم من بيده أمر المغفرة فهو علىٰ كل شيء قدير .

وقوله : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ بطبيعة الحال الفضل بيد ٱلله

يؤتيه من يشاء متىٰ ما يشاء كيفما يشاء ، ولا أحد غيره يقدر علىٰ ذٰلك ، ولذا فهو ذو الفضل العظيم ، وليعلم أهل الكتاب أن ٱلله الذي أنزل عليهم التوراة والإنجيل ، هو الذي أنزل القرآن علىٰ محمد وأمته لتكون الرسالة خاتمة وللناس كافة ، وليعلموا أن في ذٰلك فضلاً عظيماً فلا يضلوا ولا يشركوا ، بل عليهم أن يتبعوا السبيل الحق الذي جاء به محمد نبياً ورسولاً .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كل مسلم بالحق لا يشك في أنَّ الفضل بيد ٱلله ، ولهٰذا يتوجَّه إليه بالطاعة وطلب الرحمة ، وكل مؤمن علىٰ الحق يعلم أن ٱلله يؤتي فضله لمن يشاء كيفما يشاء ، ويعلم أن ٱلله هو ذو الفضل العظيم سبحانه لا إلـٰه إلا هو جل جلاله .

قال تعالىٰ : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة : ١ ـ ٤] .

من فضل ٱلله علىٰ عباده بعثُ محمد ﷺ في الأميين رسولاً منهم ، ومن فضله تعالىٰ أن محمداً ﷺ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، نقول بحق إن هـٰذا لهو الفضل العظيم ، فالذين كانوا في الضلال أصبحوا علىٰ الهداية مؤمنين بٱلله ورُسُله وكتبه ، قال تعالىٰ : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٣٦] .

وعليه ؛ كل ما تقدم هو من فضل ٱلله علىٰ عباده الذين أخصهم بالعناية

والهداية ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

اللهُمَّ ! ذا الفضل ! اجعل فضلك علينا طاعة ننال به منك مغفرة ورحمة ، اللهُمَّ ! إنك واسع الفضل ، فوسع صدورنا بمحبة بعضنا في محبتك ، اللهُمَّ ! إنك ذو الفضل العظيم ، فعظم لنا الطاعات والخيرات ، إنك القريب السميع العليم المجيب للدعوات ، اللهُمَّ ! ذا الفضل العظيم ! ندعوك بصفاتك الحسنىٰ وأفعالك الحسنىٰ أن تستجيب لدعائنا وندعو صفاتك الحسنىٰ وأفعالك الحسنىٰ باسمك الأعظم ، أن نكون بكل صفة وفعل في حياتنا ننعم ولا نشقى ، ونكون في الآخرة في الجنة خالدين .

✍ ✍ ✍

ذو العـرش

ذو العرش بالمطلق : هو ٱلله ـ عز وجل ـ ، والعرش سلطان وحكم ، وهو المقام العظيم الذي لا يساويه مقام ، وعرش ٱلله سلطانه وحكمه .

وعرش ٱلله ليس عرشاً مادياً ، بل هو سلطان مطلق الصفة والفعل أمراً ، فهو ليس علىٰ الشبيه ولا يشابه بل هو يدرك إدراكاً في كل ما خلق ؛ نظاماً وتسييراً وطاعة وهيمنة ، علىٰ الملك الذي ندركه في السمـٰوات والأرض والذي لم ندركه .

العرش : هو المكانة المطلقة الرفيعة التي لا تُبلغ من خلقه وإن اهتدوا وآمنوا ، ولـٰكن لكل درجته ودرجاته ، ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣] .

ذو العرش العظيم ، مالك الأمر والنهي فيما خلق ويخلق ، وفيما قضىٰ ويقضي ، ولذا فالعرش العظيم هو السلطان الدائم بالمطلق ، ولا سلطان دائم سواه .

أمَّا ذو العرش المجيد فهو ٱلله ، الباقي ؛ ذاتاً وعدلاً وحكماً وملكاً وحفظاً ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين : ٨] .

ولأنه ذو العرش فهو رفيع الدرجات في علوه (المتعالِ) ولأنه في علوٍّ رفيع الدرجات ، فمن علوه يُلقي (ينزل) الروح أمراً علىٰ من يشاء ، مصداقاً

لقوله تعالىٰ : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر : ١٥] .

ولأنه ذو العرش المجيد (العرش الذي لا يبلىٰ ولا يتغير ولا يزول) فهو الفعَّال لما يريد متىٰ ما أراد ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٣ ـ ١٦] .

ولأنه ذو العرش العظيم بالمطلق في علوه الكبير تُسبِّحُ له السمٰوات والأرض ومن فيهن ، وكل شيء باسمه وحمده يسبح ، ولهٰذا لا شريك له في الملك لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة إنه علىٰ كل شيء قدير ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٢ ـ ٤٤] .

ولأنه ذو العرش ؛ فهو مالك القوة والقدرة والملك ، وهٰذه تؤتىٰ لمن يشاء إيتاء ، ولذا فمن يهبه القوة يُمكِّنه من القرب منه طاعة وحفظاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٠] .

فقوله : ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ جاءت لإيضاح قرب المكانة وليس للقرب المكاني ، فذو العرش ليس علىٰ المادة ليتم القرب منه ، بل هو علىٰ القوة التي لا يمكن أن يُقترب منها ، ولذا فالقرب من ٱلله قرب مكانة ، قال تعالىٰ : ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

إذاً القرب من ذي العرش في المكانة ، وليس في المكان ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ جاءت العندية لتدل علىٰ المكانة من حيث بلوغ الرفعة والمكرمة العظيمة ، ولم تكن عندية مكان ، فالعرش ليس بمادي ليكون مكانياً بل هو السلطة والسلطان والحكم والملك والأمر والنهي بالقوة والقدرة طوعاً وكرهاً .

المؤمن الحق هو الذي أسلم وجهه لله ربِّ العالمين ولذا فلا توكُّل إلا علىٰ ربِّ العالمين ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ ومن يتوكل علىٰ غيره يُهزم وتتم منافقته ، ويتم التآمر عليه وخيانته والتخلي عنه ، ويتعرض لكل شيء في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع ، ولهـٰذا لا توكُّل إلا علىٰ ربِّ العرش ـ جل جلاله ـ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

ولأن ٱلله واحد أحد لا شريك له ، وأن العرش بالمطلق واحد ، لذا لا عرش بالمطلق إلا لله تعالىٰ ، ولهـٰذا سمىٰ نفسه (ذو العرش) فنعم المولىٰ ونعم النصير ، ولهـٰذا العرش العظيم لا يجزأ فهو عرش واحد لربٍّ واحد لا إلـٰه إلا هو ، قال تعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢ ـ ٢٣] .

ولأنه ذو العرش العظيم ؛ فهو ربُّ السمـٰوات والأرض وربُّ كل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٦ ـ ٨٧] .

ولأنه ذو العرش الكريم ؛ فهو المَلك الحق ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٦] .

ولأنه المَلك الحق ؛ فهو ٱلله لا إلـٰه إلا هو ذو العرش العظيم ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل : ٢٦] .

ولأنه ذو العرش الكريم ، والمجيد ، والعظيم ، هو ٱلله لا شريك له ، فهل يمكن أن يكون له مثيل في العرش ، والمجد ، والكرم ، والعظمة ، أو أن يكون له شريك ؟

بالتأكيد لا ! ولهـٰذا لا يوصف إلا بالأسماء الحسنىٰ ، التي سمىٰ بها نفسه ٱلله ـ جل جلاله ـ ، قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٢] .

ولأنه ذو العرش فلا أحد غيره يوصف بهـٰذه الصفة المطلقة ، فهو الذي خلق عرشه خلقاً ، ولهـٰذا فهو المستوي عليه بالهيمنة والقوة والسيطرة الكاملة ، فلا أحد يفلت ، ولا أحد مما خلق يغيب عنه ، وكل وفق نظام بديع وحكم بديع وسلطان بديع ومُلك بديع ، قال تعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يسٓ : ٣٦ ـ ٤٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

ولأنه ذو العرش المجيد ؛ فهو مُدبِّر الأمر في حكمه وملكه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] .

ولأنه ذو العرش ؛ فهو المستوي علىٰ عرشه هيمنةً ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] أي تكامل خلقه ومخلوقاته والكل تحت سيطرته الكاملة ؛ تحكُّماً وملكاً وأمراً وسمعاً وبصراً وتسييراً لا تخييراً في عرشه .

ولذا إن تساءل أحد :

من الذي استوىٰ علىٰ العرش ؟

إنه الرحمـٰن .

ومن هو الرحمـٰن ؟

هو ٱلله الذي استوىٰ علىٰ العرش ، (ذو العرش) .

قال تعالىٰ : ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر : ٧٥] .

فإذا تساءل سائل :

حول من الملائكة هم حافُّون ؟

نقول كما جاء نصاً :

حول العرش .

وبمن الملائكة هم حافُّون ؟

بذي العرش .

ومن هو ذو العرش ؟

ٱلله جل جلاله .

قال تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر : ٧] .

من الذين يحملون العرش ؟

الملائكة .

وحول ماذا هم يسبِّحونَ ؟

حول العرش .

ولمن هم يسبِّحون ؟

لذي العرش العظيم .

ولمن أراد أن يكون من المستخلفين في الأرض فعليه أن يستمد صفة عرشه من ذي العرش المجيد ، ليكون علىٰ الحق قولاً واتباعاً وطاعة، فلا يغتر

بما له من ثروة ولا مُلك ولا سُلطان ولا علم ، وليعلم أن ما لديه هو من ملكه ورزقه تعالىٰ .

وإن لم يتقِ ٱلله ربَّه فيما آتاه من نعم ورحمة، سيكون حاله حال قارون ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٦ ـ ٨٢] .

اللهُمَّ ! ذا العرش العظيم ! اجعل عرشنا تحت ظل عرشك المجيد ؛ اهتداء ، واقتداء ، وسمعاً ، وطاعة ، ولا تجعله كعرش عاد وثمود وقارون وفرعون ، الذين طغوا في البلدان والأوطان ، فأكثروا فيها الفساد .

اللهُمَّ ! ذا العرش العظيم ! يا من جعلت عرشك علىٰ الماء ، وجعلت من الماء كل شيء حي اجعل خير أقوالنا تلاوة كتابك الحكيم ، وخير أعمالنا اتباع أمرك ، وخير أفعالنا تدبراً في مرضاتك ، وخير سلوكنا الاقتداء بما سلك أنبياؤك ورُسُلك .

ذو المعَـارِج

ذو المعارج : « ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي وقيل هي مقامات معنوية تكون فيها الأعمال والأذكار ، أو مراتب في السلوك كذٰلك يترقىٰ فيها المؤمنون السالكون أو مراتب الملائكة » (١) .

ذو المعارج : « رفعة شأنه وعلو سلطانه » (٢) .

المعارج : « الرتب والفواضل والصفات الحميدة . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السمـٰوات تعرج فيها الملائكة من سماء إلىٰ سماء . وقال الحسن : هي المراقي إلىٰ السماء ، وقيل : المعارج : الغرف التي جعلها لأوليائه في الجنة تعرج » (٣) .

ذو المعارج : « ذي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة ، والمعارج هي السمـٰوات ، وسماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها . وقيل : المعارج مراتب نعم ٱلله سبحانه علىٰ الخلق . وقيل : المعارج العظمة » (٤) .

العروج حركة واعية في مسالك ودروب وسبل وفلك كما هو حال الشمس والقمر والنجوم وما نعلم وما لم نعلم ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِى

(١) تفسير الألوسي ، ج ٢١ ، ص ٢٥٩ .
(٢) تفسير البحر المحيط ، ج ٩ ، ص ، ٤٠٥ .
(٣) تفسير البحر المحيط ، ج ١٠ ، ص ٣٣٩ .
(٤) فتح القدير ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ .

﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ : ٣٦ ـ ٤٠] .

أي كل ما خلق من كواكب ونجوم هي في أفلاكها بين يدي ٱلله ذي المعارج ، فالشمس تجري في معراجها لمستقر لها تقديراً من ٱلله ذي المعارج ، والقمر كذٰلك يعرج إلىٰ ربِّه ويسبح بحمده كما غيره يسبح ، وهٰكذا كل شيء يعرج له طاعة .

إذاً الملائكة تعرج إليه ، وكل شيء يعرج إليه تسبيحاً ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء : ٤٣ ـ ٤٤] .

وعليه فذو المعارج هو ٱلله الذي خلق المعارج ، وهي السبل العظيمة التي من خلالها تسلك الملائكة هبوطاً وصعوداً في السماء ، وقد تكون السمٰوات السبع هي المعارج ، أي المنازل العظيمة التي خلقها الخالق فجاء نسبها إليه بقوله (ذي المعارج) ولذا فالمعارج علىٰ احتمالات منها :

١ ـ إنه مُدبِّر الأمر الذي لا تخفىٰ عليه خافية بالمطلق .

٢ ـ إنها السبل والمسالك العظيمة التي من خلالها تسلك الملائكة أو من شاء ٱلله أن يسلك من خلالها .

٣ ـ إنها السمٰوات السبع ، وهي الطباق علىٰ الترتيب والتنظيم والسيطرة والهيمنة ، مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح : ١٥ ـ ١٦] .

٤ ـ إنها الفضائل التي تستمد النعم منها ، ولذا ففضائل ٱلله لا تحصىٰ ولهٰذا فهي معارج تتعدد ولا تُعد عداً .

ولذا ؛ فذو المعارج : هو العظيم الذي خلق المعارج في علوٍّ لا تُرىٰ وهي الممهدة للسلوك من خلالها .

قال تعالىٰ : ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج : ١ ـ ٤] .

فقوله : ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ تدل علىٰ أن ذا المعارج هو ٱلله جل جلاله ، أي لو سأل سائل :

من هو ذو المعارج ؟

فالإجابة هي ٱلله تعالىٰ .

وسواء عرفنا ما هي المعارج بالتحديد والتدقيق ، أم لم نعرفها فذو المعارج : هو ٱلله من غير لبسٍ أو غموضٍ أو شكّ .

قال تعالىٰ : ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ [الزخرف : ٣٣] .

قوله تعالىٰ : ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ أي جعلنا لمنازلهم ذات الأسقف العالية سلالم متنوعة ومتعددة ، تمكِّن من الخروج والدخول بيُسرٍ دون أي تأخير أو عرقلة .

ولذٰلك فذو المعارج ؛ هو المُيسِّر لكل أمر وهو القادر علىٰ تحقيق أي أمر شاءه ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل : ٤٠] .

ذو المعارج ـ جل جلاله ـ هو ٱلله ، وهو الذي لا تخفىٰ عليه خافيه فكل شيء مكشوف له ، وبكل الطرق هو يعلم ، فهو الذي يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ، ويعلم ما تكنّه وتظهره الصدور ، ولذا فهو ذو المعارج ما من معرج إلا ويعلمه خلقاً وحالاً وظرفاً وزمناً وحركة وسكوناً ، ولذا فالعروج هو

بلوغ المكان وبلوغ الشيء في الزمن (كن) مع العلم الكامل بحاله وما سيكون عليه ، إنه مدبر الأمر إحاطة وعلماً وخبرة ، قال تعالىٰ : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة : ٥ ـ ٦] .

ولأنه ذو المعارج ؛ أي الذي لا تخفىٰ عليه خافية ، فهو العليم بكل حركة وسكون في كل ما يخرج من الأرض وكل ما ينزل من السماء أو يعرج فيها ، قال تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٢] .

ولأنه ذو المعارج ؛ فهو المولج لليل في النهار ، والمولج للنهار في الليل ، ويعلم ما تخفيه الصدور ، ويعلم ما يعرج أي يتحرك في السمٰوات ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ٤ ـ ٦] .

وعليه فعلىٰ الخليفة في الأرض أن يعلم أنه لا يعلم كل شيء ، وإن كان مخلوقاً فالمعارج لو لم تكن مخلوقة ما تكلمنا عنها ، وما ذكرت في الكتاب الحكيم ، وما أخذت دليلاً يقينياً علىٰ إظهار الحق وتبيانه ، ولأن المعارج هي سُبل سماوية ، أو سماوات بذاتها ، أو فضائل ونعم ، أو قدرة وقوة ، فأمر الأخذ بها علىٰ المستوىٰ الخلقي أمر مستحيل ، ولـٰكن أن يفتح الخليفة آفاق تفكيره لمعرفة الكيفية التي يمكن أن تكون عليها ؛ فهـٰذا الأمر ممكن ، فعلىٰ سبيل التشبيه لتقريب المعنىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢١] . فالمعنىٰ من قوله : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ هو يريدنا ٱلله تعالىٰ أن لا نقف عند حد النظر إلىٰ الإبل ، بل ينبغي أن يتعدىٰ نظرنا إلىٰ الكيفية التي خُلقت عليها ، وإن

فكرنا في ذٰلك ليس لنا بدّ إلا أن نرتقي بتفكيرنا إلىٰ معرفة خالقها ، وهٰكذا لو فكرنا في الكيفية التي بها رُفعت السماء ، والكيفية التي بها نصبت الجبال ، والكيفية التي بها سُطحت الأرض ، ولهٰذا جاء قوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية : ٢١] .

وعليه هٰكذا حال المعارج ، فهي التي ينبغي أن نفكر في الكيفية التي عليها خُلقت حتىٰ ندرك الإعجاز الإلٰهي الذي بإدراكه نوحده واحداً أحداً ، وهو علىٰ كل شيء قدير وهو البديع الذي يخلق ما يشاء سبحانه ذي المعارج .

ولأن المعارج رُقي وعلو وفضائل ؛ فلمَ لا يكون الخليفة علىٰ علو عن كل ما يسيء إلىٰ خلقه في أحسن تقويم ، ويكون علىٰ فضائل بها ترتقي مكانته عند خالقه وعند بني جنسه ، وهٰكذا يكون علىٰ القيم الحميدة التي بها يتبوأ الدرجات العالية بين الناس ومع طاعة ربّه جل جلاله .

اللهُمَّ ! ذا المعارج ! في علاك اجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، لنعرج في رضاك علىٰ البيِّنة طائعين خاشعين حامدين شاكرين عادلين راكعين ساجدين وآمرين بالمعروف وناهين عن المنكر .

اللهُمَّ ! إنك ذو المعارج تعرج الملائكة والروح إليك ، فاجعل الملائكة والروح تتنزل علينا سلاماً منك ، كما تتنزل بأمرك في ليلة القدر ، اللهُمَّ ! إنك ذو المعارج بك آمنا وعليك توكلنا وأولينا أمرنا إليك سبحانك إنك علىٰ كل شيء قدير .

دعاء الأسماء

لك الحمد ربي ! ولك الشكر سبحانك ، لقد خلقتنا في أحسن تقويم واستخلفتنا الأرض لنصلح ولا نفسد فيها ولا نسفك الدماء بغير حق ، والحمد لك علىٰ نعمك التي تستمد من صفاتك وهي لا تحصىٰ ، وصفاتك التي تستمد من أسمائك وأنت واحد أحد .

ربي ! أنت ٱلله ـ جل جلالك ـ صفاتك تتعدد وأنت لا تتعدد ، أعبدك في ذاتك يقيناً راسخاً ، سواء خلقت حور العين أم لم تخلق ، وسواء خلقت النار أم لم تخلقها ، وسواء خلقت الجنة أم لم تخلقها ، وسواء خلقت أنهاراً من عسلٍ مصفىً أم لم تخلقها ، يكفيني ربي أنك واحد أحد لا شريك لك ، بيدك الملك وإنك علىٰ كل شيء قدير .

كل خلقك آيات ، والغريب أن يكون من بين آياتك من لا يؤمن بك ، في علمك الظاهر أنت ، وفي علمك الباطن أنت ، ولا غريب من عندك بل الغريب من عندنا .

معجزاتك ربي في خلق البعوضة تكفينا أن نعبدك بالمطلق ، إنك أنت الأعظم ، ومعجزاتك ربي في قصص القرآن تكفيني أن أسلِّم بما أنزلت بالمطلق ، وخلقك للحركة والسكون ، والشروق والغروب ، وتلاقح السُّحب ، ونزول الغيث ، يملأني إيماناً إنك أنت القوي القادر .

ربي ! خلقت الشيء من لا شيء إعجازاً لا مقابل له عندي سوىٰ التسليم إنك الخالق ، لقد أحببت الحياة فيك حباً صافياً ، وأحببت البعث فيك حباً

صافياً ، وآمنت أن الموت حق ، طائع لا أختشيه ، أبذر الخير وأنا واثق سأجتنيه .

ربي ! إيماني بأنك أنت السميع وجَّهني إليك وأنت المجيب ، فلا شك في قربك ولا شك أن لا تجيب ، ولا شك في وسوسة الشيطان ضعفاً يستميل غاوياً من يستجيب ، وأنا في بيتك الحرام تراني أعوذ بك منه ومن همزاته وأينما أكون ، فأدعوك باسمك الحفيظ وفي كل الظروف أنت المجيب .

ربي ! آمنت بك فآمنت برُسلك ، وأدعوك بدعواتهم لأكون في الدارين من الوارثين ، وتكون أمي وأبي ويكون أبنائي وزوجي حيث ما دعوت أن أكون ، من شرور الحاسدين أنت الحافظ ، ولشرور الكائدين أنت الكائد ، ولشرور الماكرين أنت خير الماكرين .

ربي ! أعلم أنك أنت العليم مصدر لكل علم ، فالتجأت إليك لأعلم من علمك ما لم أعلم ، وأنت الحكيم فاهدني ربي صراط الحكمة والحكم حتىٰ يتبيَّن لي الحق من الباطل ، لنتبع الأول ونجتنب الثاني ، اللهُمَّ إني أُوتيت من العلم قليلاً فزدني قليلاً من علمك الواسع كي أرشد .

ربي ! النار تخشاني باتقائك ، والجنة تميل إليَّ بطاعتك ، والمؤذن في الجنة محاط بالولدان المخلدين وأنهار العسل المصفىٰ واللبن لذة للشاربين ، وفي النار تتبدل الجلود وهي تقول هل من مزيد فأشهد أن النار رحمة للكافرين ، وأنَّ الجنة رحمة للمؤمنين .

ربي ! أمرت فاستمعت ، ونهيت فانتهيت ، وحرَّمت فاستجبت ، وجنبَّت فاجتنبت ، وحللت فاتبعت ، وخيَّرت فاخترت دون أن نفرِّق بين من اصطفيت ، ونصلي في الختام بالصلاة والسلام علىٰ محمد ، في الظهيرة والمساء والصباح والضحىٰ، ونُسبِّح اسمك الأعلىٰ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل نسبحه وأدبار السجود أنت ربي .

اللهُمَّ ! إنَّ الشرَّ يتقيني باتقائك وإنَّ الظلم يجتنبني بانتهاج عدلك ، وإن

الحسد يقاطعني بمحبتك ، وإن الجهل يختشيني باتباع علمك ، وأشهد أنني بالكفر كافر ، وأنني في الدنيا عابر فغريب أن يخاف المرء وفي الدنيا المقابر وغريب ألا يخاف يوم لا يجد المعابر .

اللهُمَّ ! ربِّ ! أدعوك بدعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح : ٢٦ ـ ٢٨] .

اللهُمَّ ! ربنا ! ندعوك بدعاء سيدنا محمد ﷺ : ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصّافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

اللهُمَّ ! الآمر ! بأمرك كان كل شيء كائناً ويكون ، فاجعلنا بأمرك مهتدين وله طائعين خاشعين تائبين ، اللهُمَّ ! إنك أمرت اتباع الحق فاجعلنا لأمرك متَّبعين ولا تجعلنا من الفاسقين والمنافقين والمبدلين والشاكين والظانين .

اللهُمَّ ! إنك منزل الملائكة والروح فيها بأمرك من كل أمر ، فاجعل لنا في كل أمر مُدخل صدقٍ ومُخرجَ صدق .

اللهُمَّ ! الآمر بأمرك (كن) كانت الحياة فاجعل حياتنا نعيماً ، وبأمرك (كن) كان الموت فأمتنا مسلمين ، وبأمرك (كن) سيكون البعث فابعثنا مع الوارثين ، اللهُمَّ ! بأمرك (كن) أوجبتَ طاعة الوالدين ومواصلة الأرحام فاجعل والدينا راضين عنا واجعلنا من الذين لأرحامهم مواصلين .

اللهُمَّ الناهي ! اجعلنا منتهين عمَّا نهيت وطائعين لِما أمرت ، اللهُمَّ ! إنك نهيت عن الكفر والشرك بك فبك آمنَّا ، اللهُمَّ الناهي ! قلت وقولك

الحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ـ ٩١] اللهُمَّ ! فاشهد أنَّا منتهون وللشيطان وأعماله لاعنون ، طاعة لك ولرسولك الكريم ، ولما أمرت ونهيت وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

اللهُمَّ ! الواعظ ! عضد إيماننا بما وعظتنا به ، واجعلنا من المنتهين عمَّا نهيت ، والمحرِّمين لما حرَّمت ، والمجتنبين لما وعظت الاجتناب عنه ، والآخذين بما وعظت وأمرت ، اللهُمَّ ! إنك الواعظ ووعظك الحق فاجعلنا متعظين طائعين حامدين شاكرين وغير مبدِّلينَ .

اللهُمَّ الواعِظُ ! إنَّ اتباع مواعظك يوفي الكيل والميزان ، ويضاعف الحسنات ويزيد النعم ، فانعم علينا باتباع مواعظك التي أنزلتها في الكتاب الحكيم ، وأرسلت بها محمداً كما أرسلت من قبله رُسُلك الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

اللهُمَّ ! الواعظ في مواعظك الحكمة فاجعلنا علىٰ الحكمة ، ولا تجعلنا من الذين يتبعون هواهم ، واجعلنا من الذين اهتدوا بمواعظك ولا تجعلنا من الضالين .

اللهُم ! المُنْزِلَ للآيات والذكر الحكيم ، أنزل في قلوبنا المودة والإيمان لنذكرك كثيراً ونحتكم بما أنزلت عدلاً آمنين ، اللهُمَّ ! إنَّك المُنزِلُ للمطر من السماء بعد ما رفعته بخاراً من الأرض ، أنزل الغيث علينا وعلىٰ أنعامنا رحمة ونعمة ، اللهُمَّ ! إنك المُنزِلُ لكل شيء تشاؤه من السماء فاجعل السماء مدرار خيرٍ علينا لا مدرار نقمة .

اللهُمَّ ! إنك أنزلتَ القرآن في ليلة القدر التي تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذنك ، فأنزل الملائكة علينا سلاماً وملوكاً حافظين لنكون في الأرض من عبادك المستخلفين ، وفي الجنة من عبادك الوارثين .

اللهُمَّ ! الراضي ! أرضَ عنا كما رضيت عن الأنبياء والرُّسُل الكرام ،

وكما رضيت عن الصدِّيقين والصالحين وعن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، اللهُمَّ ! إنك الراضي فجنبنا ما يغضبك ويُنزل سخطك ، واهدنا إلىٰ ما به ننال رضاك ، اللهُمَّ إن سخطك غضب ورضاك رحمة ، فلا تجعلنا علىٰ ما يغضبك واجعلنا علىٰ ما يرضيك .

اللهُمَّ ! الراضي ! لا مفر منك إلا إليك نحمدك ونشكرك ونستغفرك ونتقيك ، اللهُمَّ ! الراضي ! اجعلنا نعمل ما يرضيك حتىٰ ترضىٰ عنا ، جئناك طائعين فزدنا طاعة .

اللهُمَّ ! إنك الشافي لكل ألم وداء فاشفنا من كل ألم وداء ، اللهُمَّ ! إنك الشافي من الغضب والضيق والحسد والحاجة فاشفنا منها جميعاً ولا تجعلنا في حاجة إلا إليك ، اللهُمَّ ! إنك جعلت الشفاء بأمرك فاجعلنا مشافين معافين بأمرك ، اللهُمَّ ! إن نعمك شفاء فاجعلها بالشفاء تعمنا رحمة .

اللهُمَّ ! إنك الشافي من الجهل فأنر عقولنا وقلوبنا بالآيات والعلوم الشافية ، اللهُمَّ ! إنك الشافي من كل عيب ونقص فاشفنا من كل عيب ونقص واجعلنا من المصلحين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر سبحانك إنك الشافي عليك توكلنا فلا مخرج إلا منك .

اللهُمَّ ! إنك المدرك تُدرك الأبصار ولا تدركك الأبصار فأدرك أبصارنا وبصيرتنا بنور من نورك واكشف عنا الغطاء واجعل بصرنا حديداً إنك علىٰ كل شيء قدير وشهيد وإنك الفعَّال لما تُريد .

اللهُمَّ ! المُدرِكُ أدركنا علماً وعملاً نافعين في الدنيا ، وأدركنا بهما في الآخرة الجنة ، وأدركنا زوجة وذرية صالحين ، وأدركنا مالاً حلالاً ، وهب لنا الحُجَّة والحكمة والصدق في الأقوال والأفعال ، وأدركنا الصحة عن كل علَّة واحفظنا من كل زلَّة .

اللهُمَّ ! إنك المُطعِمُ للحمل في حمله ، والمولود من ضرع أمه ، والمطعم للطير في حلقه ، فأطعمنا حتىٰ لا نكون متخبطين فقراً وجوعاً .

اللهُمَّ ! إنك المُطْعِمُ الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ نطيعك ونخافك ونتقيك فأطعمنا من كل جوع ، وآمنا من كل خوف ، وأكرمنا رزقاً حلالاً ، واحفظنا من كل شر ، وأبعدنا عما نهيت واسترنا في كل بر ، واشفنا من كل داء ، وارحمنا نعمة ومطراً ، أنت المطعم في السماء وفي البر والبحر ، أنت في كل مكان راعياً حتىٰ الحجر .

اللهُمَّ ! الفالق الحب والنوىٰ أفلق الحاجة فينا حتىٰ نكون مشبعين ، وأفلق الخوف فينا حتىٰ نكون آمنين ، وأفلق الجهل فينا حتىٰ نكون من العالمين ، وأفلق الداء فينا حتىٰ نكون مشافين ومتعافين .

اللهُمَّ ! إنك الفالق للإصباح فاجعل إصباحنا خيراً ، وليلنا خيراً ، ونهارنا خيراً ، ونحن في خير من خيرك ، اللهُمَّ ! إنَّك الفالق الذي يُخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي فأخرجنا من كل أزمة وفساد .

اللهُمَّ ! إنك المتم لمكارم الأخلاق فاجعلنا علىٰ أتمها ، وإنك المتم للنعم فأتمها لنا تيسيراً لا تعسيراً ، اللهُمَّ ! إنك المتم لنورك ولو كره الكارهون فاجعلنا من الذين يسترشدون بنورك في القول والعمل واجعلنا من المبشرين به في مشارق الأرض ومغاربها .

اللهُمَّ ! إنك المتم للحق فاجعل الحق حُجَّة لنا لا حُجَّة علينا ، اللهُمَّ ! إنك المتم للرحمة فارحمنا ، والمتم للقوة فقوِّنا والمتم للكرم فأكرمنا ، والمتم للعلم فزدنا علماً ، والمتم للحكمة فاجعلنا بالحكمة نتقي شرور الحاسدين ونكون بها علىٰ الرفعة .

اللهُمَّ ! إنك الشديد وشدتك حق فاجعلنا بشدتك مُحقِّين للحق ودامغين للباطل وزاهقين له ، اللهُمَّ ! إنك أمرت بالشدة والغلظة علىٰ الأعداء فاجعلنا علىٰ الشدة والغلظة التي بها أمرت ولا تجعلنا علىٰ الوهن والضعف الذي به نُهزم ، اللهُمَّ ! إنك شديد العقاب فاشدد عقابك علىٰ شياطين الإنس والجن الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون .

اللهُمَّ ! نسألك بشدتك العظيمة أن تُفرِّجَ عنَّا كل شدة وكرب وتجعلنا من أصحاب الجنة خالدين فيها ، وفيها ننادي أصحاب النار : ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف : ٤٤] واجعل أسماعنا مصغية لنؤذن بعد الاستماع مع ذٰلك المؤذن العظيم ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

اللهُمَّ ! المسيطر علىٰ السمٰوات والأرض وما بينهما اجعلنا بسيطرتك آمنين مطمئنين عاملين علىٰ إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولا تجعلنا من المسرفين الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون .

اللهُمَّ ! إنك المسيطر علىٰ الحركة والسكون فاجعلنا علىٰ حركتنا مسيطرين وعلىٰ سكوننا مسيطرين ، ولا تجعلنا من الذين يستفزهم الغضب فلا يسيطرون ، اللهُمَّ ! إنك المسيطر فاجعلنا بعلمك مسيطرين علىٰ الجهل وبما أنعمت ورزقت مسيطرين علىٰ الفقر والحاجة ، وبعقولنا اجعلنا متوازنين مدركين ومتذكرين ومعتبرين حتىٰ لا نظلم أحداً .

اللهُمَّ ! إنك المسيطر علىٰ الداء والدواء والألم فاجعل لنا من كل داء شفاء ومخرجاً من كل ألم .

اللهُمَّ ! الفعَّال لِما تُريد مكنَّا بقوتك أن نفعل ما نريد تحت ظل مشيئتك ليكون ما نريده علىٰ الحق ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال فاجعلنا فعَّالين لِما تأمر ولا نكون من الفعَّالين لما نهيت عنه وحرَّمته ، وأن لا نفعل الباطل فمن يفعل الباطل يلق أثاماً ويُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال فاصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ، اللهُمَّ ! إنك الفعَّال فاجعلنا مع الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا .

اللهُمَّ ! إنك الجاعل لكل شيء شئته فاجعل لنا في كل شيء شئته رحمة ، اللهُمَّ ! إنك جعلت الشمس ضياء فاجعلنا مستخلفين في ضيائها ، ولا تجعلنا

مفسدين في الظلمة ، اللهُمَّ ! إنك جعلت القمر نوراً والكتاب نوراً فاجعلنا علىٰ نور سمائك وعلىٰ نور كتابك العزيز مهتدين ، اللهُمَّ ! إنك جعلت الأرض قراراً فاجعلنا في الأرض آمنين قارِّين ، واجعل لنا في نهارها معاشاً وفي ليلها لباساً وسترة ، اللهُمَّ ! إنك أحييتنا في هـٰذه الدار فلا تجعلها مبلغ همِّنا واجعل لنا فيها نصيباً طيباً ، واجعل لنا الحياة من بعدها سرمدية في جَنَّاتِ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً .

اللهُمَّ ! إنَّك الموفي للأعمال الحسان بالحسنات ، فاجعلنا للأعمال الحسان من الفاعلين والموفين ، وفي الأرض من المعمِّرين لا من سافكي الدماء فيها بغير حق ولا من المفسدين ، وللكيل والميزان من الموفين لا من القالين ، وإن حكمنا بين الناس أن نكون من العادلين ، وأنْ نخافك ونتقيك في أموال اليتامىٰ والمساكين ، وفي كل أمر ونهي اجعلنا من المتقين الموفين .

اللهُمَّ ! إنك الموفي بعهدك الجنة فاجعلنا للعهود موفين لنكون بعهدك الحق مستظلين آمنين في الجنة ، اللهُمَّ ! إنْ كانت الجنة تحت أقدام الآباء والأمهات فاجعلنا من الذين ينالون رضا الوالدين بالإحسان والطاعة في غير معصيتك واجعلنا الموفين لهما طاعة .

اللهُمَّ ! إنك المنَّانُ لنا بالحياة فاجعل الحياة لنا رحمة ، والمنَّانُ علينا بالموت فاجعل الموت لنا راحة ، والمنَّانُ علينا بالبعث فاجعل البعث لنا جنة ، اللهُمَّ ! إنك المنَّانُ بنعَمِكَ التي لا تُحصىٰ فامنُن علينا رزقاً وافراً ، وعلماً نافعاً ، وشفاء من كل داء ، وعفواً من كل إغواء ، واجعل بيننا وبين الكائدين والماكرين والحاسدين والمشعوذين والمفسدين ردماً وسداً ، اللهُمَّ ! إنك المنعم بخيراتك ورزقك وفضلك وجودك وكرمك وعطائك فأنعم علينا بالخيرات والنعم الواسعة ، واجعلنا من المتصدقين والمزكين والمصلحين والمحسنين التائبين والركع السجود .

اللهُمَّ ! إنَّك المُدخِل للصالحات أدخلنا لأن نعمل صالحاً ترضاه وألحقنا بالصالحين ، ولا تُدخلنا للسيئات وإن ضعفنا ورضينا ، اللهُمَّ ! إنك المُدخِلُ للحق بالحق فاجعلنا للحق محقِّين ولا تجعلنا علىٰ الظلم ظالمين ، اللهُمَّ !

إنك جعلت أبواب الجنة مفتوحة فيسِّر أسباب وسُبل دخولنا إليها ولا تجعلنا من الغافلين والحاقدين والحاسدين والضالين والعابثين والمتعاطين لِما حرمت .

اللهُمَّ ! إنك المدخل للنجاح والفلاح والتوبة ، فاجعلنا بهٰذه الأسباب وما ترىٰ من أسباب أن نكون من الداخلين لكل ما تُحب وترضىٰ .

اللهُمَّ ! إنك المدخل فأدخلنا مُدخل صدق وإنك المخرج فأخرجنا مخرج صدقٍ واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهُمَّ ! إنك المخرج من الظلمات إلىٰ النور فأخرجنا من الظلمات إلىٰ النور ، اللهُمَّ ! إنك مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي فأجعل لنا من كل هم وغم مخرجاً ، اللهُمَّ ! إنك مخرج الودق من السحاب رحمة ومخرج ما تخفيه الصدور فلا تجعل في صدورنا غمةً ولا كدرةً ولا نكداً ولا ضيقاً ، وأخرج ما في صدور الحاقدين والكارهين والمتباغضين من غلٍّ واجعلهم إخواناً متحابين في طاعتك ورضاك .

اللهُمَّ ! إنك المُرجع للحياة بعد الموت فارجعنا للحياة شاهدي حق لا شاهدي زور ، اللهُمَّ ! إنك المرجع لخلقك لتحكم بينهم بالحق فاحكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين ، اللهُمَّ ! إنك المُرجع فارجعنا علىٰ المودة أخوة متحابين كما أرجعت موسىٰ لأمه ، وأرجعت يوسف لأبيه يعقوب وأرجعت رسالات السماء إلىٰ رسالة محمد .

اللهُمَّ ! إنك المُرجع فارجع المسافر من سفره سالماً غانماً ، وارجع المفقود لفاقده والضائع لمن أضاعه وارجع السجين لأهله طليقاً ، وارجع الذين تقطعت بهم السُبُل إلىٰ ذويهم إنك أنت المرجع جل جلالك .

اللهُمَّ المتعالِ يسر لنا أمرنا لننال الدرجات العلىٰ في الدارين وأن نكون مع العليين الأبرار ولا نكون في أسفل سافلين مع المنافقين والأشرار ، اللهُمَّ ! إنك المتعال نتوجه إليك بدعائنا فاجعلنا في علوٍّ مع الأخيار ولا تجعلنا علىٰ الحاجة والافتقار .

اللهُمَّ ! المتعال في ذاتك وصفاتك وأفعالك اجعلنا في علوِّ رحمتك من الطائعين والمستغفرين والتائبين والمؤتين من كل شيء رحمة .

اللهُم ! إنك المتعالِ عن الصاحبة والولد لا تحرمنا من مودتك في الصاحبة والولد واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

اللهُمَّ ! الخلّاق أنِر عقولنا وبصائرنا وأبصارنا ويسِّر لنا الأمر لنكون خلّاقين لِما تحبه وترضاه ، اللهُمَّ ! الخلّاق يا من خلقت الشيء من لا شيء وخلقت من الشيء أشياء لا تُحصىٰ اجعل لنا مما خلقت رحمة بوسعها نعلم حتىٰ نتبيَّن وبوسعها نعمل حتىٰ ترضىٰ .

اللهُمَّ ! الخلّاق يا من خلقت التراب وخلقت أبانا آدم منه وخلقتنا من نطفته ضعفاء نستمد منك القوة التي تجعلنا خلّاقين للحلول والمعالجات لا الخلّاقين للمشاكل والآلام والآثام والتأزمات .

اللهُمَّ ! إنك القريب فاجعلنا في قربك عناية ورعاية وهداية وحفظا ، اللهُمَّ ! إنك القريب تجيب دعوة الداعي إذا دعاك ندعوك باسمك القريب أن تكون لنا الإجابة مغانم خير ؛ في الحركة والسكون والقول والعمل والفعل والأمل والأسرة والأهل .

اللهُمَّ ! إنك القريب نشهد أن قربك حق والبعد عنك باطل فاجعلنا علىٰ الحق لنكون في قربك مجابي الدعاء وفي سمعك منالين الرضا وبإجابتك نكيد كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وبعزتك نزداد عزة وبالحق نرشد .

اللهُمَّ ! الحاشِرُ اجعلنا بواسع رحمتك في الجنة لننادي المحشورين في النار ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

اللهُمَّ ! الحاشر اجعلنا علىٰ القوة التي تمكننا من حشر الضالين والطاغين ولا تجعلهم لنا حاشرين ، اللهُمَّ ! إنك الحاشر الحق فلا تجعلنا في ضائقة ، ولا تجعل الدوائر تضيق بنا وبأحوالنا وأزواجنا وآبائنا وأبنائنا وبلادنا وأمتنا .

اللهُمَّ ! الحاشر! فلا تجعلنا محشورين في أنفسنا بل اجعلنا برحمتك في سعة لا في ضيق .

اللهُمَّ ! المقتدر اجعلنا علىٰ نيل رضاك مقتدرين ، فلا نركن لغيرك ولا نكون من الضالين ، اللهُمَّ ! إنك المقتدر في ذاتك ولا تحتاج لسواك فاجعل الحاجة فينا إليك حتىٰ ننال رضاك ونكون من الوارثين .

اللهُمَّ ! المقتدر إن الضعف لا خير فيه فلا تجعلنا للضعف راكنين ، ولا للذل والقهر مسالمين ، ولا للظلم والظالمين مساندين ، اللهُمَّ ! إنك المقتدر علىٰ كل شيء بكل شيء فاجعل لنا في كل شيء ومن كل شيء مكرمة ورحمة .

اللهُمَّ ! إنك المقتدر علىٰ فك البلاء والشقاء والعناء ، ففك عنا وعن آبائنا وزوجاتنا وأبنائنا وأخوتنا وصحابتنا وبلادنا وأمتنا كل بلاء وكل شقاء وكل عناء ، واجعلنا في الرضا والغنىٰ إنك المقتدر جل جلالك .

اللهُمَّ ! أيها المُبين بيِّن لنا سُبُل النجاة واجعلنا مهتدين واجعل في أقوالنا البيِّنة ولأسماعنا البيِّنة ولحياتنا البيِّنة ولمماتنا البيِّنة ولبعثنا البيِّنة . اللهُمَّ ! اجعل البيِّنة نوراً ينير دروبنا ومغفرة تمحو ذنوبنا ، وآية تدخلنا الجنة .

اللهُمَّ ! المُبين لا تجعلنا في غفلة عن ذكرك واجعلنا قادرين علىٰ تبيان ما بيَّنت لنا ولا تجعلنا من الجاهلين ، اللهُمَّ ! أيُّها المُبين إنك العالم بما لا نعلم فأظهرنا علىٰ علم من علمك الواسع حتىٰ نتبيَّن اسمك الأعظم الذي لا يُجرَّد ولا يُعرَّف ولا تُستمد صفة منه ولا يستمد فعل منه وهو الفعَّال لما يُريد .

اللهُمَّ ! القاهر اجعلنا علىٰ القوة والقدرة التي بها نقهر الذل في أنفسنا وبها نقهر الأعداء من كفرة ومشركين وحاسدين وخائنين ومشعوذين ومنافقين وكائدين وماكرين .

اللهُمَّ ! القاهر اجعل القوة فينا تقهر الضعف ، والخير فينا يقهر الشر ، والشفاء فينا يقهر المرض والألم والداء والشقاء والبلاء وارفعه عنا لنكون أحباء علىٰ الصحة والنقاء والصفاء .

اللهُمَّ ! القاهر اجعلنا من العاملين علىٰ قهر الظلم بالعدل والسلام ، واجعلنا من العاملين بالعلم علىٰ قهر الجهل وبالعمل الصالح علىٰ قهر الفساد والكساد ، اللهُمَّ ! إنك القاهر فأسلمنا وجوهنا إليك طائعين .

اللهُم ! المنعم أنعم علينا من نعمك التي لا تحصىٰ ولا تعد إيماناً وطاعة تامين وسلامة وأمناً حافظين ، وصحة وغنىً نافعين ، وشفاء من كل داء وكسباً من كل عمل وسفر وحُجَّة في كل قول ، وحفظاً من كل هول .

اللهُمَّ ! المنعم أنعم علينا نفساً مطمئنة ، واجعلنا علىٰ هوية الإسلام زيتونة لا شرقية ولا غربية ، وأرشد أبصارنا إلىٰ سبل النجاة ، وأرشد أسماعنا إلىٰ الإنصات للحق وجنبها مجالس الباطل ، وأنر بصائرنا وقلوبنا وزدنا علماً ويقيناً ومالاً حلالاً واجعل سلامة في حواسنا وضمائرنا كي لا نغتر أو نطغىٰ أو نضل سبيلك .

اللهُمَّ ! إنك القدير فاجعلنا علىٰ القدرة التي بها نكون مستخلفين في الأرض ووارثين في الجنة ، اللهُمَّ ! إنك علىٰ كل شيء قدير فهب لنا مُلكاً وحكماً وعلماً وحكمة وسلطاناً نصيراً وارضَ عن والدينا وأزواجنا وبنينا وإخوتنا وأخواتنا وصحابتنا وصحابة رسول ٱلله وأمهاتنا زوجات النبي محمد ﷺ .

اللهُمَّ ! إنك القدير فاحفظنا بقدرتك من الآلام والضياع والأوجاع ، ومن شرور الحاسدين والحاقدين ومن النفس الشاردة عن الطمأنينة .

اللهُمَّ ! بقدرتك اجعلنا علىٰ القدرة التي تُمكِّننا من ملاحقة المستقبل الأفضل والأجود والأهم والأنفع والأفيد حتىٰ نبلغ الجنة ، ولا تجعلنا علىٰ الضعف الذي لا يقود إلا للنار ، اللهُمَّ ! بقدرتك احفظنا من النار والعار

والشجار ولا تلحق بنا وأهلنا أضراراً إنك أنت الغفَّار ، نحمدك ونشكرك ونستغفرك ونتوب إليك لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك بيدك الخير وإنك علىٰ كل شيء قدير .

اللهُمَّ ! العالم إنك تعلم ما تكنه الصدور وما تبديه فانزع الجهل من صدورنا بعلم من علمك ، وإنك تعلم ما توسوس به الأنفس فاجعل أنفسنا بعلمك آمنة مطمئنة ، والحمد لله أننا نعلم أنك تعلم فآمنا ، والحمد لله أن علمك واسع وتهيمن به علىٰ كل شيء دون أن يفلت شيء ، والحمد لله أنك العالم بالمطلق فلا أحد يعلو بعلم إلا بعلم منك ، والحمد لله أنك العالم الخالق وحدك فلا أحد يدَّعي ، والحمد لله أنك تعلم أننا نعلم أنك العالم ولا علم فوق علمك ، والحمد لله أننا من المؤمنين الذين يعلمون الحق كتاباً منزَّلاً فاتبعوه ، ويعلمون أنك تعلم ما نبدي وما نخفي فصدَّقوا وصدقوا وبالحكمة اتعظوا ، والحمد لله إننا نعلم انه لا فرق بين أحدٍ من رُسُلك وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، والحمد لله أننا عليهم نصلي ونسلم كما نصلي ونسلم علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

اللهُمَّ علاّم الغيوب إنك تعلم ما لا نعلم فاجعل لنا في علم غيبك خيراً كثيراً ، ورزقاً حلالاً ، وعلماً نافعاً ، وصحة وشفاء ، ونعمة وسِعة ، وسلامة نفس وبدن ، وطهارة الروح التي لا يعلم أمرها أحد إلا أنت سبحانك علاّم الغيوب .

اللهُمَّ ! علاّم الغيوب إنك تعلم بالشيء قبل أن يكون شيئاً فاجعل في كل شيء من أشيائنا رحمة ، وإنك تعلم بالأحوال قبل أن تكون أحوالاً فلا تجعل في أحوالنا مكروهاً ولا مفسدة ولا كدراً واجعلها علىٰ أحسن ما تشاء .

اللهُمَّ ! علاّم الغيوب إنك تعلم ما يجري وما سيجري فاجعل ما يجري به القدر زيادة قدر ورفعة ، ولا تجعله تقليل مكانة وشأن .

اللهُمَّ ! أيها المؤتي آتنا الحكمة والملك والعلم والرزق والقوة والقدرة

والعزم والسلطان والهيبة والرحمة والكرم ، فأنت الكريم جل جلالك وإنك علىٰ كل شيء قدير .

اللهُمَّ ! إنك المؤتي للرزق فآتنا رزقاً حلالاً ، والمؤتي للبنين فاجعل أبناءنا مصلحين في الأرض لا مفسدين فيها ولا سافكي دماء بغير حق .

اللهُمَّ ! إنك المؤتي للنعم فاجعلنا من الذين يؤتون الزكاة علىٰ نعمك واجعلنا من الحامدين .

اللهُمَّ ! المولىٰ تولنا برعايتك وحفظك من الحاجة والعوز ، وتولنا بنعيمك الوافر ، وتولنا بعلمك الواسع ، وتولنا بملكك الذي لا ينفد ، وتولنا بالغيث النافع ، وتولنا بالشفاء من كل داء ، وتولنا سلامة وأمناً من كل خوفٍ وسوء ، وتولنا بهيمنتك التي تُظلنا عن هيمنة المفسدين في الأرض .

اللهُمَّ ! المولىٰ إنك أنت من يتولىٰ خلقه وأمورهم فتولنا بعنايتك وكرمك وجودك وغناك وحفظك ، وهب لنا من لدنك علماً من علمك وقوة من قوتك وقدرة من قدرتك ومن كل صفة حسنة هب لنا صفة .

اللهُمَّ ! المولىٰ أنت ولينا في الحياة فاجعل حياتنا خيراً ، وولينا عند الممات فاجعل موتنا راحة ، وولينا يوم البعث فاجعله بعثاً إلىٰ الجنة .

اللهُمَّ ! إنك المولى الذي نزَّل الكتاب بالحق ، وإنك النصير لمن تتولاهم فتولنا وناصرنا علىٰ الحق ، فأنت المولىٰ وأنت النصير سبحانك لا إلـٰه إلا أنت المولىٰ فنعم المولىٰ ونعم النصير .

اللهُمَّ ! إنَّك الفاطر للأنواع والأجناس علىٰ ما فيه خير فاجعلنا علىٰ الفطرة التي ننال بها كل خير ، اللهُمَّ ! إنك الفاطر للأنفس والجاعل منها أزواجاً فأنعم علينا بنعمة الأزواج مودة ومحبة وألفة ، اللهُمَّ ! إنَّ فطرتك بقاء فلا تجعلنا من المتبدلين والمبدلين في ضلال وشقاء بل اجعلنا علىٰ النقاء والصفاء والرضا يا من فطرت الأرض والسمـٰوات العلى .

اللهُمَّ ! الفاطر للسماوات والأرض والفاطر لنواميس الحياة اجعل فطرتنا

لا تتبدل عن أحسن تقويم ، وأن نستظل بفضائلك حتىٰ نكتسب مكارم الأخلاق ، وأن تتعاظم فطرتنا مع الإسلام دين الفطرة الذي لا يتبدل .

اللهُمَّ ! المكيد الذي لا يكيده كيد الكائدين ، اجعل كيد الكائدين في نحرهم واجعل كيد الساحرين والمشعوذين في سحرهم يختنقون ويتخبطون فلا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .

اللهُمَّ ! إنك المكيد الذي لا يكيده كيد فكد كيد من أراد بنا كيداً ، اللهُمَّ ! إن كيدك رحمة فارحمنا بكيد من كيدك نكيد به كيد الكائدين ، اللهُمَّ ! إنك المكيد فمدنا بكيد نكيد به أقاويل من قال فينا كيداً ، ومن فعل بنا كيداً ومن عمل لنا كيداً سبحانك إنك المكيد أولينا أمرنا إليك .

اللهُمَّ ! إنك النصير الذي نصر عبده بالرسالة الخاتمة فاجعل الرسالة الخاتمة محققة لكل نصر ، ومدَّنا بالعزَّة والقدرة لنكون متهيئين ومستعدين لصناعة النصر وقادرين علىٰ إلحاق الهزيمة بأعداء الدين .

اللهُمَّ ! إنك النصير بالأمر (كن) فاجعل لنا (كن) سلطاناً نصيراً ، وإنك النصير بقول الحق فاجعل لنا لسان صدق نصيراً ، وإنك النصير بالفعل الحق فاجعل لنا مَقْعَدَ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ .

اللهُمَّ ! إنك قد نصرت رُسُلك الكرام ـ صلوات ٱلله وسلامه عليهم ـ بإتمام رسالاتهم فانصر رسالة الإسلام وانصرنا مسلمين ، ولا تجعلنا متثاقلين إلىٰ الأرض ولا مستعجلين فيها بل من المتدبرين لأمرهم وما يتعلق به من أمر .

اللهُمَّ ! إنَّك الناصر العزيز فانصرنا نصراً عزيزاً ، وثبت أقدامنا علىٰ الحق حتىٰ ننتصر علىٰ أعداء الحق ، اللهُمَّ ! إنك الناصر بالقوة فمدنا بقوة من قوتك بها تتهيأ الأنفس وتقوىٰ الإرادة ويتم الاستعداد وينجز العمل والفعل ويصدق القول ويُصنع التاريخ .

اللهُمَّ ! إنك أحكم الحاكمين تهب لمن تشاء حكماً ، وتنزع ممن تشاء حكماً ، فهب لنا حكماً نكون به علىٰ الحق طائعين لأمرك ونهيك ، وفاعلين

للخير وله مكثرين ، اللهُمَّ ! إنك أنزلت حُكمَك العدل في كتابك المبين لتسود المودة بين الناس فاجعل لنا المودة في حُكمك الذي به نكون من المستخلفين الوارثين .

اللهُمَّ ! أحكم الحاكمين احكم بيننا وبين الذين عليهم صبرنا وهم يدَّعونَ بما ليس فينا فأنت خير الحاكمين ، علماً ، وحكمة ، وعدلاً ، وحكماً ، وقوة ، لا إلـه إلا أنت سبحانك أولينا الأمر إليك ، فإن تعذبهم فهم عبادك وإن تعفُ فأنت خير الحاكمين .

اللهُمَّ إنك قلت وقولك الحق ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، اللهُمَّ ! خير الماكرين إنهم مكروا بنا فامكر وأساؤوا لنا بدسائسهم فامكر ، اللهُمَّ ! إنَّك خير الماكرين فاجعل لنا من خير مكرك ما نمكر به مكرهم .

اللهُمَّ ! خير الماكرين قد أبطلت مكر الماكرين بنبيِّك محمد ﷺ فأبطل عنَّا مكر الماكرين . اللهُمَّ ! خير الماكرين إننا نتقيك فاجعل لنا من كل مكرٍ مخرجاً وارزقنا من حيث لا نحتسب .

اللهُمَّ ! ذا الفضل اجعل فضلك علينا طاعة ننال به منك مغفرة ورحمة ، اللهُمَّ ! إنك واسع الفضل فوسِّع صدورنا بمحبة بعضنا في محبتك ، اللهُمَّ ! إنك ذو الفضل العظيم فعظم لنا الطاعات والخيرات إنك القريب السميع العليم المجيب للدعوات ، اللهُمَّ ! ذا الفضل العظيم ندعوك بصفاتك الحسنىٰ وأفعالك الحسنىٰ أن تستجيب لدعائنا وندعو صفاتك الحسنىٰ وأفعالك الحسنىٰ باسمك الأعظم أن نكون بكل صفة وفعل في حياتنا ننعم ولا نشقى ونكون في الآخرة في الجنة خالدين .

اللهُمَّ ! ذا العرش العظيم اجعل عرشنا تحت ظل عرشك المجيد اهتداء واقتداء وسمعاً وطاعة ولا تجعله كعرش عاد وثمود وقارون وفرعون الذين طغوا في البلدان والأوطان فأكثروا فيها الفساد .

اللهُمَّ ! ذا العرش العظيم يا من جعلت عرشك علىٰ الماء وجعلت من الماء كل شيء حي اجعل خير أقوالنا تلاوة كتابك الحكيم ، وخير أعمالنا اتباع أمرك وخير أفعالنا تدبراً في مرضاتك ، وخير سلوكنا الاقتداء بما سلك أنبياؤك ورُسُلك .

اللهُمَّ ! ذا المعارج في علاك اجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، لنعرج في رضاك علىٰ البيِّنة طائعين خاشعين حامدين شاكرين عادلين راكعين ساجدين وآمرين بالمعروف وناهين عن المنكر .

اللهُمَّ ! إنك ذو المعارج تعرج الملائكة والروح إليك فاجعل الملائكة والروح تتنزل علينا سلاماً منك كما تتنزل بأمرك في ليلة القدر ، اللهُمَّ ! إنك ذو المعارج بك آمنا وعليك توكلنا وأولينا أمرنا إليك ، فأنت علىٰ كل شيء قدير سبحانك جل جلالك .

فهـــرس الموضـــوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
١ ـ الرب	١٥
٢ ـ الآمر	٣١
٣ ـ الناهي	٣٩
٤ ـ الواعظ	٤٥
٥ ـ المنزل	٤٩
٦ ـ الراضي	٥٩
٧ ـ الشافي	٦٥
٨ ـ المدرك	٧٣
٩ ـ المطعم	٧٧
١٠ ـ الفالق	٨١
١١ ـ المتم	٨٥
١٢ ـ الشديد	٩١
١٣ ـ المسيطر	٩٩
١٤ ـ الفعَّال	١٠٥
١٥ ـ الجاعل	١١١
١٦ ـ الوافي	١٢١
١٧ ـ المنان	١٢٩

الموضوع	رقم الصفحة
١٨ ـ المُدخِلُ	١٣٥
١٩ ـ المخرجُ	١٤١
٢٠ ـ المُرجع	١٤٧
٢١ ـ المتعال	١٥١
٢٢ ـ الخلَّاق	١٥٥
٢٣ ـ القريب	١٥٩
٢٤ ـ الحاشر	١٦٣
٢٥ ـ المقتدر	١٦٩
٢٦ ـ المبين	١٧٥
٢٧ ـ القاهر	١٨٥
٢٨ ـ المنعم	١٨٩
٢٩ ـ القدير	٢٠١
٣٠ ـ العالم	٢١٧
٣١ ـ العلَّام	٢٣٣
٣٢ ـ المؤتي	٢٣٧
٣٣ ـ المولىٰ	٢٤٧
٣٤ ـ الفاطر	٢٦١
٣٥ ـ المُـكيد	٢٧٥
٣٦ ـ النصير	٢٨٧
٣٧ ـ الناصر	٢٩٩
٣٨ ـ أحكم الحاكمين	٣١٣
٣٩ ـ خير الماكرين	٣٣٧
٤٠ ـ ذو الفضل	٣٥١
٤١ ـ ذو العرش	٣٥٩

الموضوع	رقم الصفحة
٤٢ ـ ذو المعارج	٣٦٥
٤٣ ـ دعاء الأسماء	٣٧١
فهرس الموضوعات	٣٨٩

✍ ✍ ✍